محمد علي مادون

خط الجزم
ابن
الخط المسند



دمشق ـــ أوتوستراد المزة

هاتف

٢٤٤١٢٦ ـــ ٢٤٣٩٥١ ـــ ٢١٣٨٢١

تلكس ٤١٢٠٥٠

ص.ب ١٦٠٣٥

العنوان البرقي

طلاسدار

TLASDAR

ريع الدار مخصص

لصالح مدارس أبناء الشهداء في القطر العربي السوري

خط الجزم
ابن
الخط المسند

الطبعة الأولى
١٩٨٩

مُحَمَّد عَلِي مَادُونْ

خَطُّ الجَزْمِ
ابْن
الخَطِّ المُسْنَدِ

الآراء الواردة في كتب الدار تعبر عن فكر مؤلفيها
ولا تعبر بالضرورة عن رأي الدار

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلـى أسـرتـي
أم مناف ومنـاف وشقيقاتـه
أقـدمـه عمـلاً ينتفـع بـه

المـؤلف

المقـــدمـــة (١)

أن يضيّع فرد في مجتمع أمر مألوف فكثير من القادة الكبار الذين شاركوا في صنع تاريخ أممهم ــ والعديد من العلماء الذين أنجزوا للأجيال بعدهم الكثير قد أضحوا مغمورين لا أحد يأتي على ذكرهم بما فعلوا . وربما نبي ضيعه قومه .

وإذا كانت هذه البداية تدور حول ما ضيّع فإني أقصد الضياع الذي لف جانباً أساسياً من أهم الجوانب الحضارية التي عليها قامت حضارة الأمة العربية .

ــ ففي غمرة الضياع تُراني أبحث عن الجذور في وقت تأبى أيامه إلا المعاصرة ورغم أني لمست فيما أنا فيه وكأن الأمر يقتضي جهداً لإقناع بعضهم ليتفهموا فكرة هذا السفر وغايتي منه . ورغم ذلك فقد وجدت في كل الأوساط وعياً وحرصاً على نطاق أوسع بكثير من هؤلاء اللا مبالين بالجذور فقد وجدت ممن أقدرهم وأجل رأيهم حماساً حماساً دفعني وعزز قناعتي لإنجازه عملاً لا أدعي كماله إنما أؤكد ضرورته وأهميته في وقت ضُيّع فيه الكثير من القيم التراثية .

ــ إن القضية التي أطرحها هنا مزمنة قد عانى كثيرون ممن تعرضوا لها معاناة الوصول إلى نتيجة مقنعة موثقة بدلائل قاطعة على وجه التقريب بحثوا في القرائن دون الأدلة الدامغة . لذا لم يقيض لهذه القضية التي أطرحها هنا (جذور خط الجزم) من يضعها في إطارها الصحيح لوثائق وحجج حاسمة توضح تسلسل التطور الحقيقي للحرف الذي تمتطيه أفكارنا كل لحظة كما كان للأجيال السالفة فبالحرف قلصوا البعد الزمني واجتازوا القرون وبالحرف هذا كان حضور الأجيال وأفكارهم وعلموهم حضوراً أبدياً فقد خلد الحرف ما طوته السنون وما عفى عليه الزمن .

---

(١) الحواشي يرجع إليها في نهاية الكتاب .

ـــ وعندي أن حرفنا المعاصر هذا الذي أبحث هنا عن جذوره هو حرف متطور عن جذوره الأساسية أبجدية المسند (الخط العربي اليمني القديم) الذي حاول العديد من المستشرقين والمحليين من الباحثين أن يقصروا عمره الزمني على بداية تقع في النصف الأول قبل الميلاد ليبقى متخلفاً عن الفينقية وبالتالي ليعزا الحرف وتطور الأبجدية إلى الأحفاد بدلاً من إنمائه الحقيقي إلى الجذور.

فقد أورد السيد أحمد حسين شرف الدين في كتابه تاريخ اليمن الثقافي ج ٣ ص٥ و ١٠ و ١١) ما يؤكد ما ذهبنا إليه :

(.. يستفاد من دراسة النقوش التي عثر عليها خارج اليمن أن ثقافة لغة المسند قد حظيت قديماً بانتشار واسع فقد ظهر نقوش لها في أماكن كثيرة ... وأقدمها يعود إلى ما قبل القرن السابع عشر قبل الميلاد بدليل ذكر بعضها لمدينة آشور عاصمة مملكة آشور القديمة ١٩٥٠ ـــ ١٦٩٩ ق . م).

ثم يعود ثانية ليقول :

(إن بين أبجدية المسند والأبجدية اليونانية الحديثة تقارب ظاهر لا سيما في الحروف ـــ ب ج ش ق ع ل ن و ـــ ويعزى هذا إلى اتصال اليونانيين بالمعينيين في تاريخ يعود إلى ما قبل القرن العاشر قبل الميلاد بعلاقة التجارة ، ولا يبعد أن الفينقيين هم الذين قلدوا المعينيين في ذلك ـــ وهذا ما ذهب إليه الأمير شكيب أرسلان في تعليقه على تاريخ ابن خلدون وقد استدل على ذلك تطور المؤرخ الألماني ماكس مولر « ١٨٢٣ ـــ ١٩٠٠ » الذي جزم فيه أن الفينقيين قد قلدوا العرب وعنهم أخذوا الكتابة في الوقت الذي امتد فيه نفوذ المعينيين إلى شواطىء البحر الأبيض المتوسط).

لقد طرح آخرون احتمالات بديلة تمثلت بغربة كل مرة وضياع زاد الأمر جلبة فمن مدع أن خطنا هذا يعود إلى جذور نبطية ـــ آرامية ـــ أو سريانية ... أما هؤلاء الذين أشاروا إلى انتمائه للعربية الجنوبية اليمنية القديمة فلم يؤبه لإشارتهم هذه فبقيت رمزاً مبهماً ومغفلاً لعدم إقامتهم الدليل على هذه المقولة ـــ ولم يجر تدقيقها فضاعت في غمرة الاعتماد على المزامير التي تطرب فمزمار الحي لا يطرب ـــ فمع الاحترام لعلمهم وعملهم في سبيل البحث العلمي ولمعارفهم فقد بقي العديدون من المستشرقين والعرب يجهدون في هذا المجال دون طائل . فصبت مرة أخرى كل هذه المجهودات في أقنية الضياع والغربة بعد الغربة فتكسرت النصال على النصال .

ولما كانت الحقيقة ضالة المؤمن وهدف الباحث فمن الضياع تنطلق مقولة الحقيقة. وعبر البحث العلمي وشروطه تنطلق الحقيقة إلى ساحة الضوء لترى النور ولو خبى دهراً فلا بد من زمن تتضح فيه الحقيقة.

ـــ علي أن أعترف في البدء أن مؤلفي هذا صغير الحجم لكني واثق أن مكانه في المكتبة العربية وغير العربية ما زال شاغراً! يملأه هذا السفر المتواضع.

فقد حار الباحثون في إنماء خطنا العربي المعاصر الذي نكتب به اليوم إلى أي الأصول ينتمي؟ لقد تخبط الأوائل وتبعهم المحدثون ولحق بهم المستشرقون ويقيني أنهم جميعاً لم يجهدوا عملياً بالعمق الذي يقتضيه التنقيب عن الجذور.

وفي هذا المؤلف الصغير الحجم سوف يتضح لمن يطلع عليه أن الأسلوب التجريبي هو نهج صالح لاستشفاف ما غاب من التراث!

وأن الباحث ما لم يكن قادراً على التصور والتخيل فلن يصل إلى الحقيقة ـــ فالقدرة على التصور المسبق ـــ أحد شروط البحث العلمي ومن التصور ومن الخيال العلمي تنبع الكثير من الحقائق العلمية.

ـــ ومع ذلك فإن هذا الجهد المتواضع سيتضح أنه انطلاقاً من أهمية ما أنجزه وما نجم عنه من نتائج تضمنها هذا السفر قد غطّى بالدليل القاطع أرضية الانتماء لخطنا العربي المعاصر مما سيمنحه ثقة الاستقرار الذي يستحقه.

لكن علي أن أعترف هنا أن الصبر الجميل على صمتي الطويل وعلى التأملات ساعات تلتها أيام التي أعقبتها ليال لإنجازه عملاً سوياً ـــ إنما كان صبر أم مناف عائلتي وأبنائي مناف وأخواته الثلاث فقد كان صمتي وانشغالي عنهم بأوراق هذا السفر ومصادره مبعث إثارة ـــ فصمت الأب طويلاً في بيته ولساعات طوال بين أفراد عائلته أمر يضغط على أعصاب الجميع لكنهم كانوا عنصراً أساسياً في دفعي للاستمرار به عملاً مجدياً حتى أنجزته وسأكون لهم كما عهدوني.

ـــ أما شكري وامتناني فللأخ الذي عرفت وإياه كيف يمكن إشغال الفراغ يمثل هذا كمحل ينتفع به وكيف يتحول الوقت والعمر بعمل نافع إلى زمن مجدي ـــ خاصة إذا ثمر بعمل علمي منشغل بالجذور ذلك هو الأخ والصديق اسكندر سلامة فله

شكري، وامتناني فقد كان عنصراً مؤازراً ومشجعاً ومناقشاً متئداً قدم لي فرصة المناقشة العقلانية لكثير من مسائل هذا السفر.

وشكري للأخ والباحث د. قتيبة الشهابي ــ وللدكتور عبد الله حسن المصري الوكيل المعاون لوزارة المعارف لشؤون الآثار والمتاحف السعودية. وللدكتور صالح الخرفي مدير الإدارة الثقافية في المنظمة العربية (الأليكسو) لدى الجامعة العربية.

ولأنه ليس لي أن أدعي الكمال فهو لله وحده فآمل أن يجعله تعالى في سجل حسناتي ــ وآمل ممن يبدو له الشك أو خطئي عن يقين أن يبعث لي بما يراه إلى عنواني الذي أتركه هنا علّي أستفيد (دمشق ص ب ٤٨٤٣).

أما الحمد فلله وحده.

دمشق ١/٨/١٩٨٩

محمد علي مادون

خط الجزم
ابن
الخط المسند

جذور الخط العربي المعاصر (الجزم) تنتمي إلى الخط العربي القديم (المسند)

عبر فروعه الثلاثة

الصفوي، اللحياني، الثمودي

لا تجحدوا نعماء بشر عليكمُ فقد كان ميمون النقيبة أزهرا
أتاكم بخط الجزم حتى حفظتمو من المال ما قد كان شتى مبعثرا

* * *

فأجريتم الأقلام عوداً وبدأة وضاهيتمو كتاب كسرى وقيصرا
وأغنيتمو عن مسند الحي حمير وما زبرت من الصحف أقيال حميرا

(لرجل من أهل مكة/وبشر بن عبد الملك أخو الأكيدر)

* * *

قد كتبنا مسانداً في ظفار وكتبنا أيامنا من الزبور
وذكرت الذي يكون لحيني إن مُلكي للباقي المنصور

(التبع أسعد الكامل)

ــ لأن القرآن الكريم كتب بخط الجزم .
ــ ولأن البحوث لم تستقم حتى الآن حول انتماء خط الجزم إلى أصوله وجذوره .
ــ ولتعدد النظرات (وليس النظريات لأنها لم تَـرْقَ إلى مستوى الحقيقة لقصور حججها) .
ــ ولأن البحوث والدعاوى اتجهت بهذا الخط (الجزم) لتُنْمِيهِ إلى الخطوط السريانية والنبطية بشكل مبالغ فيه وطاغٍ لدرجة إغفالها التوجه إلى الجذور العميقة والواضحة المعالم من الخط العربي القديم (المسند) وفروعه (الصفوي ــ واللحياني ــ والثمودي)[٢] وما زال هذا الظلم لاحقاً بالاثنين المسند وفروعه ــ والجزم حتى الآن عبر القرون الطويلة الماضية التي تضمنت فترة مشتركة دون شك عاصر فيها الخطان بعضهما حتى استقر الأمر لخط الجزم .
ــ ولأنه لا مراكز البحث والدراسات اللغوية العربية ولا مجامعها أجهضت تلك الشبهات التي أحاطت بالجذور التي ينتمي إليها خط الجزم . فقد عزمت متوكلاً على الله ومعتمداً على كل من :
ــ اللقى الأثرية .
ــ والبحث العلمي وفق أساليبه المتاحة .
ــ والبحث المقارن بين إجمالي الدعاوى والآراء .
ــ والتجريبية العملية ــ العلمية .
ــ وصياغة النتائج مرفقة بأدلتها وثبوتياتها .
ــ لأقدم كتاباً موثقاً ــ يعتمد على مجموعة مسندة من الأدلة والحجج والوثائق ذات الشأن وكل ذلك وصولاً إلى أبوة خط المسند وفروعه لخط الجزم وأقلامه ، ولئن تشابهت بعض حروفه (الجزم) مع حروف الأبجديات الأخرى فذلك دليل آخر على أبـوَّة المسند المشروعة لها ــ وبرهان على جذريته .
ــ وكيلا نبخس الناس أشياءهم فإنا ندعوهم لآبائهم .
ــ ولأن أمتنا هي الأحوج لهذا البحث من الأفراد فإليها أقدم هذه القولة المتواضعة ، آملاً أن أنير قبساً متواضعاً أيضاً في هذا السبيل .

ولا بد من التنويه بتلك الجهات التي تعنى بمثله ، وإن كانت لم تؤازر في دفعه إلى حيز الوجود بما لديها من ذخائر علمية ومادية برغم الاتصال بها ، والتي أحجم عن تسميتها صوناً لسمعة مؤسسات عربية ذات صفة عامة ومسؤولة ــ وحرصاً على نقاء هذا العمل وتواضعه .

آملاً أن يكون لها دور أكثر فعالية في هذا المجال ، لأنها جهات مسؤولة عن مثله ولأن هذا الموضوع إنما يمثل بالنسبة لبعض هذه الجهات أحد مبررات وجودها . وهي قادرة في ظروفها الراهنة على تقديم المصادر في الحد الأدنى لإيفاء التزاماتها ، ذلك لأن الجهد الفردي سيبقى مرهقاً في مثل هذا المجال مهما كانت إمكاناته .

ولقد قدمت هذا السفر المتواضع ليكون المدخل الميسر للإصدار اللاحق وهو (**المدونة العربية الموحدة للنقوش القديمة** ــ في مجلدها الأول المتضمن دراسة شاملة **للنقوش الصفوية عند ليتمان**) . وإني بهذا السفر وتلك المدونة إنما أهدف إلى التأكيد على بطلان المقولة المكرسة لإثبات عدم تدوين التاريخ العربي قبل الإسلام وسيرى من يشدهم مثل هذا الموضوع ، ومن سيطلع عليه أن الأسلاف قد دونوا على الحجر ما شاؤوا فصارت عندنا نقوشاً ، وذخائر يحتاج إليها المنصفون العلميون ، سواء أكانوا باحثين أو مدرسين أو دارسين ، هواة أو متخصصين ــ جامعات أو أفراد أو مؤسسات علمية ومكتبات . .

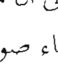
فإليهم جميعاً أوجه هذه الأعمال المتواضعة ، آملاً أن تشفي غليل المتعطشين إلى الحقيقة .

في أصل ومصدر حروف الأبجدية

وفي الادعاءات المفتراة

لقد ذهب الباحثون في أصل الحروف الأبجدية ونشأتها مذاهب شتى ، فعلّلوا نشوء الحرف بوجهات نظر مختلفة ، لكن الحرف بحد ذاته تعبير خارجي لشأن داخل عقل الإنسان وعبر فكره ـــ سواء أعبّر بهذه الوسيلة لنفسه أو للآخرين الحضور أو الغائبين الحالّيـن معه زمنياً المعاصرين له ـــ أو لتذكير الأجيال القادمة . وهكذا فإن الحرف يمثل أرقى قنوات الذكاء البشري ، لذا لا يمكن أمام المجتمعات التي دونت أفكارها أياً كانت ـــ في الأزمنة المغرقة في القدم ـــ إلا الوقوف باحترام وإعجاب للفكر الذي جعله العقل البشري يمتطي الحرف بشكل مزمن كدليل للحقيقة بخاصة ، وإن الإغراق في الزمن الماضي لم ترافقه تلك المظاهر العالية للتقنية التي تعيشها الأجيال الحاضرة .

يقول الأستاذ (سيس) إنكليزي الأصل في الصفحة ١٢٠ من مجلة الإكليل اليمنية العدد « ٢ » السنة الأولى :

[.. إذا ذهبنا إلى أن مصدر الحروف ونشأتها كان في بلاد العرب ، يكون أحسن حل لهذه المعضلة ، لأن أسماء صور الحروف الفينيقية ليس فيها أدنى شبه في كثير من الأحوال للرموز والإشارات التي تدل عليها ، فإن تناولنا مثلاً حرف (ألف) (ثور) () فإن اسم الألف يشابه كل المشابهة رأس ذلك الحيوان في الكتابة المعينية ، وإذا أمعنا النظر في

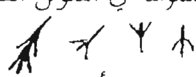
الحروف الهيروغليفية وهي الحروف المصرية القديمة فلا نجد شبهاً لهذا الحرف ، وإن المكتشفات المقبلة في بلاد العرب ستوقفنا على أنْبَاء الشعوب التي سكنت تلك الأصقاع قبل عصر التاريخ] .

ويقول السيد زيد علي عنان في مقاله حضارة اليمن القديم ص ١٢٠ مجلة الإكليل العدد « ٢ » السنة الأولى :

[.. ومعلوم أن اليونان وغيرهم اقتبسوا الحروف من الفينيقيين ــ ألف باء ــ الذين هاجروا من الجنوب واستقروا أولاً في شرقي الجزيرة العربية بمحاذاة الخليج العربي ، ثم نزحوا إلى فلسطين واستقروا فيها ، وسيطروا على سواحل البحر الأبيض المتوسط الشرقية مثل غزة وعكا وصيدا ... واتصلوا باليونان وجزر البحر الأبيض المتوسط وجنوب إيطاليا واقتبس هؤلاء منهم الخط أو الحروف ... وبما أن كلام سيس هذا يدل على أن الحروف المعينية أقدم من الفينيقية ، فإن الخط المسند على تعبير هذا العالم ــ قد يكون ــ أول خط وضع لتدوين الأفكار والخط المسند المعيني هو نفسه الخط المسند الحميري] .

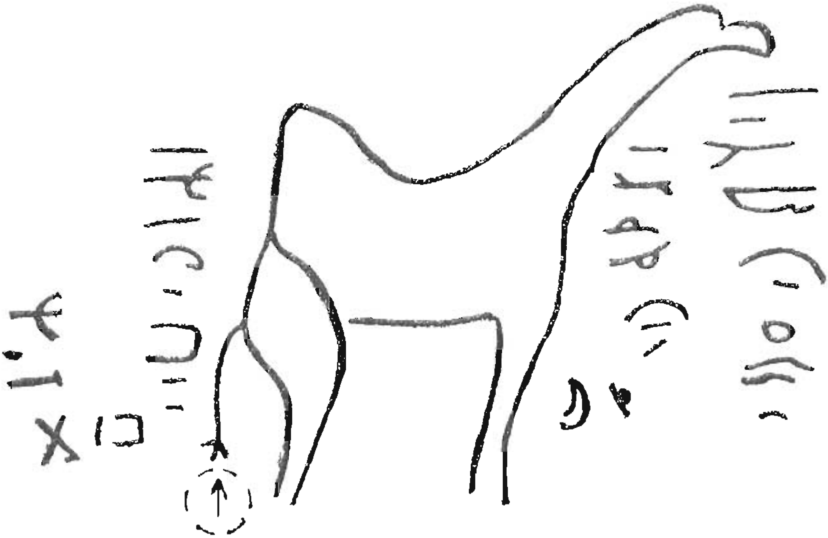
ومما يعزز ما سلف ما ورد في الصفحة ٢٤٤ من الكتاب الأول لعام ١٩٧٥ من **عاديات حلب** في مقال للسيد محمد كامل فارس :

[.. وهناك نظرية .. قال بها المستشرقان : هومل Homel وموريتز Moritz تؤيد نظرية مؤرخي العرب بشكل غير مباشر ، وخلاصتها : إن أصل إيجاد الكتابة بالحروف بعد الكتابة الهيروغليفية كان في اليمن ، وإن الفينيقيين أخذوا أحرفهم من الخط السبئي ــ انظر ص ١٨ كتاب **الخط العربي وآدابه** لمحمد طاهر الكردي نقلاً بدوره عن **ملحق الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون** للأمير شكيب أرسلان ــ] .

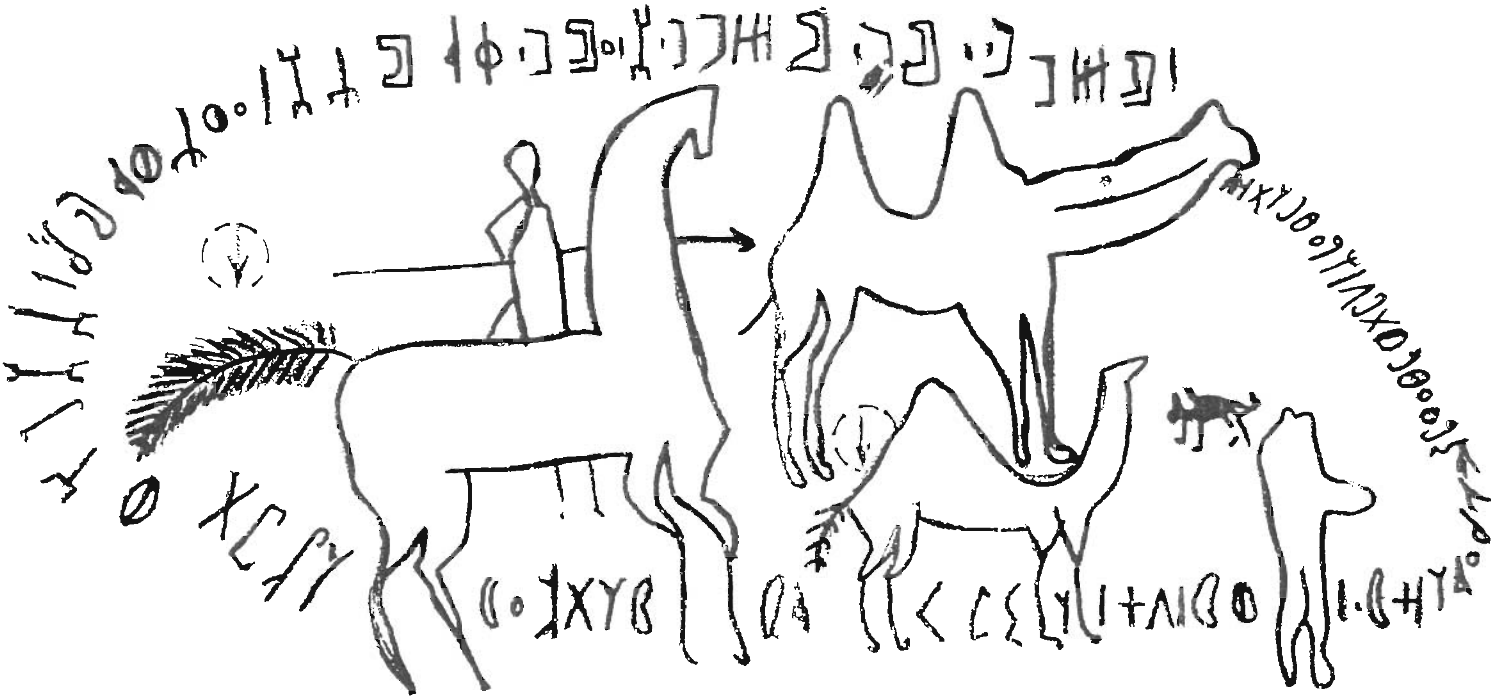
وأضيف لما اعتمده (سيس) أن أسماء أشكال الحروف في المسند وفروعه إنما هي منبع ، بل ومصدر حروف الأبجدية كما سأوضحه في الجداول المرفقة بهذه الدراسة ، وقد جاءت هذه المقولة معززة ملموسة في النقوش القديمة الكتابية ، والتي تمثل رسوماً ــ كما هو الحال في حرف (الذال ) في أبجدية المسند كما سنرى ، إنما هي مستنبطة من شكل ذيل الركوبة ــ أو غير الركوبة من ذوات الذيل (انظر النقوش رقم ٧٣ ــ ٧٥ / ٣٢٥ / ٤٨١ / ٤٨٨ / ٤٨٩ / ١٢٩٨ من كتابي : المدونة العربية الموحدة للنقوش القديمة ــ المجلد الأول ــ صورها مرفقة) .

(مثال ــ حرف الذال ꟷ ــ من ذيل) لأسهم تشير إلى الذيل الذي نقش حرف الذال على غراره (عن المدونة العربية الموحدة للنقوش القديمة ــ المجلد الأول للمؤلف).

النقش رقم (٧٣/٧٤/٧٥)



الشكل رقم (١)



النقش رقم ٣٢٥

الشكل رقم (٢)

النقش رقم ٤٨١



الشكل رقم (٣)

النقش رقم ٤٨٨ و ٤٨٩



الشكل رقم (٤)

النقش ١٢٩٨



الشكل رقم (٥)

وإلى المسند تنتمي أبجديات كل من الخط الصفوي واللحياني والثمودي فهي صور عنه مختلفة التطور وهي تمثل فروع الخط المسند كما أسلفت، وتأثيراتها واضحة جميعاً، واضحة في بعضها وفي غيرها كما سنرى؛ ومع ذلك نجد من يتجنى ويحاول أن يجعل للحرف العربي (الجزم) أبوّة وأصول أخرى، وباعتقادي إنما نجم ذلك عن قصورهم في فهم تلك التأثيرات الثقافية المتبادلة بحيث يلحقون الجمود المغرض فيمن لا يرغبون، فيما لا يطيقون الاعتراف له بفضل فيكيلون الثناء لغير أهله...

وأضيف هنا: إن العرب الأوائل كما بدا لي واضحاً من النقوش واللقى القديمة قد استخدموا (اسم الحرف أي صيغة تسميته) [مثل حرف (صاد) وحرف (شين) وحرف (زين) وحرف (باء)...] فاستخدموا إذن اسم الحرف هذا اسم علم، أو اسماً يحمل معنى الوصفية، واستخدموه فعلاً. كما استخدموه حرفاً يحمل معنى الدلالة.. وللإيضاح أقول: إنهم قالوا وكتبوا في نقوشهم القديمة (صاد ملك العرب عجلاً وقدمه لصلم) وكتبوا كلمة **صادَ** التي هي فعل بحرف الصاد وحده وقرأوه صاد (بمعنى الصيدَ صاد يصيد)...

ومثله **باءَ** فعل وكتبوه حرفاً واحداً هو فقالوا (باء جيش بكتنصر بضر يدينه لصلم)... وقالوا وكتبوا اسم الحرف على أنه اسم علم أو صفة ـ فنقشوا لنا على الحجارة عبارت كثيرة لها الدلالة نفسها مثل (نون بن صخر) ودونها (نون) بحرف واحد هكذا: ومثلها شين بمعنى سيء ـ وزين بمعنى حسن... أما عن استخدامهم اسم الحرف فتفصيله في كتابي (المدونة العربية الموحدة للنقوش القديمة المجلد الأول السابق ذكرها) ثم زادوا على ذلك استخدامهم لمجموعة حروف أبجدية من مجموعة الكلمات الناظمة لحروف الأبجدية (أبجد هوز...) كاسم علم فقالوا (صعفص طاء بن... انظر النقش ٨٣٣ من كتابي السالف ذكره) (ويبجد بن)... مثلها فبالعودة لكتابي المذكور تتراءى سهولة تفهم وورود الحروف المقطعة في أوائل السور القرآنية أيضاً ففيه الشرح الوافي لهذا الأمر... ولئن كانت الحاجة قد بررت هذا الاستخدام فلها أسبابها وعلى رأسها صعوبة الكتابة بطريقة الحفر على الحجر مثلاً بالنحت ونقر الحجر، ولئن وسع هذا الاستخدام لاسم الحرف أو قلص أو شذب فإن هذا الاستخدام ظاهرة لم تندثر نهائياً بدلالة استخدامها في استهلالات السور القرآنية...(٣)

ومن المثير والجدير بالذكر أن تلك المصادر التي دونت معلومات مفيدة عن المسند في عصور قديمة وقريبة من عهده قد غاب (أو غُيِّب) جزء أساسي منها كما هو الحال بالنسبة للأجزاء المفقودة من كتاب **الاكليل للهمذاني** على أهميتها.. وأما تلك الكتب التي تؤيد بأن أبـوَّة وأصولية وجذور خط الجزم هي أبجدية خط لمسند كالقلقشندي وابن خلدون فإننا نرى الباحثين حولها ـــ وحتى العرب منهم ـــ يتبذلون تسفيه آراء هؤلاء والقائلين بالعلاقة الأبوية بين الأصل خط المسند ـــ والفرع خط الجزم (وهذا رأينا) التي أسعى هنا لإثباتها بالدليل والحجة ـــ ولقد أصبح الباحثون يجرون في ركاب المستشرقين ممن لم يأل جهداً في إنماء خط الجزم لأي أبجدية فيما عدا المسند وفروعه...

ولنستمع لما ذكرته السيدة سهيلة الجبوري في كتابها: «**أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي**» صفحة ٢٦ ـــ مع احترامنا لها ولعلمها:

(ليس بين الاختصاصيين المحدثين من يرى أن القلم العربي قد اعتمد في أسسه على القلم الحميري وبرهانهم:

ـــ إن حروف المسند الحميري تكتب منفصلة غير متصلة.

ـــ وتختلف في أشكالها اختلافاً بيناً عن أشكال الحروف العربية فليس بينهما حروف تتشابه إلا حرف واحد هو الراء) .

ـــ إضافة إلى أن اتجاه الكتابة في المسند لم يكن ينحصر كالعربية الشمالية في ناحية واحدة.

ـــ ولتمييز الكلمات وضع بينها خطوط مستقيمة عمودية.. (وتتابع السيدة جبوري)

ويقول السيد. د. صلاح المنجد في كتابه **تطور الخط العربي** ص ١٣:

.. ولقد دلت الدراسات المقارنة على أن الخط العربي لم يقتطع من الخط المسند الحميري أو فروعه التي عرفت عند الثموديين ـــ والصفويين ـــ واللحيانيين فهناك اختلاف كبير في شكل الحروف وتركيب الكلمة بين الخط العربي وهذه الخطوط)!

ولم يدرك السادة الدارسون أن الخط لم ينشأ دفعة واحدة، ولم يستقر على حال واحدة كذلك، و أن التطور ظاهرة صحية لم يتجرد منها خط المسند الذي لم يدرس حقه حتى الآن، وأن ما يستقى عنه هو القليل وغير واف. لذا أجد ضرورة ملحة للتنبيه إلى أن هذه

الدراسة وغيرها، ستأتي بالكثير من الوقائع التي تنقض المسلمات وتوضح جوانب ما زالت غامضة عن الحرف العربي قديمه وحديثه.

إن فراغ ساحة البحث أتاح الفرصة لذوي المصالح للبحث في تلك (المتروكات) وبنها، علّهم يجدون ما يشفي غليلهم ويحل عقد النقص لديهم، فبينما ينتظر قيام مدرسة عربية لكتابة التاريخ، نجد المدرسة التوراتية لكتابته قد عم انتشارها واعتمدت أسطورتها أساساً ومنطلقاً للعديد من المؤرخين، فاعتبرت التوراة مرجعاً أساسياً يعتد به، بينما يعلم الجميع أن التوراة خضعت لتبديلات كبيرة، إضافة إلى أن الكثير من نصوصها منقولة (انظر **التوراة الكنعانية ــ اللآلىء** لرئيس كهنة أوغاريت ايلي ميلكو للعالم هـ. ديل ميدكو ــ ترجمة مفيد عرنوق) فقد ورد في مقدمته (بتصرف):

(فقد كانت للكنعانيين توراة خاصة بهم دون أن يدري أحد بذلك إلى أن أماطت مكتشفات رأس شمرا ــ أوغاريت ــ اللثام عن ذلك. وهذه التوراة الكنعانية التي نسميها على سبيل الاستعارة «توراة» إن هي إلا التراث الكنعاني الفلسفي والديني والاجتماعي الذي دونه كتاب التوراة عام ٥٠٠ قبل المسيح، وكأنه حصيلة تراث الشعب اليهودي منذ فجر التاريخ حتى ذلك العهد، بما فيه من نبوءات مستقبلية، كما أرادوها أن تكون هذه التوراة اليهودية المعروفة تحت اسم ــ العهد القديم ــ شغلت دنيا المفكرين والعلماء واللاهوتيين زمناً طويلاً جداً أي ما يقارب ١٥٠٠ سنة وهم حيارى أمام ما جاء وما كان لهم إلا أن يضعوا علامة استفهام دون جواب أمام هذه التي تبدو **كالمعجزات**. وأما عامة الناس والمؤمنون فلم يضعوا حولها أية علامة استفهام بل تقبلوها على لسان الأكليروس المسيحي في العهود المتأخرة، وكأنها منزلة لا قبلها ولا بعدها لا يمكن أن يعلوها شيء... إلى أن انبجست الدفائن الأثرية كالينابيع الحية بعد رقاد آلاف السنين، فانجلت الحقائق في كثير منها ولا تزال ومن جملتها ما تضمنه الكتاب النوراة اليهودي من تراث اختلس اليهود معظمه، لا بل قاعدته الفكرية الأساسية عن التراث الكنعاني وتبنوه وكأنه تراثهم الأصيل!).

وبإعادة ترجمة الأثري (ديل ميدكو) لأدب أوغاريت الكنعاني من نصوص أوغاريت أزاح الغموض عن كتاب التوراة، بل فسر المعجزة بقوله: إن التراث اليهودي مأخوذ في قسم منه عن التراث الكنعاني، ومن قسم آخر عن تراث ما بين النهرين مختصاً بجزء يسير من التراث اليهودي... وفي قراءاتنا للتوراة الكنعانية ــ نرى تغييراً كبيراً للمفاهيم وانتصاراً لحق

الفكر عبر الأزمنة والتاريخ، علماً أن (ميدكو) عالم محايد، وكاتب النصوص كاهن أوغاريت الأكبر (ميلكو) كتبها بناء على أمر الملك (نيكمد) ملك أوغاريت خلف الملك الكبير بشكل دروس تلقى على أبناء الملك كتوجيهات ومواعظ في الأخلاق والعقائد الدينية والسياسية والسلوك الشخصي فأطلق عليها (اللآلىء) ثم مالبث اليهود أن اختلسوا النصوص، والدليل: ـــ قدم نصوص ميلكو ـــ وتطابق نصوص التوراة معها والتوراة متأخرة عنها، فالنتيجة أنها سرقت عن التوراة الكنعانية.

كذلك (عثر في اللويحات ـــ الرقم ـــ الابلائية على ملحمة ـــ جلجامش ـــ السومرية الشهيرة والموغلة في القدم، وهي تذكر الطوفان ذلك الحدث المشهور ـــ والذي تذكره أسفار العهد القديم (التوراة نفسه) وهكذا فهذه النصوص أقدم بكثير من عهود العبرانيين الذين يحاولون الآن التسلط بالإدعاء بها وقد سبق لهم سرقتها وتدوينها على أنها أسطورتهم.

وهكذا فالعودة لدراسة التراث الابلائي الكنعاني والآرامية المنحدرة جميعها من (أرومة واحدة) إنما تعبر عن حضارة الشعوب التي هجرت الجزيرة العربية مهاجرة إلى الشمال، وقد اتخذت هذه الشعوب في سياق التاريخ اللاحق اسم (عرب) نسبة للغتها العربية الغنية التعابير والمضامين، لدرجة أن متحجراتها وحدها تعدل عدة مرات الألفاظ التي تلزم لقيام لغة ثرية بالألفاظ، مما حقق لها السيادة على الابلائية والآرامية، برغم كون الأخيرة اللغة الرسمية لكل بلدان المشرق العربي. حتى انفراد اللغة العربية نهائياً. وفي دراسة التراث الكنعاني ـــ الآرامي نجد أنه قد غلبت فيه ـــ فيما بعد ـــ كلمة عرب بين شعوبه نتيجة سيادة اللغة العربية على أخواتها.

إن مسألة الأبجدية من المسائل التي لا حاجة بها إلى التاريخ والرواية لأن أسماء الحروف وأشكالها ومعانيها شاهدة بانتقالها من المصادر العربية سواء أكانت فينيقية أو آرامية أو يمنية في الجنوب، وفي وقت ما اعتبر عباس محمود العقاد أن الأبجدية من نتاج أسلاف العرب الأقدمين.

ويجنح بعض العلماء اليوم لاعتماد نظرية تقول بوجود لغة سامية(٤) أم تعددت لهجاتها بعدئذ في أثر انتشارها الجغرافي المتباعد وخضوعها لمؤثرات إقليمية مختلفة، ويغلب الظن أن هذه اللغة الأم هي لغة الجزيرة العربية القديمة التي تحدرت منها تلك اللغات إثر موجات الهجرة المتعاقبة باتجاه الشمال، أي باتجاه سورية وبلاد الرافدين ولعل في طليعة مؤيدات هذه

النظرية ذلك التشابه الملموس بين هذه اللغات جميعها، بحيث تبدو أقرب ما تكون إلى لهجات للغة واحدة.

ونلاحظ بين مفردات لغة أهل إبلا في الألف الثالثة ق. م مثل: كتب / يد / أخت (للفظ اكتو) وملك (ملكوم) وملكة (ملكتوم) ولعل الميم في آخر الكلمات بمثابة التنوين.. قمح / جزر / تين (تينو) ومئة (تلفظ ميّة) بتسهيل الهمزة وهذا مألوف في العربية.

ومن أوجه التشابه بين الابلائية والعربية الأم:

- الأسماء على وزن يفعل لـ: (يركب دامو) وهي تشبه يعمر / يخلف / يبع.
- والأسماء المركبة.. (يركب دامو) نفسها.
- وأسماء الأعلام المركبة المختصرة (عبدو) و (حمدو) بدلاً من (عبد الله) و (حمد الله) (انظر ص ٣٢ الكتاب الرابع ــ عاديات حلب ١٩٧٧).

(وهكذا فإن افتراض أن اللغة الابلائية قد تكون وفق الألفاظ المشتركة مع العربية ــ هي أصل العربية، وإلا فهي الشقيقة الأقرب لها (ص ٤١ نفس المصدر).

وما هذا الشرود ولا ذاك الاستطراد ــ مع الاعتذار ــ إلا لتقديم فكرة ضرورية للقارىء تتعلق بعدم لزوم ما لا يلزم من حتمية المدرسة التوراتية كمدرسة لكتابة التاريخ، لثبوت قصورها ولإغراضها، بل وتعنتها، وأرى لزوماً علي أن أذكر القارىء والكاتب والباحث بأن سبل أخرى متاحة لهم جميعاً يوفرها لهم ذلك التراث العربي من اللقى الأثرية والنقوش المكتوبة التي تخرج عن الحصر.

إن فراغ الساحة، وتخلي الباحث العربي عن مهمته جعلها ميداناً متاحاً واسعاً حتى سامها كل مفلس!

فقد اتضح لي من دراستي للنصوص الصفوية عند ليتمان التي شكلت دراستي لها في كتابي سابق الذكر (المدونة) وبشكل مؤكد أن هذه البعثة التي هي واحدة من بعثات تهافتت على المنطقة وما زالت جميعها لها خلفيات هادفة، وأحياناً مغرضة لدرجة الخطورة؛ إنما تجيء كل مرة باحثة من خلال مجموع أعضائها والعاملين فيها، منقبة في كل المجالات المتاحة لها عن الجذور اليهودية، وبخاصة ضمن تلك النقوش الكتابية، وتحاول أحياناً تحميل

النصوص مالم تقصده ومالا تتحمله ، وما لم يهدف إليه ناقشها ـــ ففي النصوص الصفوية حاول أنو ليتمان جاهداً كغيره في كل مرة أن يميل بشرحه لكلمة أو اسم يمر في النقوش من وجهة نظر توراتية ، بل ومن خلال كلمات مقاربة أو تتشابه بعض حروفها مع كلمة عبرية ليعزو للعبرية كل شيء . وذلك واضح من خلال أمرين :

١ ـــ الأول ميله بكل كلمة تحتاج لبيان اشتقاقها ليعزوها إلى العبرية لا العربية .

٢ ـــ نشره كل النقوش التي بلغت (١٣٠٢) نقشاً بالعبرية إلى جانب ترجمتها إلى الإنكليزية دون العربية .

لذا فقد عمدت إلى دراستها ونشرها بالعربية ، ولقد كرست تلك الدراسة موضحاً تلك الحقائق . وكذلك هذه الدراسة التي نحن بصددها لإعادة الأمور إلى نصابها ، بعد أن شردوا بالحقيقة عن جذورها لأثبت أن خط الجزم خط أصيل ومتطور عن سلفه الخط المسند اليمني العربي الجنوبي وذلك بإقامة الدليل المادي على ذلك . وقد ورد في القرآن الكريم : ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ كما ورد ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ .

ومن أحرى من خط الجزم بأبوَّة خط المسند له .

الـرد على الـدعـاوى والمدَّعيـن

علينا أن ندرك أن الصمت موقف ، وأن تكريسه مشاركة ، بل قد تبلغ مبلغ التأييد ؛ وفيما يلي أقدم نموذجاً عـلّي أوفق لمثل ما ذكرت من محاولات الافتراء التي تكرست دون أن تجد من يردها أو يناقشها ، أو حتى يمحص صحتها من عدم صحتها .

يظن جمهور المطلعين من قراء وباحثين أن الأولين لم يتركوا لنا عن أبجدية المسند ما يمكّن الراغب في البحث من الولوج عبر تلك النقوش النصوص .

وكان (دوسو) قد ذكر في كتابه (العرب قبل الإسلام في سورية الصفحة ٦٠ ما يلي :

(... والنصوص التي نشرها ــ دي فوجـه ــ قد أفادت الأستاذ ج هاليفي في فك رموز الكتابة ، وقد نشرت المجلة الأسيوية من عام ١٨٧٧ وحتى عام ١٨٨١ مقالاته بعنوان ــ محاولة في دراسة النقوش الصفوية ــ) .

إن في ذلك إجحافاً وتجنياً وادعاء في غير محله ، إذا ما تذكرنا أن :

ــ الجزء الثامن من كتاب الاكليل للهمداني قد حوى في الصفحة ١٢٢ و ١٢٣ منه جدولاً يتضمن أبجدية المسند ــ وما يقابلها من أبجدية الجزم (الصورة مرفقة) !

ولنتذكر أن ذلك قد تم قبل عام ٣٣٤ هـ أي ٩٤٥ م .

لقد ورد في الصفحة ٨٨ من كتاب الأبجدية للدكتور أحمد هبو :

قلصت أبجدية الجزم (أشكال) الحروف من ٢٢ شكلاً إلى ١٤ شكل نتيجة لدمج

ــ ج خ ح في شكل واحد .

ــ ر ز

ــ ب ت ث

ــ بـ تـ نـ يـ

ــ فـ قـ

كما ورد في الصفحة ٨٩ من نفس المصدر :

الترتيب الأبجدي القديم

أبجد هور حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ

ا ب جـ د هو ر ح ط ى ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ

ـ ترتيب المعجم

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن و هـ ي

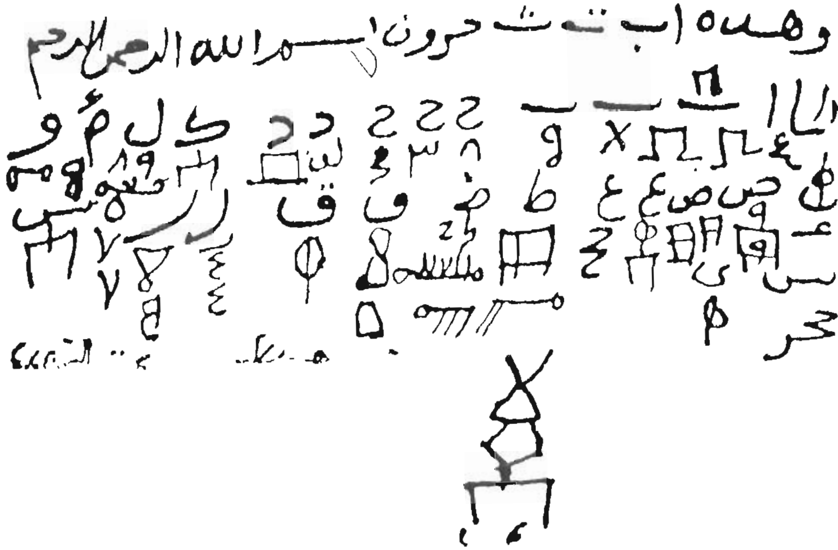
ـ وفي المغرب العربي (قرن ٩)

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و ي

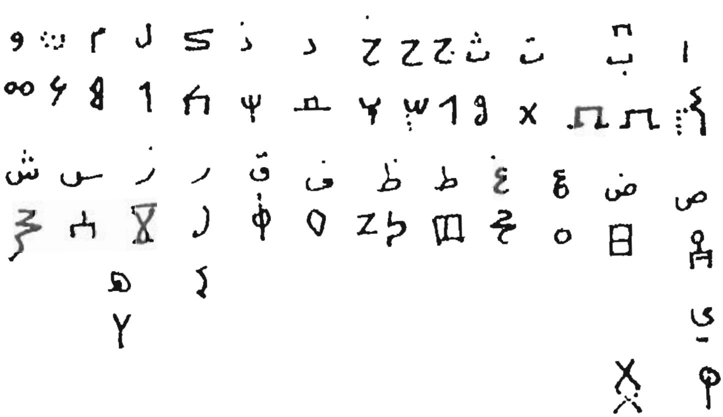
تزيد العربية على الفينيقية بـ ٦ حروف هي (ث خ ذ ض ظ غ) الروادف .

ـ بيما أوردها الهمذاني في ص ١٢٢ من كتابه الاكليل الجزء الثامن وفق التسلسل التالي :

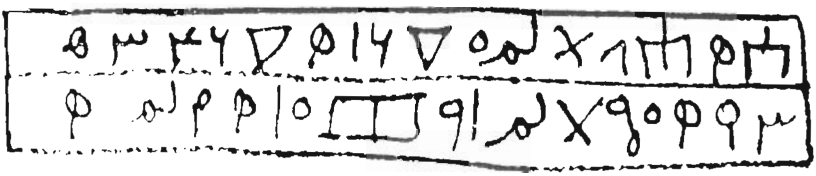
وهذه ا ب ت ث وسائر الحروف نقلاً عن ص ١٢٢ و ١٢٣ ج ٨ /



وفيما يلي إيضاح لتلك الحروف وما يقابلها:



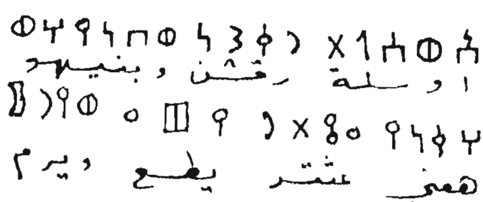
الشكل رقم (٦)



تفسيره : « وأوسله رقشن وبنيهو هقني عثتر يطع ويرم » فذهبت الألف المتوسطة وثبتت الواو للضمة التي عليها .

« أو سلمه بن قشان وبنيهو في عسر بطاع وبارم » في ب و « أو سلّمه رقشان وينهو في عسير يطاع ويارم » في ك و « أو سلمه رقشان وسهو في عسر يطاع » في ل و « أو سلمه رقشان وسهو في عسر يطاع وبارم »

ـ وأضيف النص الصحيح لو تم نسخ مخطوط الهمداني بشكل أدق :



الشكل رقم (٧)

ومع ذلك يدعى اليوم بأن هاليفي اكتشف عدداً من أبجدية المسند أو أحد فروعه، فقد ذكروا: إن هاليفي اكتشف ١٦ حرفاً صفوياً وأن بريتزيوز اكتشف ٥ حروف صفوية وأن ليتمان اكتشف ٧ حروف صفوية أخرى وأن باحثاً آخر اكتشف، وثالثاً استكمل اكتشاف باقي هذه الأبجدية ... إلى متى تبقى الساحة خالية! والساكت عن الحق شيطان وأخرس لأن الصمت موقف!

فإذا علمنا أن المستشرق النمساوي (موللر D.H. Muller) كان قد قام في عام ١٨٧٧ و ١٨٧٩ بنشر الجزء الثامن من كتاب **الإكليل** المذكور للهمذاني الحاوي كما أوضحت على جدول الأبجدية المرفق (انظر مقدمة ج ٨ من الاكليل)

وإذا قارنا بين تاريخ نشر «موللر» للجزء (٨) وضمنه الجدول المرفق وهو عام ١٨٧٧ و ١٨٧٩ وبين الأعوام التي حاول خلالها (ج. هاليفي) المذكور فك رموز!! وهي الأعوام من ١٨٧٧ وحتى عام ١٨٨١ فكيف يمكن قبول فكرة اكتشاف أو فك رموز كما سماها، مع أنها مذكورة في كتاب الهمذاني هذا قبل ما يزيد على تسعة قرون!

ومع ذلك نجد مع الأسف أن الباحثين بما فيهم كبار الأكاديميين لدينا يعبرون بهذه المقولات كراماً لا يلفت انتباههم مثل هذه الملابسات، بل إن في تكرارهم مثل هذه المقولات تكريساً لغربة مزمنة، فإن كان لأحد اليوم أن يدعي اكتشاف الكهرباء، وأنه اكتشفها اليوم أو البارحة عندئذ يحق لمثل هؤلاء الادعاء بكشف الرموز والأبجدية التي وضحها هذا العربي المغمور قبل ما يزيد على تسعة قرون ــ فمزمار الحي لا يطرب، ولا كرامة لنبي في وطنه، وهكذا ما زالت الآذان تطرب لذكر هؤلاء المستشرقين وتستقي من مناهلهم ومصادرهم أفكاراً شتى أفبعد هذا يدعون!

إذا أمعنا فيما سلف ندرك أخيراً وعن ثقة لماذا هذا السفر العظيم، الإكليل ما زال مفقوداً في جل أجزائه العشرة التي لم ينشر منها بعد سوى الأجزاء الأربعة (١ / ٢ / ٨ / ١٠) ومع ذلك تبحث عنها عزيزي القارىء في الأسواق والمكتبات العربية وقد لا تجدها وإن وجد فبعضها، لذا لا بد لنا أن نعترف بأن صمتنا الطويل كان موقفاً وكرس حقائق مبنية على الأوهام التي أحبها لنا خصومنا.

ولا يفوتني أن أذكر بالقول الذي كثيراً ما روجوا له عن أسباب فقدان أجزاء كتاب

الهمذاني التي لم يعثر عليها كما يدعون، ونصدق نحن تلك الدعاوى بأن أهم أسباب فقدانها كان: (ما ذكره الهمذاني فيها من مثالب القبائل) ومع ذلك فإني أشك في كل ذلك وما أخفي إلا لأمر جلل حواه هذا السفر لا يقل عن الأبجدية التي تستروا على ذكرها ليدعوا اكتشافهم لها نتيجة دراسات وبحوث ومقارنات، وكذلك جعلوا القبائل تلاحق كتاب الهمذاني فتعدمه على مر العصور!

نشـأة الأبجـدية

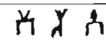
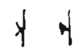
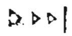
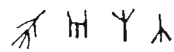
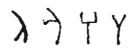
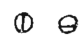
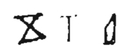
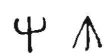
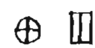
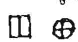
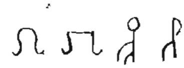
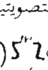
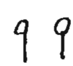
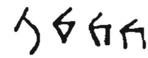
بين الهيئة التصويرية ــ والتصويتية

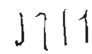
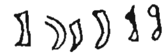
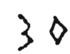
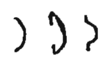
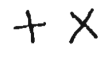
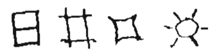
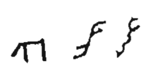
وصولاً إلى الـرمـز

إن الأبجدية العربية الجنوبية اليمنية (المسند) وفروعه سالفة الذكر لا بد أنها استمدت من الواقع وليس من فراغ أوحي بها بقدرة خفية.

فانطلاقاً من الشكل لهيئة مادية ملموسة ــ وانطلاقاً من هيئة تصويتية للصوت المنطوق به ووصولاً إلى الرمز الذي صار يمثل ذلك النطق بعد أن مثل على هيئة تصويرية ــ ولتحديد مسار أدق نقول: إنه لا بد للحرف الرمز الذي نتعامل به اليوم على شكل مستقر، لا بد أنه مر بتطورات ومراحل متلاحقة شذبته وحددت له مدلولاً انفرادياً لا يشاركه فيه حرف آخر، انطلاقاً من مصدر اقتباسه من الطبيعة المحيطة بمستنبطه الإنسان وما فيها من أشياء، ومروراً بأصوات نطق الإنسان نفسه في حالات مارسها وزاول فيها النطق مضطراً أو مختاراً، هادئاً أو منفعلاً، ولا بد أن مرت كل هذه الخواطر بمراحل اصطفاء جماعي عفوي غالباً، ومقصوداً أحياناً وصولاً إلى الحرف الرمز كما سأوضح في الجدول التالي:

جـدول مصــادر نشــوء الأبجديـة

شكل الحرف بالمسند وفروعه	الـجـزم	استنباطه ومراحل تشذيبه (الهيئة التصويرية، والهيئة التصويتية)
	ء ا	اخذت من الهيئة التصويرية لصوت الثور والهيئة رأسه التصويرية  مخرج صوته
	ب	إن الباء أخذت من الهيئة التصويرية  لأول إنجاز للبشرية وهو البيت، مقترناً بأول نطقه لصوتي لاسمه
	ج	استمدت من شكل الجبل O والجمل ٦ (اختزالاً من رقبته) ـــ الهيئة التصويرية/وأول نطقهما ـــ التصويتية
	خ	التصويرية عندما يخر الجمل λ ـــ أما التصويتية فإنه ينادى له بـ ا خ خ خ...
	د	التصويرية سطح يدق عليه  ـــ أما التصويتية فإن صوت دق يبدأ بنطق الدال
	ذ	التصويرية من ذيل كل ذي ذنب  (النقوش المرفقة والسابق ذكرها) وفي نطق اسم الذيل تتمثل الهيئة التصويرية
	هـ 	التصويرية من هيئة التأوه وتنفس المجد أو المنادى  ـــ أما الهيئة التصويتية فتتمثل بصوت التأوه..
	و	التصويرية من هيئة الفم وهو ينطق الواو واللسان في وسطه ـــ أما الهيئة التصويتية فالصوت نفسه عند النطق بها 
	ز	التصويرية من هيئة شكل الرمز (انظره في نقش عاقر ١٦٩ من الساميين العرب لوهيبة الخازن ـــ والتصويتية من صوته 
	ح	التصويرية من شكل الـ· حربة  والتصويتية من اسمها وأول نطقها
	ط	التصويرية من شكل الطاقة  في جدار أو حاجز والتصويتية من أول نطقها
	ظ	التصويرية من شكل  الظهر (ضد الصدر) والتصويتية من أول نطقها
	ي	التصويرية من شكل اليد المرفوعة لمناسبة النداء  ومن صوت النداء (يا) الهيئة التصويتية
	ك ک	التصويرية من شكل كف  مطبقة برز

		إبهامها، ومن أول نطق اسم كف الهيئة التصويتية
	لـ ل	التصويرية من شكل اللاوي (الباكور الملوى الرأس) والتصويتية كذلك من أول نطقه.
	م مـ	التصويرية من هيئة الـ (مص) والتصويتية من أول حرف لنطقها (انظر النقش ١٠٨ من لوحة عقر الناقة مرفقة).
	ن	التصويرية من حية الماء المسمّاة نون والتصويتية من أول حرف لنطقها
	س	التصويرية من سنم أو سنخ أصل السن والتصويتية من أول حرف لنطقها
	ع عـ	التصويرية من شكل العين والتصويتية من أول حرف لنطقها
	ف	من شكل الفم عند نطقها والتصويتية من أول حرف لنطقها
	ص صـ	من شكل الصدر والتصويتية من أول حرف لنطقها.
	ق قـ	التصويرية من شكل القطع أو القمر والتصويتية من أول حرف لنطقها.
	ر	من شكل الرأس أو من راش السهم والتصويتية من أولى حرف لنطقها.
	ش	التصويرية من شكل الشق أو الشج التصويتية من أول حرف لنطقها.
	ت	التصويرية من شكل تقاطع تعارض والتصويتية من أول حرف لنطقها
	ث	التصويرية من شكل ثاية (حجر القدر على الموقد) والتصويتية من أول حرف لنطقها.
	ض ضـ	التصويرية من شكل الضح (الشمس) والتصويتية من أول حرف لنطقها.
	غ	التصويرية من شكل الغزال أو الغراب والتصويتية من أول حرف لنطقها.
	ز ــ ظ	التصويرية من شكل الزيز حشرة طنانة والتصويتية من صوته بالذات.

الشكل رقم (٨)

وهكذا نرى أن قول العرب تفرساً (لكل مسمى نصيب من اسمه) وهذه خاص
تميزت بها اللغة العربية وغالبية أخواتها اللغات ذات القرابة الوثيقة بها.

ونستطيع بذلك أن نؤكد أن لا الحرف ولا غيره نجم من فراغ مطلق لا إيحاء ولا حت
من مجهول، وهكذا تصبح الأبجدية مبررة الوجود من محيطها، ومن الطبيعة التي نشأت في
حتى ترعرعت من صور مادية إلى أصوات نطقية، ثم إلى رمز هو الحرف!

وبعد أن قدمت ما سلف فإني بذلك لا أهدف إلى نبوءة حول الحرف، أو افتراء عل
نشوئه، وإنما تبسيط لخلق مفهوم مجرد للحرف الذي كان وما زال أهم ما استنبطته البشرية
فصار الحرف مناخاً للفكر فيه يحلق ويعدو، ثم يعود؛ وهكذا تتبادل البشرية أفكارها محمول
على رموز معدودة هي حروف الأبجدية.

إن هدفنا من ذلك تقريب ما ابتعد مع الزمن عن معارف البشرية المعاصرة التي تتناول
الحرف اليوم رمزاً مجرداً له عدد لا ينتهي من الاحتمالات التركيبية مع غيره، تعزز مفردات اللغ
بدورها، وكلما كانت هذه المفردات ثره واسعة ظهرت خصوبة الفكر عن ذلك الشعب
وتلك الأمة، ومن الجدير بالذكر أن متحجرات اللغة العربية (المفردات التي أقلع الناس عن
استخدامها) تفوق كثيراً تصوراتنا، ولئن أقلع عن استخدامها في وقت ما فليس ما يمنع عود
استخدامها.

ولنا في أساليب البحث العلمي كما أسلفت، ومنها التجريب والاستقصاء، ما يفي
بكشف ما خفي من أسباب ومبررات، وكيفية نشوء أية ظاهرة مهما عتقها الزمن، وذلك في
سبيل الاقتراب من الحقيقة.

ومرة أخرى بنظرة فاحصة لن نجد في النقوش العربية القديمة غالباً رسماً لذي ذيل إلا
وكان على شكل حرف الذال نفسه، كما ذكرت سابقاً.

إن الملاحظات السالفة تبعث في الذهن تصوراً مسبقاً، وإن لدى الإنسان شعور
داخلياً ينسق ما بين النطق وما بين الهيئة أو التصور المقابل لهيئة ما، بمعنى أن بعلاقة تختلف
من شخص لآخر بين الرمز نفسه وبين هذا المُرمّز، ونحجم عن الخوض فيها مكتفين بأن
إشارات معاصرة استخدمت في هذا المجال لترميز الإرسال والاستقبال اللاسلكيين

( للإرسال) و ( للاستقبال) وكلا الرمزين يقارب ما يعنيان في المسند مع بعض الفوارق الشكلية .

فرمز الإرسال يشبه  حرف الألف ، وفي إطلاق صوت الألف عند لفظها آ ـــ ما يشبه إرسال الصوت منطلقاً للأعلى .

بينما رمز الاستقبال يشبه  حرف الخاء الذي ينطقه وكأنه يطلب من الجمل النزول أرضاً إلى الأسفل ... فهذا التنسيق إنما يمثل أمراً اعتبارياً .

على إني بذلك لا أريد أن أحمل هذه الرموز أكثر مما تعني ، إنما أهدف بذلك أن الإنسان بعقله وتدبيره قادر على التعامل بالرمور ، وفي أدب الرموز ما يعني من الإشارة إلى الإسهاب ، فعندما استنجد عياض بن غنم وهو على حصاره لدومة الجندل عاماً كاملاً ، حيث أرسل يستنجد بخالد بن الوليد ، وكأنه يستشيره بحل ما ـــ أجابه خالد مرمزاً جوابه بقوله :

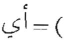
لبث قليـــــــلاً تأتك الجلائب يحملـــن آساداً عليها القـــاشب

كتـائـب تتبعـهـا كتـائـب

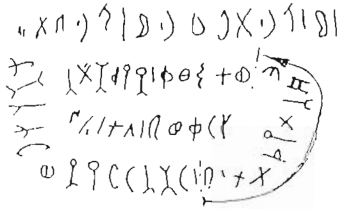
فإن خالداً بذلك أراد أن يقول لعياض معاني فيها غمز بأن لا تظهرنّ لهفتك بل أعلن جلداً ولبثاً وتصبراً ، ستأتيك جوالب الحظ والنجدة خيل خالد تحمل صحابته (ﷺ) فهم آساد في الليل والنهار يحملون معهم الموت للأعداء ، إنما لا تنتظرنّ يا عياض وصول جيش اللجب ، بل سيصلوك تباعاً ، كتائب ، تسللاً لتأمين المفاجأة التي كانت فعلاً(٥) .

ولا أريد أن ألصق بشكل نهائي صيغة واحدة لكل حروف الأبجدية ، على أن المصدر واحد دوماً ، لأن في ذلك التعسف الذي يناقض الرأي العلمي ، ولأنه ربما كان فعلاً بعض حروف الأبجدية في المسند اعتمد مصدراً من الكلمات والهيئات والأصوات غير ما ذكرته ، ومع ذلك أرى أن هذه الطريقة هي الأرجح والأبسط على الفهم كوسيلة لاستنباط الأوائل لأبجديتهم التي اعتمدوها . فنقشوا أفكارهم بحروفها التي ورثتها عنهم خلائفهم ، وكل عن أسلافه وارثها . ولا داعي للاجتهادات العسيرة التي نهج عليها بعض المستشرقين في محاولاتهم للبحث عن الأبجدية التي أخذت عنها أبجدية المسند ، التي كما رأيناها مشتقة من المصادر والأصوات والهيئات والمسميات ، والتي ذكرناها بجانب كل من حروف الأبجدية في المسند لذا فإني أرى :

إن حروف المسند هي أبجدية أمّ، وليست فرعاً؛ ولئن تأثرت مع الزمن بحروف أبجدية أخرى من حيث الشكل، فإن ذلك يعني أنها تفاعلت ولم تبقى جامدة، ثم إن التقسيمات والجداول والمشجرات التي وضعت للأبجديات واللغات، إنما هي اعتبارية لا غير، فليس لها على صعيد الواقع حدود على الأرض العربية، لأنها نظرية فقط؛ إذا لا شيء يمنع من كتابة الحرف نفسه في شكلين متقاربين، ما دام لفظه واحداً في سيناء وفي اليمن.. وعند أذيال جبل العرب في منطقة الصفا..

وتعدد أشكال حروف الأبجدية الواحدة، أو الأبجديات المتقاربة، لا ينقص من قيمتها وشأنها، إنما تجعلها أكثر مرونة وتلاؤماً، لكنها ليست بالضرورة أن تصير أو نصيّرها نحن بعد عشرات القرون فرعاً لغيرها، بل تجعلها أكثر مرونة وتلاؤماً، لكنها ليست بالضرورة فرعاً لغيرها، لهذا أعود فأؤكد أن أبجدية المسند هي الأقدم، وعنها وليس عن غيرها أخذت أبجديات أو تطورت أبجديات أخرى، بما فيها أبجدية الجزم العربية التي نكتب بها اليوم، وذلك مثبت في كتابي هذا بالوثائق واللقى الأثرية اللاحقة إن أبجدية أعطت حرف الضاد من كلمة (ضح)=أي شمس انظر النقش رقم ٧٠١ المرفق وصورته على هيئة الشمس  ثم شذبته   هي مصدر ذاتها، ومصدر لغيرها وليس العكس، بدلالة ما ذكرته سابقاً بأن أسماء الحروف استخدمت فعلاً واسماً إضاف لاستخدام الحرف نفسه كحرف (نون / عين / شين / زين / صاد / ضد / حا ميم / يبجد / سعفص..)..

701 _



الشكل رقم (٩)

وردت كلمة الضح في النقش ٧٠١ من كتابي المدونة السابق ذكره. حيث ورد في هذه النقش ـ بمحاذاة السهم ـ (... سنة تدغ الضح (الشمس)..)

اتهام وتحذير !

قالها الأولون :

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

إن في الأرض العربية في باطنها وعلى ظهرها مصادر التاريخ ، وبخاصة التاريخ العربي الأقدم ، فبينما يبحث عن مصادره في كل مكان في هذا العالم ، نهمل ما دونه الأوائل في وطننا ، ويبدو الانسجام أكثر مع مقولات مكرسة كالحقائق للانسلاخ عن الواقع ، وقالوها أيضاً : « مزمار الحي لا يطرب » كما أن كرامة النبي خارج وطنه ، فلا كرامة لنبي في وطنه ، وفي هذه الوقفة المبدئية لا أقصد رثاءً ولا تفجعاً ، لكني أعبر عن معاناة ذاقها منا كل من حاول البحث عن الجذور في دائرة وطننا العربي — ولست هنا أهدف إلى الهجوم أو لمديح الاستشراق الذي شارك بشكل ما بزيادة الفجوة ، كما تناول جانباً منها بعين العلم .

لقد كرست مفاهيم مسبقة بأن خط الجزم الذي نكتب به اليوم مبتوراً لا صلة له بخط المسند (المزند) العربي الجنوبي القديم — وحتى هؤلاء الذين حاولوا إنماءه إلى الخط النبطي أو السرياني ... وكأن ذلك أصبح مسلمات لا تناقش لديهم .

إن إهمال دراسة الخط المسند وفروعه — الصفوي والثمودي واللحياني — وعدم نشرها وتعميم اللقى منها ، وبالتالي غياب النصوص التي دونت بها عن عين ويد القارىء العربي بخاصة — في عصر القدرات الهائلة للنشر سواء أكانت للنصوص أو النقوش المختلفة والرسوم والخرائط ، وإمكانات نقلها وإرسالها بالوسائط السلكية واللاسلكية ، وعبر الأقمار الصناعية . ولا يمكن وصف ذلك القصور إلا بسوء التدبير وفداحة الخلل ، ولئن وصف بالإهمال فإنه مقترن بالفعل والاستمرار لطمس تاريخ ما دونه التاريخ من السيرة والتاريخ العربي المغرق بالقدم ، والمدون على وسائل ذلك الزمن من الحجارة بشكل عام ، وعلى ألواح البرونز أحياناً في اليمن وأنحاء الجزيرة العربية كلها ، وفي بلاد الشام وبادية السماوة — وبخاصة في حوران ومنطقة الصفا . إنها مسؤولية الدول قبل الأفراد ، ومن أراد البراءة لنفسه من تلك التهمة فليبادر لتوفير أسباب العمل لجمع تلك النقوش — النصوص ، وفك رموزها ، ونشر مضامينها ؛ فهي ذاكرة الأمة وتاريخها ومن غيرها يمكن أن تعاني الأمة فقدان الذاكرة ! وإن

قيام المؤسسة المفتوحة للبحث العلمي في هذا المجال لا يمكن أن يكون تأثيرها على الدول إلا إيجابياً سواء في الجوانب المادية والإنسانية، وحتى السياسية لأي كان ـــ ولقد عمدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ إدارة الثقافة لإصدار كتاب (مختارات من النقوش اليمنية القديمة) للمرحوم د. محمود الغول وآخرين ولقد عانى الكثيرون ـ وأنا واحد منهم ـ للحصول على نسخة من هذا الكتاب الحاوي (١٢٠) نصاً أما كتابي: (المدونة العربية الموحدة للنقوش القديمة المجلد الأول) والذي يحوي (١٣٢٠) من النصوص المدونة بالخط الصفوي ـــ فرع الخط المسند ـــ والمرفق بدراسة تلقي الضوء ساطعاً على قوم غمروا حتى الآن ـــ برغم أنهم يمثلون جذوة الوطنية والقومية، ومثلاً يحتذى لرفضهم الخضوع للاحتلال الروماني، وصمودهم على أرضهم التي احتلها الرومان!

ولسوف يرى القارىء العربي فيها المزيد من وفرة المعلومات حولهم إن قيض لهذا الكتاب أن ينشر، لأنه ما زال ينتظر ناشراً جريئاً. ولقد أوردت هذين المثلين من الواقع كيلا يفسر قولي أنه تجنٍ على أحد.

إنه إهمال مقصود أن نغفل تلك النصوص، ونتجاوز وجودها فهي حقائق.

لكنه إهمال مسؤول، ولسوف يأتي اليوم الذي تنطق الأجيال القادمة برأيها حيال ذلك التقصير البالغ، وبخاصة أنهم عديدون هؤلاء الذين يطلقون مثل هذه التحذيرات العلنية التي لا يمكن بعدها أن يقال بأن القادرين لم يبلغهم مثل تلك الحقائق.

إن قليلاً من الاهتمام وقليلاً من التمويل يمكن أن يدفعا تلك النصوص إلى يد المفكر العربي قارئاً ومحللاً دارساً وكاتباً. والأهم أن تحفظ من العبث تلك النقوش التي يعود الفضل في حفظها إلى غياب التدخل البشري والنشاطات الإنسانية عنها ـــ وذلك إلى حد كبير ـــ.

إن مهمة كتابة التاريخ ستكون بالغة الحساسية والحرج عندما تسفه تلك النصوص لذرائع نقصها وعدم اكتمالها وتجزئتها ـــ وما دام لم يعن بهذا الجانب الأساسي من مصادر التاريخ العربي، ومن المؤسف أن يعقد أي مؤتمر للتاريخ العربي القديم دون أن يتبنى بشكل جذري تلك النصوص. وإن لم يتبنها فلسوف تكون كتابة التاريخ نقلاً عن مصادر لا ضمان لتجردها وإنصافها.

إن كتب أقل أهمية، ولا يمكن مقارنتها بأهمية ما أدعو إليه، تغرق المكاتب ودور النشر والمطابع وتشغل الطاقات والجهود، وتستهلك الكثير دون أن تكون لها تلك الأهمية والحاجة

التي توازي أهمية النصوص التي تركها الأوائل مكتوبة بالمسند وفروعه، وماذا بعد كل هذا التحذير !! لعله يقيض من يعي تلك الصرخة ويهتم بمضمونها ــ ولعلها تجدي .

فإذا ما أضيفت الحقيقة التالية لما سلفت بدت الهوة السحيقة التي تفصلنا عن تاريخنا المكتوب ــ لا كما يدعي بعض الكتاب أن تاريخ الجاهلية غير مدون، بينما يقول الدكتور محمود الغول «لم يصلنا من العرب قبل الإسلام عن طريق الأخبار والشعر الجاهلي وسائر المصادر الأخرى مجتمعة ما يعدل في قيمته وكميته ووثوق مصدره ما تحويه هذه النقوش . لذا لا يجوز أن يتصور أحد أنه قادر عن الاستغناء عن معرفة مادة النقوش هذه إذا شاء أن يعرف تاريخ جزيرة العرب وأهلها قبل الإسلام» وقد ورد في مقدمة كتاب (مختارات من النقوش اليمنية القديمة) السابق ذكره (أما الحقيقة التي أود إضافتها فهي تلك الدراسات التي قام بها العلماء الأوروبيون المتخصصون في الدراسات اليمنية على مدى قرن من الزمان أو يزيد بلغاتهم المختلفة في مدونة منذ العقد الأخير من القرن الماضي، وحتى نهاية العقد الثالث من القرن الحالي في ثلاث مجلدات باللاتينية، ثم هناك مجموعة أخرى بالفرنسية استمرت لما بعد الحرب العالمية الثانية، والمجموعتان اللاتينية والفرنسية تضمان حوالي ٤٠٠٠ نقش بالمسند . وما بعد الحرب العالمية الثانية متفرق في عدة مجلات ودوريات ونشرات !! ...) وأضيف أو مكدساً في مخابىء لم تر النور، ولم ينشر فيها شيئاً بحسب علمي ببعضها، أو ما زال منثوراً منها الكثير على سطح الأرض، ويمكن للعابر التقاطها مباشرة ــ كما هي الحال في منطقة الصفا عند وادي أوبيرة على القبر قرب النقطة ٦٢٠، وحتى تلك المدونات وما تلاهما من دوريات بعيدة المنال لم أرها مجتمعة عند جهة ما .

فإلى متى لا يجمع العرب نصوصهم وقد اغترب قسم كبير منها خارج الحدود .

ولنلاحظ جميعاً ببساطة كيف يستبعد الكتاب اليوم تلك الروايات حول كل ما يغرق في الزمن الجاهلي بدعوى أنها الأساطير !! وما هي إلا روايات لها جذور، وإن بولغ في بعض مضامينها؛ ويمكن للباحث الناقد ذي البصيرة أن يدرك المبالغات منها والحقائق ــ وقد أتيح للعاقل القدرة على التمييز وأوكل إلى القلب ــ العقل نفسه ــ ذلك الاستفتاء فدوماً استفتِ قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك !

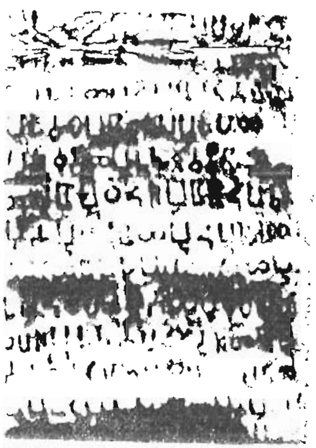
فقد أسقطت الكتب والمواثيق والعهود الموضوعة افتراءً سواء أكان على النبي (ﷺ) أو على خلفائه نتيجة تلك المقارنات لأعمار الشهود ــ أو لعدد سنوات إسلامهم، وهذا

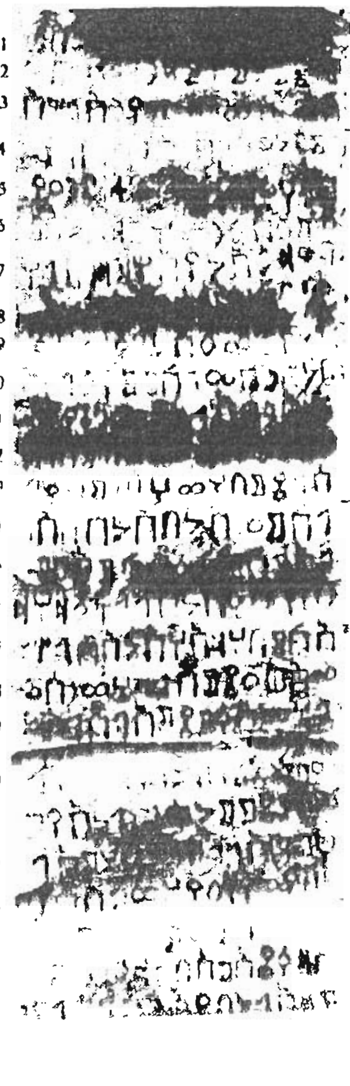
ما لايفوت على الدارس الباحث المتمعن ما تمكن من علمه ــ والعرب وحدهم أهل علم السند وتمحيص الرواة والرواية ، وتصحيح ما صح منها ، وإسقاط ضعيفها ؛ وما يأتي في تلك الأساطير من مبالغات لا شأن للعرب الأوائل لها ، إنما هي من وضع رواتها ، لكن ذلك لا يدفع إلى تسفيهها وإلى نسفها من أساسها على أنها أساطير ، إذ بذلك نكون قد ظلمنا التاريخ وأهله . لماذا للتوراة مدرسة تدفع بها إلى حيز الوقائع ، وتدفع عنها كل ما ليس في مصلحة أهلها . عن طريق دحض هذه الروايات ــ الأساطير ــ ونحن في التاريخ العربي نساير مقولة المدرسة التوراتية في تهزيل وتصغير شأن التاريخ (ومشروع) مدرسته العربية التي لا بد من قيامها يوماً ما ، فبينما هذا هو الشأن يرى كل المؤرخين العرب نماء الأسطورة التي وردت في العهد القديم (التوراة) وحدها ــ وغداً إنْ كَشَف الأثريون أية مدينة أو حضارة كان لا بد للتوراتيين من ربط ما مع المكتشفات ، ليس من باب الحقائق إنما من باب إشغال كل الساحات المفرغة ، وفي مثال عن جرأتهم هذه الربط مع إبلا كنمودج لاقتحام كل المجالات والحضور الدائم .

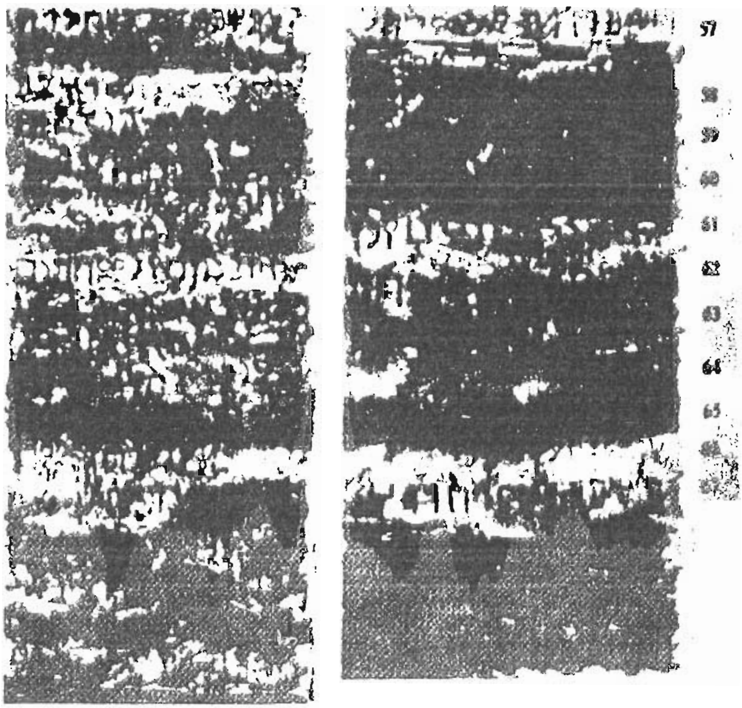
إن بعض النقوش بالمسند وفروعه تثبت بأن المقولة السائدة التي يسمونها الأسطورة أو الأساطير العربية إنما هي حقائق ودون أية مجازفة ، وبالتأكيد المادي ، وباللقى الأثرية يقوم الدليل على أن ما سمي بالأسطورة إنما هو حقيقة وقعت ، وإن بولع في بعض جوانبها وبخاصة في مجال الغيبيات ، ومن الغريب والمحزن معاً اختفاء العلم والمعرفة بالمسند وفروعه ، حيث بقيت جميعها مغمورة حتى فترة قريبة برغم أنه قد (ثبت من كتب الهمذاني أن القلم المسند كان معروفاً عند علماء العرب ، وبخاصة اليمنيين منهم حتى عصر أبي محمد الحسن الهمذاني المتوفي سنة ٣٣٤ هـ) .

(انظر الصفحة ــ د ــ من كتاب ملوك حمير وأقيال اليمن ــ قصيدة نشوان وشرحها) .

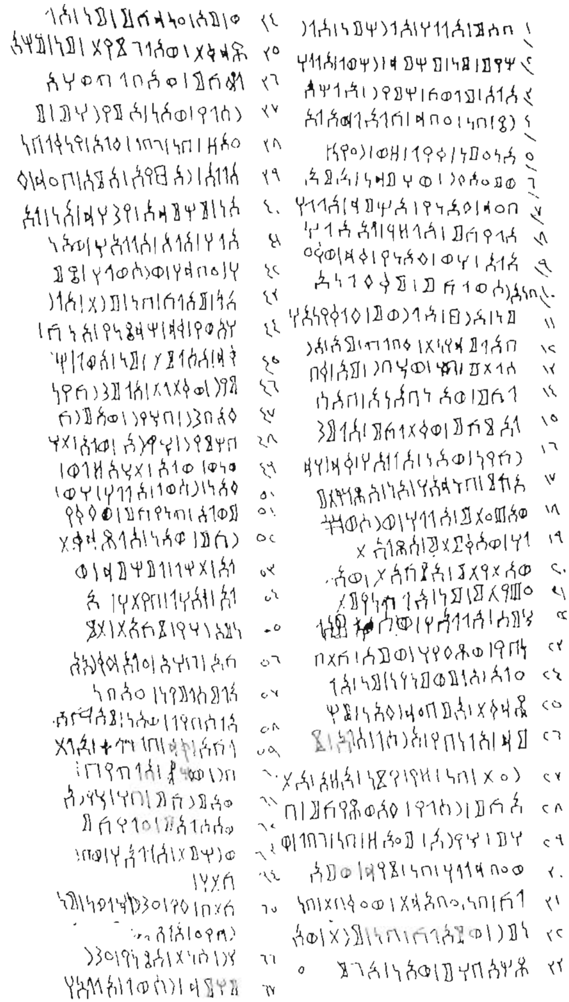
ولقد أورد السيد محمد حميد الله في كتابه الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة الصفحة ٢٢٠ وما بعدها رسالة دونت بخط المسند اليمني الجنوبي وموجهة إلى الحارث بن عبد كلال وغيره (مرفقة) .







الشكل رقم (١٠)



نقل المكتوب النبوي الشريف إلى

المسند (الخط اليمني)

الشكل رقم (١١)

بما أن نص الخطية بالمسند يختلف كثيراً بوثيقتنا ، ننقلها كما هي ، ونزيد أرقام الأسطر .

(١) بسم الله الرحمن الر
(٢)حيم من محمد رسول الله
(٣) إلى ملوك حمير الحا
(٤) رث بن عبد كلال وإلى
(٥) النعمـان قيل ذو رعيـن
(٦) ومعـافـر وهـمـدان . أما
(٧) بعد فإني أحمد الله
(٨) إليكـم الـذي لا إلـه
(٩) (إلـ)ـا هو . فإني قد وقع
(١٠) بنا رسولكم مقفلنا
(١١) من أرض الروم فلقيناه
(١٢) بالمدينة فبلّـغ ما أر
(١٣) سلتم به وخبّـر ما قبـ
(١٤) لكـم وأنبـأنـا باسـ
(١٥) ـلامكم وقتلكم المـ(شـ)ـــ
(١٦) ركين وأن الله قد هـد
(١٧) اكـم بهـداه إن أصلـحتم
(١٨) وأطعتـم الله ورســو
(١٩) لـه وأقمتـم الصـلاة
(٢٠) وآتيتــم الـزكـاة وأ
(٢١) عطيتــم مـن الغنيمــة
(٢٢) خمس الله وسهـم الـ
(٢٣) ـــ(نـ)ـبي وصفيه وما كتب
(٢٤) (على ا) المؤمنين من الـ
(٢٥) صدقة . أما بعد فإن مـ(حـ)ـــ
(٢٦) ـمد النبي أرسـل إلـى ز
(٢٧) رعـة بن ذي يـزن إذا أتـ
(٢٨) ـاكم رسلي فأوصيكـم بـ
(٢٩) ـهم خير (ا) : معاذ بن جبل و
(٣٠) عبـد الله بـن زيـد ومـا
(٣١) لك (بـ)ـن عبادة وعقبة بن
(٣٢) نمـر ومـالـك بـن مـرة وأ
(٣٣) صحـبهـم . وأن أجمـعـ
(٣٤) ـوا ما عنـدكـم مـن الـ
(٣٥) ـصدقة والـجزية من مـحـ(ـا)
(٣٦) ليفكم (= مخاليفكم) وأبلغوها
(٣٧) رســلي . وان أميـرهـم مـ
(٣٨) ـعاذ بن جبـل فلا ينقلـ(بنّ)
(٣٩) إلّا راضياً . أما بعـد فـ
(٤٠) ـان محمـداً يشـهـد أن لا
(٤١) إلـه إلّا الله وأنّـ
(٤٢) ـه عبده ورسـولـه . ثـم
(٤٣) إن مـالـك بن مـرة الـر
(٤٤) هاوي قد حـدّثني أنـك

الشكل رقم (١٢)

(٤٥) قد أسلمت من أول حـ

(٤٦) مير وقتلت المشركين

(٤٧) (فـ)ـا بشر بخير . وآمرك

(٤٨) بحمير خيراً . ولا تخـ

(٤٩) ـونوا ولا تخاذلو (١)

(٥٠) فإن رسول الله هـو

(٥١) مولى غنيكم وفقيـ

(٥٢) ـركم . وأن الصدقة

(٥٣) لا تحلّ لمحمد و

(٥٤) لا لأهل بيته إ

(٥٥) نما هي زكاة تز

(٥٦) كى بها على فقرا (ء)

(٥٧) المالمين (= المسلمين) وابن

(٥٨) السبيل وأنّ ما

(٥٩) لكا قد بلغ الخـ

(٦٠) ـير (= الخبر) وحفظ الغيب

(٦١) وآمركم به خيراً

(٦٢) والسلام عليكم

(٦٣) ورحمة الله وبر

(٦٤) كته

(٦٥) [كتب في عشر خلون من ربيع الآ

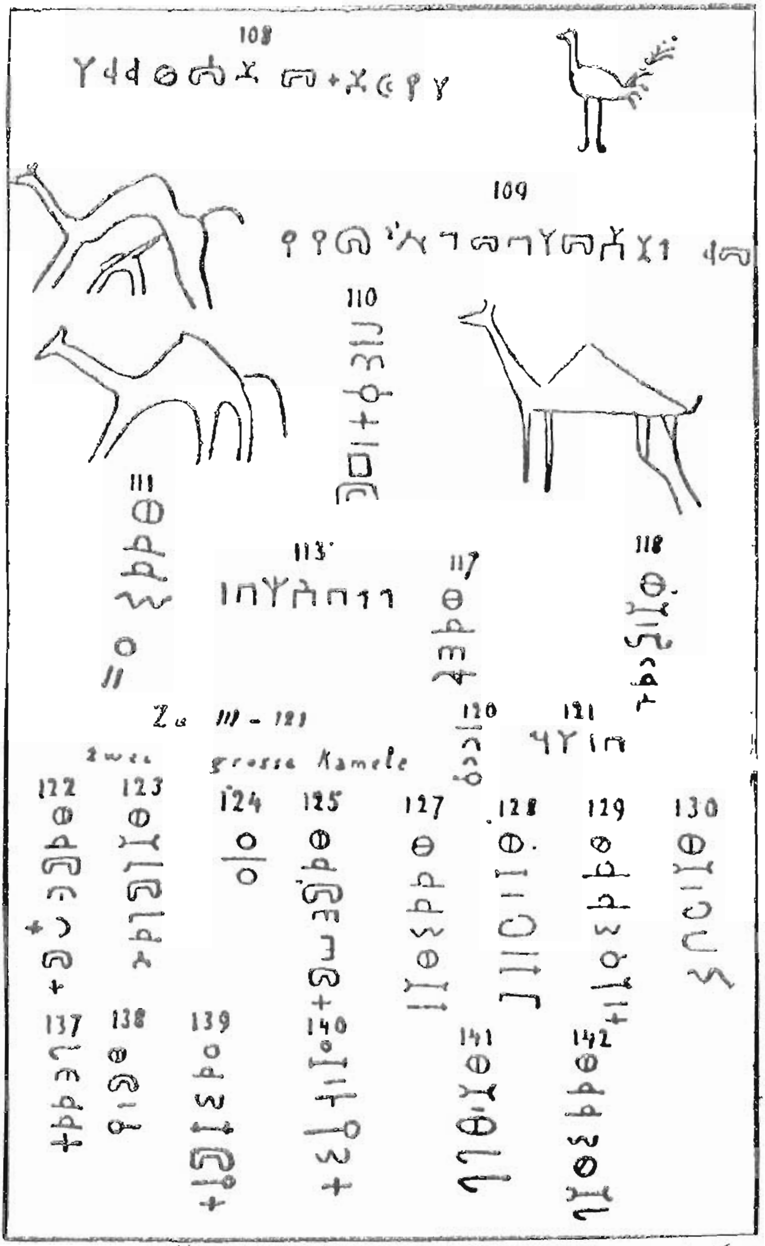
(٦٦) خر سنة اثني عشر]

(٦٧) محمد رسول الله

وفيما يلي سأروي نموذجاً مما ذكرت ، وأترك للقارىء الكريم أن يتمعن ويستنتج ويكون الحكم الفاصل على صدق الرواية العربية ، وأبلغ الأمثلة على مقولتي هذه :

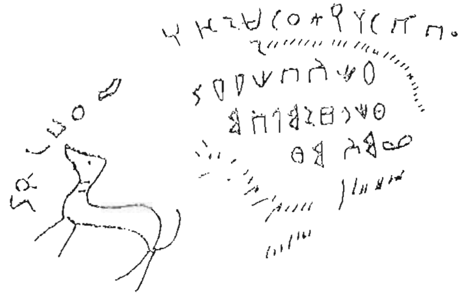
ففي رواية عقر الناقة وثمود : التي وردت في الأسطورة العربية ــ وفيما بعد جاء بها القرآن الكريم موضحاً ــ بينما أنكرت التوراة وتجاهلت الأمر !

ومنذ فترة قصيرة تأكدت هذه الواقعة في نقش « مرفق » أعدتُ نشره حديثاً (برغم أنه التقط من قبل أنو ليتمان ونقله عنه المرحوم الدكتور جواد علي في كتابه **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام في ٣٢٧ / ١**) إنما دون أن يشير كلاهما إلى أية علاقة لمضمونه بقصة ثمود وعقر الناقة من قريب أو بعيد ــ (انظر بحثي المنشور في مجلة نهج الإسلام الدمشقية العدد بين ٢٢ و ٢٣ . إضافة إلى نص طسم وجديس (غير منشور) وكلا الروايتين (عقر الناقة / وطسم وجديس = مرفقين) .

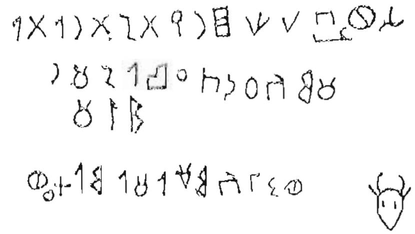


الشكل رقم (١٣) درست ونشرت من قبل المؤلف في مجلة نهج الإسلام الدمشقية ـــ انظر العددين ٢٢ و ٢٣ ـــ تحت عنوان.

(عقر الناقة في لوحة ثمودية) عن المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ص ٣٢٧ / ١

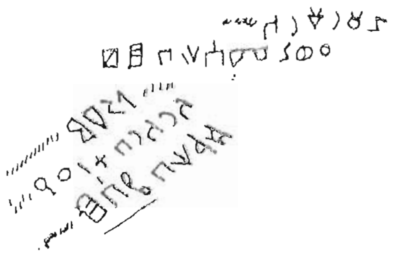


(آ)



(ب)

على جدار في منطار بني عطية ــ ص ١١١ من المقدمة المذكورة



(جـ)

من جبل غنيم

الشكل رقم (١٤ ــ آ ــ ب ــ جـ)
نقش ثمودي على جانب جبل غنيم ص ١١٢ مقدمة عن الآثار السعودية

أما الشاهد الآخر : والأكبر والأكثر إنصافاً وبتواضع فهو بحثي هذا التالي الذي أورده فيما يلي معللاً ومرفقاً بالأدلة المادية ، لعله يبعث الجرأة لدى العارفين المحجمين بلا سبب للإقدام في هذا المجال ، طالما أوتوا الحجة والوسيلة ، والقدرة العلمية ، وأسباب البحث دون تهيب من نقد أو نقاش ، ودون تهور أو مبالغة ، ما دام جوهر الموضوع هو البحث ، ومن شروط البحث العلمي الاستعداد المسبق للإذعان للدليل والبرهان !

ويقول السيد زين الدين المصرف في موسوعته ص ١٠٦ :

(ومن الغريب أن المستشرقين الذين عرفوا بميلهم للإحاطة بما ورد في الكتب العربية التاريخية القديمة ، باعتبارها أغزر مادة وأقرب إلى المنطق لفهم الحوادث ، فقد أهملوا أكثرها فيما كتبوه عن أخبار ما قبل الإسلام لمشاهير الرواة منهم : عبيد بن شرية الجرهمي وضبة بن قنبة ــ ومحمد بن السائب الكلبي وابن هشام وكعب الأحبار) .

ثم إذا طرحنا السؤال التالي :

ماذا تعني كلمة (الجزم) (الجذم) ؟

والجواب : إن الجذم هو الأصل ، إنه الجذور ففي اسمه شاهد على أنه (الخط الأصل والأساس) ولسوف يتضح من خلال الصفحات التالية ما يؤيد ذلك بوضوح .

على أن من قال بالجزم (بالزاي) لم يجانب الحقيقة لأنه يعني الاقتطاع ، وخط الجزم مقتطع من المسند ، فأياً كان لا نجد له معنى غير ما ذكرنا .

بين دربين : الضياع والهدى

عثر على كتابة تشبه الهيروغليفية في سيناء في منطقة « سيرابيط الخادم » وسميت البروتو سينائية (السينائية الأولى) تمييزاً لها عن « السينائية » التي ترجع لعصر الأنباط في « وادي المكتب » جنوبي سيناء . وحسب رأي بعضهم أنه يبدو بأنها أبجدية محورة إلى حد ما عن الهيروغليفية ! إنما فقدت خصائصها الأصلية الهيروغليفية وتخلت عن (المقاطع) ـــ و (مخصصات المعاني) وصارت أبجدية ، وقالوا : إن أصحابها عمال ساميون عملوا في مناجم الفيروز بسرابيط الخادم (ورموز الهيروغليفية تبلغ ٦٥٠ رمزاً) مبررين ذلك لاستعصاء الهيروغليفية على هؤلاء العمال البسطاء ؟؟ فبسطوها إلى أبجدية متبعين الطريقة الأكروفونية ـــ با تخاذ الصوت الأول للعلامة عندما تدخل في تركيب الكلمة والمثال 𓉐 (علامة منزل) = بيت فأخذ رمزاً لحرف الباء . وهكذا خضعت الهيروغليفية المصرية لنوع من التعديل على يد هؤلاء الساميين مؤداه انتقاء علامات معينة ـــ من علاماتها الكثيرة ـــ وتغيير مدلولها من المقطعية إلى الأبجدية ـــ وبالتالي تكونت الأبجدية البروتو سينائية اشتملت على ٢٧ حرفاً !

وهذا الاكتشاف توصل إليه هؤلاء الساميون ، وأدى لانتقاء علامات من علاماتها الكثيرة ـــ وفي الهيروغليفية ٢٤ حرفاً أبجدياً ، لكنها لا تستخدم بمفردها إنما (كمكمل صوتي للعلامات المقطعية غالباً) لذلك فقدت العلامات الأبجدية أهم ميزاتها . .

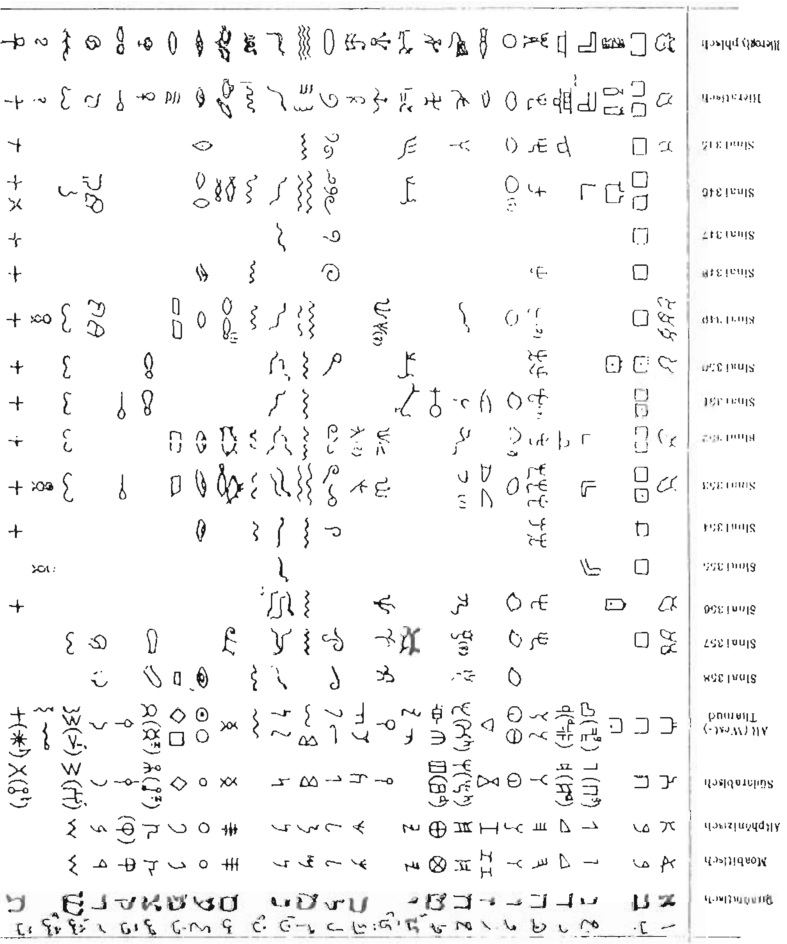
وقدر ذلك ما بين القرنين ١٦ ـــ و ١٤ ق . الميلاد ؟!

كما قدر أقدم من ذلك (زمن الأسرة الثانية عشر) .

ومن قائل بين الرأيين ما بين (١٤٩٠ ـــ ١٤٣٦ ق . م) .

ثم أضافوا أن الكتابة البروتو سينائية انتقلت إلى الجزيرة العربية ، وتفرعت منها الأبجدية الجنوبية .

علماً أنه (الفرع الجنوبي) المسند الأكثر قدماً من العربية الشمالية من حيث اشتقاقه من البروتو سينائية . وهناك من يرى أن العربية الشمالية هي فرع من العربية الجنوبية (٣٥٦ / ٢ دراسات تاريخ الجزيرة العربية) .



أشكال الحروف السينائية

عن هانس ينسن— برلين/١٩٦٩—

وفي كل هذا الاستعراض تلاؤم وهوى لا غير مبنيين على حجج شكلية ، إذ لا شيء ، يحدد أسبقية أي من هذه الأبجديات ، وإن التشابه في أساس النطق ، والفكر في النطق واختزاله إلى أبجدية أو تكوينه من أبجدية ، لا يمكن لأحد أن يجزم بعدم تشابهه بين أفواه وحناجر من ينطق لغة ما ـــ ألم تكن لغة قبل الحرف أليس الحرف المنطوق استنتاج من صوت النطق ـــ إن طاقة الحلق والحنجرة وجوف الفم لها كلها مجتمعة طاقة محدودة في النطق ، ذكرها وحدد مخارج الحروف فيها كتاب التلاوة تحديداً لنطق كل حرف والأجزاء المشاركة في تكوينه وإخراجه .

لذلك وما لم تقم أدلة قاطعة على لقى مؤرخة ، أولها دلالة تاريخية معينة فستبقى تلك التصنيفات بحاجة لإعادة النظر .

إذ كيف يمكن فهم أن هؤلاء الذين سموهم (بالبسطاء) استطاعوا اعتماد أبجدية بديلة لأبجدية حضارة سبقتهم ـــ أظن أن العكس هو الصحيح !

وليرحم الله الفاضل عبد القدوس الأنصاري الذي يقول عن (المنهج الذي اختطه المستشرقون عندما يعالجون قضايا التاريخ العربي بالتفكير الغربي في جاهلية العرب وفي إسلامهم ، محاولة منهم في تزييف تاريخ العرب والإسلام ، إذ ينـصّبون أنفسهم أوصياء مفوضين على هذا التاريخ العربي أجمع ، فيرسمون مخططات نابعة من البيئة الاستشراقية الغربية النزعة والعناصر التي لا تمـتُّ إلى بيئة العرب ولا مفاهيمهم ولا تاريخهم ...) (١٣٩ / ٢ **دراسات تاريخ الجزيرة العربية**) .

وأضيف أنا : لنتصور كيف ينظر هؤلاء إلينا ، وإلى تراثنا من خلال النظرة الفوقية لهؤلاء من عنوان لمحاضرة (كمثال) ألقاه المستشرق الإيطالي أغناطيوس غويدي : (بعنوان التقدم العقلي عند العرب !) أما المضمون فأدهى وأمر !! ص ٤٧ (محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام ـــ أغناطيوس غويدي ترجمة د . ابراهيم السامرائي) لذا لا بد من نهج يكتبه الأبناء بأسلوب علمي مبرر دون عاطفة ودون تسيب لا يدع وصاية لأحد على التراث ـــ بعيداً عن السيطرة الروحية المسبقة والهيمنة والادعاء بأن أمة ذات تراث بزت العالم

بفكرها، تدع المجال حتى الآن مفتوحاً لأوصياء وقيمين على تراثها، لكن ما السبيل إلى ذلك ــ ونحن لا بد أن نعترف أنهم يعرفون عنا، ويهتمون بتاريخنا، لكن بنفَس وموقف فوقي ــ إن السبيل إلى الحل واحد لا غير: أن تقوم الإمكانات الذاتية والمحلية لإجراء البحوث اللازمة على ذلك التراث، لا أن ترسل (الرقم والنقوش) المكتشفة في باطن الأرض العربية وعلى ظهرها لتتم قراءتها في كل الدنيا دون الوطن الأم، مما يعرضها للاغتراب الأبدي كما هو حاصل.. فأين هذه الرقم؟ والجواب صعب ومريع حتى مدونة واحدة لا تتوفر على اتساع الوطن العربي وضخامة مؤسساته..

لماذا؟ الجواب يعرفه كل المعنيين، لكن لا حول لهم ولا قوة للباحث، فصاحب الرغبة بإنقاذ تلك النقوش، العارف بأهميتها أعزل من الوسائل المادية، فرأسماله فكره وقلمه، بينما نجد ذوي القدرات المادية تنصرف طاقاتهم المدججين بها إلى مجالات عادية، وليست بمستوى هذه المدونة ــ ولا بأهمية تلك النقوش.

ولأن الطريقة التجريبية كما أسلفت هي إحدى وسائل وطرق البحث العلمي، فأية عملية مخبرية هي سند يبتنى عليها عمليات أساسية، فلماذا لا نعتمد ونعمد إلى وسيلة اعتمدها العلم وهي ميسورة للراغبين.

لذا فقد لجأت في بحثي هذا للوصول إلى النتيجة الحاسمة، ولإعطاء المثل الذي يحتذى لهؤلاء السادة القادرين على بناء المختبرات للبحث للوصول إلى الحقيقة، وإلى هؤلاء وأولئك كرست هذه الكلمات الأخيرة من هذا البحث، علهم ينتبهون فيدركون الأهمية التي أحاول إيضاحها!

حول توصيف الحرف(٦)

مخارج الحروف :

مخرج الحرف : هو الموضع الذي يخرج منه ، ويتميز به عن غيره . وعرف الحرف بأنه صوت يخرج من مخرج محقق أو مقدر .

المخرج المحقق: هو الذي يعتمد على جزء معين من أجزاء الحلق أو اللسان أو الشفة .

المخرج المقدر : هو جوف الفم والحلق ، أي فراغهما ، ويخرج منه حروف المد ولا يعتمد الحرف على جزء معين من الفم بل يخرج من فراغه ، ولذا يقبل الزيادة والنقصان .

والحروف : هي الهجائية وعددها (٢٨) حرفاً في اللغة والكتابة العربية الحالية ، أي خط الجزم و (٢٩) في خط المسند (أي بزيادة حرف هو بين الزاي والظاء وعلى وجه الدقة كلفظ العامة لحرف الظاء في كلمتي ــ مضبوط مز (ظ) بوط وضابط (ضزابط)

وهناك من يقول بأن الهمزة في الأبجدية العربية بخط الجزم حرف مستقل ، فتكون أبجدية الجزم (٢٩) حرفاً ــ كما هو عند البصريين ــ و ٢٨ ــ عند من لا يعترف بالهمزة حرفاً مستقلاً ــ كما هو عند المبرّد (فعنده الألف والهمزة حرف واحد) .

ويفرق بين الألف والهمزة : أن الألف دائماً ساكنة !

بينما الهمزة متحركة وساكنة !

ويعتبر اللسان العربي الأقدر على نطق الحروف بدلالة احتواء أبجدية على حروف يتعذر نطقها عند غير العربي مثل (الحاء) (والعين) (الضاد) ..

ولقد أشبع الدارسون الأوائل (الحرف) تفحصاً ووصفاً وتمييزاً ، الأمر الذي يفسح المجال واسعاً لدراسة اللهجات ونطق الحروف في كل منها .

كما أن القرآن الكريم الذي تولد عنه علم مستقل هو «التجويد» أي إجادة النطق وإفصاح الحرف والكلمة . الأمر الذي يفسح المجال واسعاً لدراسة اللهجات ونطق الحروف في كل منها .

وفيما يلي أرفق :

١ ــ جدول مخارج الحروف .

٢ ــ رسم بياني للفم وسببه مخارج الحروف وموقعها من الفم .

٣ ــ جدولاً مفصلاً لمخارج وصفات الحروف .

(راجع الواضح في شرح المقدمة الجزرية ــ لعزت دعاس ــ حمص ١٩٨٦)

جدول لبيان مخرج كل حرف حسب
ترتيب حروف الهجاء

الحرف	مخرجه
ا ــ	الجوف .
ء ــ	أقصى الحلق .
ب ــ	الشفتان (مما يلي الفم) .
ت ــ	طرف اللسان وأصول الثنايا العليا .
ث ــ	طرف اللسان وأصول الثنايا العليا .
ج ــ	وسط اللسان مع ما فوقه من الحنك الأعلى .
ح ــ	وسط الحلق .
خ ــ	أدنى الحلق (مما يلي أقصى الفم) .
د ــ	طرف اللسان وأصول الثنايا العليا .
ذ ــ	طرف اللسان وأصول الثنايا العليا .
ر ــ	طرف اللسان مع ما فوقه من الحنك الأعلى .
ز ــ	من طرف اللسان وأطراف الثنايا السفلى .
س ــ	طرف اللسان وأطراف الثنايا السفلى .
ش ــ	وسط اللسان مع ما فوقه من الحنك الأعلى .
ص ــ	طرف اللسان وأطراف الثنايا السفلى .
ض ــ	أدنى حافتي اللسان مع ما يليها من الأضراس العليا .
ط ــ	طرف اللسان . وأطراف الثنايا العليا .
ظ ــ	طرف اللسان . وأطراف الثنايا العليا .
ع ــ	وسط الحلق .
غ ــ	أدنى الحلق من اللسان .
ف ــ	بطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا .

ق ــ أقصى اللسان مع مافوقه من الحنك الأعلى .

ك ــ أقصى اللسان مع مافوقه من الحنك الأعلى تحت مخرج القاف .

ل ــ أدنى حافتي اللسان إلى منتهى طرفه مما يقابل الأضراس .

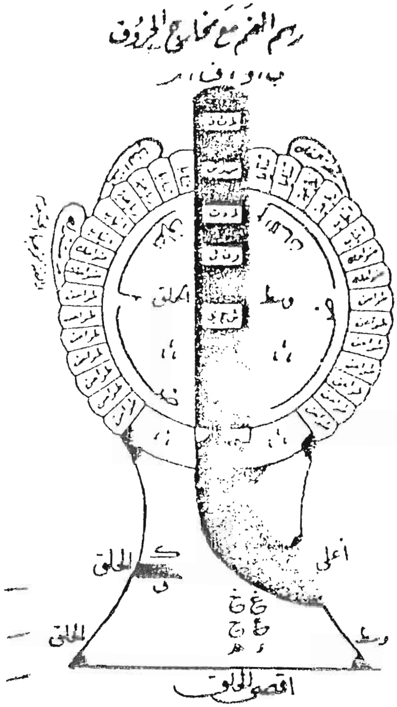
م ــ الشفتان إذا كانت مظهرة والخيشوم إذا كانت مخفاة أو مدغمة .

ن ــ طرف اللسان مع ما يليه من أصول الثنايا العليا تحت مخرج اللام إذا كانت مظهرة والخيشوم إذا كانت مخفاة أو مدغمة .

هـ ــ أقصى الحلق .

و ــ من الجوف إذا كانت مدّية ومن الشفتين إذا لم تكن مدّية .

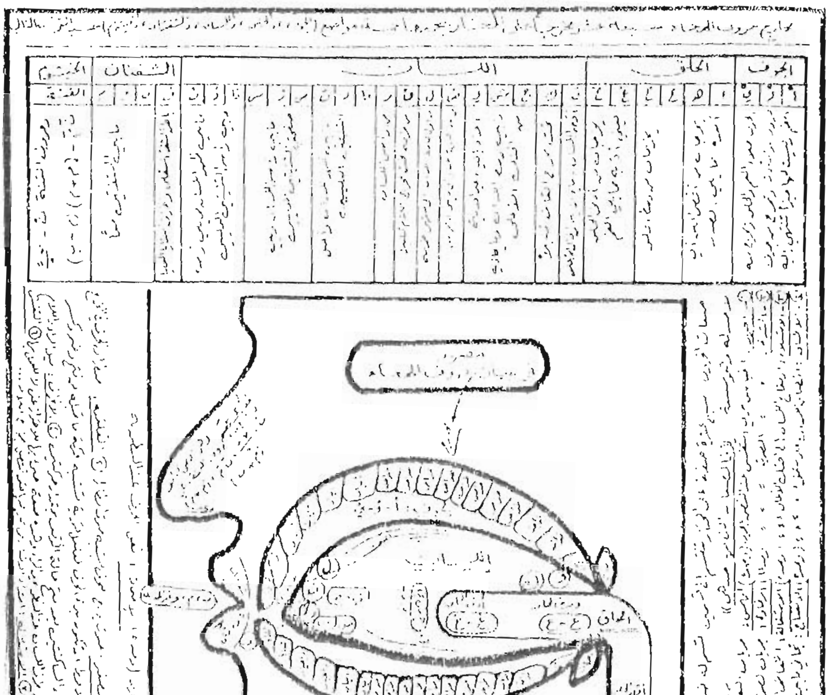
ي ــ من الجوف إذا كانت مدّية ومن وسط اللسان مع مافوقه من الحنك الأعلى إذا كانت غير مدّية .



الشكل رقم (١٥ ــ آ)

رسم الفم مع مخارج الحروف

ــ عن (شرح المقدمة الجزرية ــ لعزت دعاس)



الشكل رقم (١٦) ب

الحرف بين النطق والنقش !

فيما يلي لا أود أن أبحث في فقه اللغة ، لكني وجدت نفسي أمام مسألة جذري
مضمونها سؤال بسيط (ما مصادر الحروف) ؟ أي من أين استقى الحرف لفظه وشكله
لفظه وشكله الأولين قبل تعرضه للتشذيب .

الجواب كالسهل الممتنع !

إن الطبيعة والبيئة المحيطة بالإنسان هي مصدر غنيً لكل ظواهرها بما فيها الإنسان ذو
السمات الفريدة ، إن المتمعن في أشكال الحروف يجد في محيطه وعلى الطبيعة مستمداً لها
وإلا فهل هي وحي أنزل أو لغز أبدي .

ففي الأشكال التالية الواردة في النقوش ذوات الأرقام (٧٣ ـــ ٧٥) و ٣٢٥ و ٤٨١
و ٤٨٨ و ١٢٩٨ من كتابي حول الكتابات الصفوية عند أنو ليتمان ـــ نجد أن رسو
الحيوانات المرسومة فيها نقش بذيل واضح الشكل ، هو مصدر حرف الذال في رأيي .
وهكذا أبرز الناقش حرف الذال بشكل واضح هو (الذيل) .

وبقليل من التبصر والإمعان فيها نجد لها تعبيراً نظيراً هو حرف = (ذ
(الذال) =  (وفي مناقشة بسيطة) أيهما أقدم ؟ طبعاً عندما خلق الذنب لمخلوقات
خصصت به لم يكن الإنسان قد بلغ مستوى يميزه كثيراً عنها إنما عندما سمّى ذلك العض
منها ونطق بها على أنه (ذنب) (ذيل) كان أمامه إما تعبير مقطعي مؤلف من / ٣ / أصوات
هي ذ / يـ / ل ، أو تعبير أكثر تطوراً هو الحرف الواحد بـ (صوت واحد) اختص به = ه
الصوت الأول من هذه المجموعة وهو (ذِل = ذيل) لكن طبيعة النطق بحرف واحد مدعا
للبس والقصور في التعبير ، لذلك كان لا بد له من تصور (الصوت الواحد = ذ ذْ 
صورة ، والنطق باسمه (صوتياً) بمقطع من ثلاثة أصوات : ذل / ذيل / = / ذال / 
وكان هذا الشكل مبدئياً فكرس نهائياً .

إنها مناقشة مبسطة لتغطية الارتقاء من عشوائيات النطق إلى الالتزام بحرفية النطو
الأول : وإنها مسألة تصورية في الوقت نفسه ، وصولاً إلى رمزية الحرف فهي (أي رمزية صور

الحرف) لم تأت عن عشوائية قدرية ، بل عن عمل مبرر فكري معتمل ومقصود ! أي أن حرف الذال هذا سار للوصول إلى ما هو عليه متداول اليوم على اتجاهين : الأول نطقي ، والثاني نقشي :

فالنطقي بدأ مقطعياً وانتهى (بصوت واحد) وعلى لسان ناطقه .

أما النقشي فبدأ مجتزأ من الطبيعة وانتهى مشذباً على يد ناقشه .

هذا على صعيد البداية .

أما على صعيد المعاصرة اليوم ، فالحرف جاهز يؤخذ من معلم يهبه لتلميذه فيصبح في ذهنه وعلى لسانه من المسلمات التي لا تناقش ــ وبين الحالين دهور ومعاناة وقعت وتحملها الأوائل ، لكنهم خرجوا بالحرف الذي سيطر على نتاج الفكر فقيده (حصراً وتدويناً) وبذلك تمت أهم عملية إبداع قامت بها المخلوقات البشرية حتى الآن وما عداها من ولادة ومفاعيل الحرف نفسه .

ومن الجدير بالذكر والإيضاح .

أن التقولات حول نشوء الحرف كثيرة لم تبلغ مبلغاً ينير السبيل أمام هذا السؤال الكبير والمزمن (كيف نشأ الحرف) وفيما أسلفت نموذجاً مبسطاً جداً لهذه المسألة المعقدة فهنا في نصف صفحة عبرنا عن نشوء حرف واحد ، لكنه في الحقيقة احتاج هذا الإبداع إلى زمن طويل ، وفكر مجموعات بشرية كان عليها الاصطلاح لتتفاهم ولتتبادل أفكارها مهما كانت مبدئية وبسيطة .

وفي رأيي ، وكما توضح لي من خلال مقارنة الأبجديات ، فإن (أبجدية المسند) هي الأبجدية المبدئية ، أي إنها الأصل ، وهي المصدر الذي صدر الحرف للعالمين بدلالة أنها (أي الأبجدية في المسند) تطابق تماماً مبدئية استخلاص الحرف على الأسلوب الأول ، وهي الطريقة التي تتخذ الصوت الأول المنطوق من اسم الشيء المسمى للدلالة مثل (بيت) بـ يـ ت فأخذ الباء من أولها .

وكان لا بد للأحرف غير الصوتية من إعطائها مدىً لزمن نطقها يمكن من التعبير عن الحرف وحده مستقلاً ، إذ كيف يمكن نطق حرف ما (مثلاً ــ ب) كيف تنطق مستقلة ؟

هل تنطق صامتة دون حركة، ولا مدّة ولا إضافة؟

هل هناك طريقة صوتية للتعبير عن الحرف دون لبس؟ أو ما ندعوه اسم الحرف.

نرى أنّـا نجد ثلاث طرق:

١ ــ بنطق مسمى يبدأ به الحرف ــ وذلك أمر اصطلاحي مثل ألف (ا) ــ بيت (ب)...

٢ ــ بتهميز الأول (ء ا = آ) (إب = ب) وهذه الطريقة تشمل كل الحروف.

٣ ــ بتهميز الآخر أو تسهيله (بِ = با = باء) (ح = حا = حاء) بالنسبة لبعض الحروف / أو إضافة حرف آخر مثل.

(د = دال) و (ذ = ذال) و (و = واو) و (ز = زاي وزين) و (ك = كاف) و (ل = لام) و (م = ميم) و (ن = نون) و (س = سين) و (ش = شين) و (ع = عين) و (غ = غين) و (ق = قاف) و (ص = صاد) و (ض = ضاد).

ويبدو أن هذه الصيغ لأسماء الحرف إنما وجدت ووصلتنا لأنها استخدمت للدلالة على معانٍ معينة (من باب استخدام اسم الحرف / فعلاً أو اسماً..).

وفيما يلي أثبت لائحة مبدئية علّها تحسن التعبير عما قصدته، ولست بالضرورة مصراً على أنها كانت هكذا البدايات، لكنها على هذا النحو وفق ما أرى.

فإذا أخذنا بالاعتبار العوامل العديدة والمؤثرات التي انتابت أو أحسنت للترميز الذهني وصولاً إلى الأحرف، فإنها كثيرة؛ ففي الأبجديات التي اتجهت للاختصار والاختزال واستمرت بالتفاعل فقد أنجزت مهمتها وبلغت شأوها، وفي تلك التي بقيت مترهلة عانت الكثير، وقد سبق أن ذكرت ما معناه أن السومريين بدورهم وكتابتهم قد انتقلوا من كامل الصورة للتعبير عن (حيوان مثلاً) إلى رسم رأسه عوضاً عن رسم كامل هيئته، فذلك إذن أمر مألوف وسنرى في الجدول التالي ما يوضح هذا الجانب في تطور أبجدية المسند إلى أبجدية الجزم:

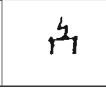
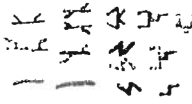
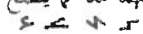
جدولة التحول المباشر من المسند وفروعه

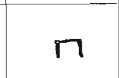
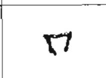
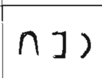
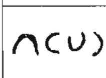
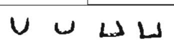
إلى

خطنا الحالي

(خط الجزم)

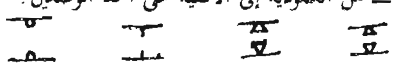
مراحل تطور أبجدية المسند وفروعه إلى أبجدية الجزم تحت مجهر الاختبار التجريبي

الحرف	من العمودية إلى				الأفقية
الألف والهمزة ا ء	المسند	اللحياني	الثمودي	الصفوي	الجزم
					
التطور الطارئ من المسند إلى الجزم	١ ـ من العمودية إلى الأفقية  ٢ ـ إلى التشذيب ٣ ـ بعد التشذيب ٤ ـ إسقاط الألف اللحيانية لتخلف تحولها بمرحلة واحدة عن الثمودية والصفوية ـ مما يؤكد السبق الزمني لعمرها فهي أقدم منهما معاً كما يتضح ٥ ـ المحصلة : الهمزة  المقتطعة والمتولدة عن الأبجديات الأربعة ٦ ـ ومن المحصلة : الألف الأفقية (انظرها في كلمة الله في نقش أم الجمال الثاني) وفي : (اللام ألف ـ لا) ٧ ـ وخشية اللبس عادت الألف بعد التشذيب إلى العمودية متميزة بذاتها عما سواها	

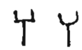
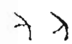
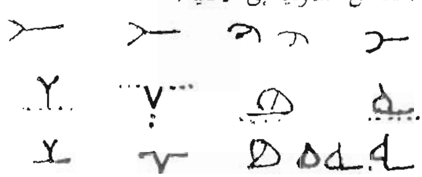
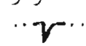
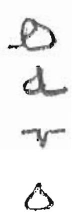
الحرف	من العمودية إلى				الأفقية
الباء	المسند	اللحياني	الثمودي	الصفوي	الجزم
ب					
التطور الطارئ من المسند إلى	١ ـ من العمودية إلى الأفقية  ٢ ـ بتشذيب قليل برز شكل الباء الجديد  ٣ ـ وأهم سمة أخذتها الباء هي استقرار القسم الأساسي من جسمها على السطر  ٤ ـ وبقي تمييزها عن الحروف المشابهة أمر يعتمد على القرائن وعلى ذهن القارىء ليميز الباء عن التاء وعن	

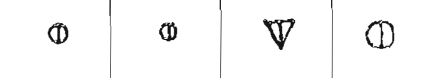
	الثاء قبل إحداث الإعجام (التنقيط للحروف للتمييز بين ما يلتبس بغيره منها لتقارب أشكالها).	

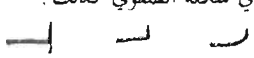
الحرف	من العمودية إلى				الأفقية
الجيم	المسند	اللحياني	الثمودي	الصفوي	
ج					الجزم
التطور الطارىء من المسند إلى الجزم	١ ــ ان الانتقال من العمودية إلى الأفقية بالنسبة لأشكال حرف الجيم أعلاه كان مع بعض التشذيب للوصول إلى شكلها في خط الجزم:  ٢ ــ بقليل من التشذيب الذي يميز هذا الحرف عن غيره تم الحصول على شكله النهائي في خط الجزم  ٣ ــ بقي تمييزه عن الحرفين المماثلين له شكلاً لا نطقاً يعتمد على القرائن وعلى ذهن القارىء حتى جاء الإعجام فميز بينها جميعاً بالنقطة وبمكانها.				

الحرف	من العمودية إلى				الأفقية
الدال	المسند	اللحياني	الثمودي	الصفوي	
د					الجزم
	١ ــ من العمودية إلى الأفقية على أحد الوضعين:  ٢ ــ شذبت هذه الأشكال على مبدأ إزالة أحد النصفين المتناظرين إن وجدا في الحرف الواحد.				

التطور الطارىء من المسند إلى الجزم	 ٣ ــ وكانت الدال في البدء تكتب هكذا (انظر الدال في كلمة القليد ــ الهنيد ــ الخليد حيث كتبت في نقش أم الجمال الثاني هكذا ٤ ــ لكن التطور الأهم هو التشذيب المطبق الذي وصلناه والذي قارب كثيراً الدال الثمودية الأفقية.. واستقرت عليه ٥ ــ لذا جاز وصلها بما قبلها وامتنع عليها بما بعدها .	

الحرف	من العمودية إلى				الأفقية
الهاء	المسند	اللحياني	الثمودي	الصفوي	الجزم
هـ					
التطور الطارىء من المسند إلى الجزم	١ ــ من العمودية إلى الأفقية :  ٢ ــ في الواقع إن الهاء اتخذت أشكالاً متعددة بحسب موقعها من الكلمة ، والشكل الأخير بقي مألوفاً لما بعد الإسلام (انظر الهاء في كلمة واشهد في السطر ٣ من رسالة (ﷺ) إلى المنذر بن ساوى) (وانظر الهاء في كلمة الهدى من سطر ٢ من رسالته (ﷺ) إلى كسرى) نرى الهاء فيها فوق السطر هكذا إنما استقر وضع الهاء وسط الكلمة تحت السطر 				

الحرف	من العمودية إلى				الأفقية
الواو	المسند	التحياني	الثمودي	الصفوي	الجزم
و					
التطور الطارىء من المسند إلى الجزم	١ ــ من العمودية إلى الأفقية :  ٢ ــ اعتبر الخط المنصف هو مستوى السطر وهو نقطة الوصل مع ما يسبقه . ٣ ــ اعتبر نصف الاستدارة الأسفل مفتوحاً غير مكتمل .  ٤ ــ ولدفع الالتباس مع الفاء والقاف امتنع هذا الحرف عن الاتصال بما بعده .				

الحرف	من العمودية إلى				الأفقية
الزاي	المسند	اللحياني	الثمودي	الصفوي	الجزم
ز					
التطور الطارىء من المسند إلى الجزم	١ ــ من العمودية إلى الأفقية .  ٢ ــ يلاحظ أن شكلي الزاي من اللحياني والثمودي هما الشكل الذي مثل الزاي مباشرة في خط الجزم وبعد تشذيبه في شكله الصفوي كذلك .  واستقرت على السطر				

<table>
<tr><td>الحرف</td><td colspan="4">من العمودية إلى</td><td>الأفقية</td></tr>
<tr><td>الحاء</td><td>المسند</td><td>اللحياني</td><td>الثمودي</td><td>الصفوي</td><td rowspan="2">الجزم</td></tr>
<tr><td>ح</td><td></td><td></td><td></td><td></td></tr>
<tr><td>التطور الطارئ من المسند إلى الجزم</td><td colspan="4">١ ـ من العمودية إلى الأفقية :

٢ ـ اعتبر الخط المنصف هو بمستوى السطر .

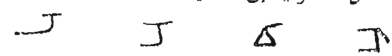
٣ ـ نتيجة التشذيب اختصر من الحرف القسم المنقط الأسفل .

٤ ـ فيما بعد اعتبرت الاستدارة لذيل الحرف مكملة لحرف الجيم النهائي ج وسمي (التعريق)
كما أغلقت أحياناً زاوية الجيم وسمي ذلك (بالرتق) فصارت هكذا</td><td>

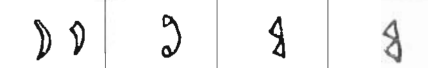
</td></tr>
</table>

الحرف	من العمــوديـــة إلـــى				الأفقيــة
الطـاء	المسند	اللحـياني	الثمـودي	الصـفوي	
ط					الجـزم
التطور الطارئ من المسند إلى الجزم	١ ــ من العمودية إلى الأفقية :  ٢ ــ شذب على مبدأ حذف النصف المتناظر .  ٣ ــ أكمل التشذيب بما يمنع التباس هذا الحرف بغيره ولينت قساوة الزوايا الناجمة عن أصوله الأولى .				

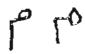
الحرف	مــن العــمــوديـــة إلـــى				الأفقيــة
اليـاء	المسند	اللحـياني	الثمـودي	الصـفوي	
ي					الجـزم
التطور الطارئ من المسند إلى الجزم	١ ــ من العمودية إلى الأفقية :  ٢ ــ اعتبر استقامتها مستقرة على السطر . ٣ ــ شذب القسم الواقع تحت السطر كجزء مناظر .  بمعنى أن فتح دائرتها بعد أفقيتها أدى إلى حرف الياء المعروف . الذي لحق به بعض التشذيب . وبالنسبة للياء في بداية الكلمة ووسطها بقيت موضع لبس حتى جاء الإعجام بنقطتين تحتها فأزالت اللبس .				

الحرف	من العمودية إلى				الأفقية
الكاف	المسند	اللحياني	الثمودي	الصفوي	الجزم
ك					
التطور الطارىء من المسند إلى الجزم	١ ـ من العمودية إلى الأفقية.  ٢ ـ قليل من التشذيب وتليين الحرف الذي اعتبر مستقراً الجزء الأسفل منه على السطر فحصلنا على الحرف  ٣ ـ وبقي حرف الكاف هكذا حتى طرأ على الحرف الواقع في نهاية الكلمة إحداث شكل جديد من اللام الذي تعلوه الهمزة لٔ فحل محل الشكل ..ک				

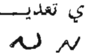
الحرف	من العمودية إلى				الأفقية
اللام	المسند	اللحياني	الثمودي	الصفوي	الجزم
ل					
التطور الطارىء من المسند إلى الجزم	١ ـ من العمودية إلى الأفقية:  ٢ ـ قليل من التشذيب.  ٣ ـ ثم أخذت اللام الشكل النهائي. في أول الكلمة لـ وفي منتصفها ـلـ وفي آخرها ـل حتى دخل على الأخيرة (التمريق) ل؛ = ل. ٤ ـ ولا يفوتنا أن نوضح أن اللام ألف المعهودة الشكل ـ لا ـ إنما هي مزيج من الألف واللام في مراحلهما الأولى فحفظت لنا شكلاً من أشكالهما فلو فككناهما لكانا 				

<table>
<tr><td>الحرف</td><td colspan="4">من العمودية إلى</td><td>الأفقية</td></tr>
<tr><td>الميم</td><td>المسند</td><td>اللحياني</td><td>الثمودي</td><td>الصفوي</td><td rowspan="2">الجزم</td></tr>
<tr><td>م</td><td colspan="4"></td></tr>
<tr><td>التطور الطارىء من المسند إلى الجزم</td><td colspan="4">١ ــ من العمودية إلى الأفقية

٢ ــ شذبت على مبدأ حذف أحد القسمين المتناظرين.

٣ ــ واستقر القسم (النصف) الباقي على السطر في البدء
٤ ــ وفيما بعد تحولت الميم النهائية بعد (التعريق) إلى الشكل </td><td></td></tr>
</table>

<table>
<tr><td>الحرف</td><td colspan="4">من العمودية إلى</td><td>الأفقية</td></tr>
<tr><td>النون</td><td>المسند</td><td>اللحياني</td><td>الثمودي</td><td>الصفوي</td><td rowspan="2">الجزم</td></tr>
<tr><td>ن</td><td colspan="4"></td></tr>
<tr><td>التطور الطارىء من المسند إلى الجزم</td><td colspan="4">١ ــ من العمودية إلى الأفقية:

٢ ــ قليل من التشذيب أدخل على النون في المسند والنون الصفوية ــ ولم يدخل على اللحيانية والثمودية أي تعديل بل كما هما اليوم مستخدمتان 
٣ ــ أما بالنسبة للنون في أول الكلمة ومنتصفها فأخذت الشكل الحالي وزال عنها اللبس بالتنقيط ــ ولا ننس (التعريق) الذي جعلها تنتهي بالاستدارة</td><td></td></tr>
</table>

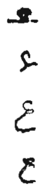
<table>
<tr><th>الحرف</th><th colspan="4">من العمودية إلى</th><th>الأفقية</th></tr>
<tr><td rowspan="2">السين
س</td><td>المسند</td><td>اللحياني</td><td>الثمودي</td><td>الصفوي</td><td rowspan="2">الجزم</td></tr>
<tr><td></td><td></td><td></td><td></td></tr>
<tr><td>التطور الطارئ من المسند إلى الجزم</td><td colspan="4">١ ــ من العمودية إلى الأفقية ما عدا اللحيانية والصفوية :

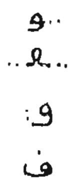
٢ ــ شذبت القسم الناظر في المسند والثمودي والصفوي :

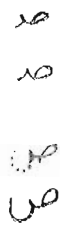
بينما سفّلت بقطعة مستقيمة السين اللحيانية .

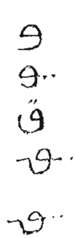
ثم أدخل التعريق عليها جميعاً فصارت

٣ ــ أما السين ــ فمأخوذة من أهلها المسند/ والثمودي/ والصفوي بعد حذف الجزء النهائي منها .</td><td></td></tr>
</table>

الحرف	من العمودية إلى				الأفقية
العين	المسند	اللحياني	الثمودي	الصفوي	الجزم
ع	O	O	O	O ●	
التطور الطارئ من المسند إلى الجزم	١ ـ لطبيعة شكل العين اعتبرت منسجمة مع الأفقية بالقطعة المستقيمة التي سفلت بها العين.  بل أضيف على ذلك فتح الدائرة من يمينها.  ٢ ـ واعتبرت القطعة المستقيمة الأفقية على السطر. ٣ ـ ثم دخل عليها التعريق فاستدارت آخرها  (بالنسبة للعين في آخر الكلمة).				

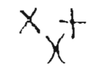
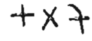
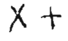
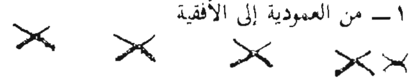
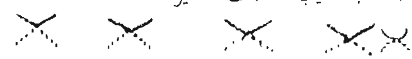
الحرف	من العمودية إلى				الأفقية
الفاء	المسند	اللحياني	الثمودي	الصفوي	الجزم
ف	◊	∩ O ∩	□ ◊	ʒ	
التطور الطارئ من المسند إلى الجزم	١ ـ من العمودية إلى الأفقية:  ٢ ـ حملت الفاء المغلقة على قطعة مستقيمة. ..ـهـ.. على السطر وبرتق اللحيانية تم الحصول على الفاء ٣ ـ والنهائية منها حظت على التعريق الذي أعطاها الشكل النهائي لها. ٤ ـ ودفعاً للبس فقد حظت بإعجامها بنقطة أعلاها.				

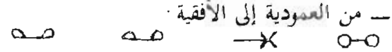
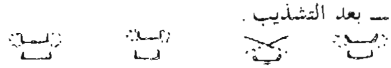
الحرف	من العمودية إلى				الأفقية
الصاد	المسند	اللحياني	الثمودي	الصفوي	
ص					الجزم
التطور الطارىء من المسند إلى الجزم	١ ـــ من العمودية إلى الأفقية :  ٢ ـــ التشذيب  ٣ ـــ ليس بعيداً عن شكل الصاد القديمة ما استقرت عليه صاد الجزم. ٤ ـــ إنما اعتبرت الاستقامة هي بمستوى السطر. ٥ ـــ ثم دخل التعريق على نهاية الحرف 				

الحرف	من العمودية إلى				الأفقية
القاف	المسند	اللحياني	الثمودي	الصفوي	
ق					الجزم
التطور الطارىء من المسند إلى الجزم	١ ـــ من العمودية إلى الأفقية  ٢ ـــ بحذف وتشذيب النصف النظير وفتح نصف الدائرة الأسفل  ٣ ـــ وبتعريق هذا الحرف حصلنا على الشكل النهائي لحرف القاف  ٤ ـــ ثم بإعجامها نقطتين في أعلاها تميزت عن غيرها وهناك شكل معروف للقاف ناجم عن فتح نصف الدائرة السفلى دون تغيير				

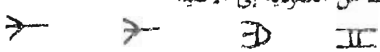
الحرف	من العمودية إلى				الأفقية
الراء	المسند	اللحياني	الثمودي	الصفوي	
ر					الجزم
التطور الطارئ من المسند إلى الجزم	١ ـ من العمودية إلى الأفقية :  ٢ ـ بقيت على أفقيتها طالما كان وصلها يتم بقطعة عمودية من أعلاها هكذا فكانت الراء أعلى من السطر ٣ ـ إنما بعد تشذيب عملية الوصل التي ألغيت منها القطعة العمودية هذه صارت الراء تحت السطر ٢ ر هكذا ٤ ـ وتعذر وصلها بما بعدها ٥ ـ ومن الطريف أن معارضونا لم يجدوا غير الراء يتشابه مع المسند				

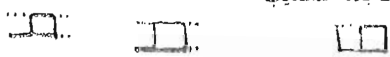
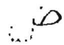
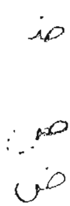
الحرف	من العمودية إلى				الأفقية
الشين	المسند	اللحياني	الثمودي	الصفوي	
ش					الجزم
التطور الطارئ من المسند إلى الجزم	١ ـ من العمودية إلى الأفقية .  ٢ ـ قليل من التشذيب مع الارتكاز أعلى السطر مع تليين الزوايا  ٣ ـ و (بالتعريق) نحصل على الشكل الأخرى٣: = س ٤ ـ وبإعجام الشين بثلاث نقط أعلاها دفع اللبس عنها مع السين ش ٥ ـ ثم بعد الإعجام صارت السين العادية شيناً إن نقطت بثلاث نقاط ش				 س ش

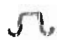
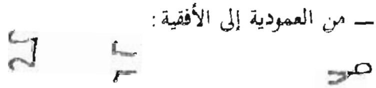
الحرف	من العمودية إلى				الأفقية
التاء	المسند	اللحياني	الثمودي	الصفوي	الجزم
ت					
التطور الطارئ من المسند إلى الجزم	١ ـ من العمودية إلى الأفقية  ٢ ـ بتشذيب النصف النظير  صارت  ثم  ٣ ـ وبالإعجام حصلت على نقطتين في إعلالها تميزها تـ ـتـ ـت				تـ ـتـ ـت

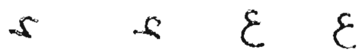
الحرف	من العمودية إلى				الأفقية
الثاء	المسند	اللحياني	الثمودي	الصفوي	الجزم
ث					
التطور الطارئ من المسند إلى الجزم	١ ـ من العمودية إلى الأفقية  ٢ ـ بعد التشذيب  ٣ ـ بعد الإعجام زال الالتباس فحصلت على ٣ نقاط في أعلاها ث ٤ ـ وكان لابد من أن تأخذ الأشكال الثلاثة أول الكلمة ثـ ووسطها ـثـ وآخرها ث				ثـ ـثـ ـث

الحرف	من العمودية إلى				الأفقية
الخاء	المسند	اللحياني	الثمودي	الصفوي	الجزم
خ					
التطور الطارئ من المسند إلى الجزم	١ ـ من العمودية إلى الأفقية : ٢ ـ يبدو أن الأقرب هو حرف الخاء اللحياني وعنه أخذت الخاء الذي اعتبر مستقراً أعلى السطر .  ٣ ـ إن ما طرأ على شكلها يوازي ما طرأ على الجيم من رتق وتعريق ، إلا أن النقطة جاءت فوقها بدلاً من تحتها				

الحرف	من العمودية إلى				الأفقية
الذال	المسند	اللحياني	الثمودي	الصفوي	الجزم
ذ					
التطور الطارئ من المسند إلى الجزم	١ ـ من العمودية إلى الأفقية  ٢ ـ وبتشذيب الأجزاء المتناظرة مع مراعاة الارتكاز على السطر .  ٣ ـ وما لم تكن موصولة بما قبلها فتتجرد من الوصلة الأفقية التي تسبقها كما في الدال فتصبح  (انظر حرف الذال في كلمة ذا المرطول (ر) من نقش حران) . ٤ ـ وبقي اللبس مع حرف الدال يعتمد في إزالته على ما ذكرت من القرائن وذهن القارىء . ٥ ـ وفيما بعد علتها النقطة للتفريق عن الدال .				  

الحرف	من العمودية إلى				الأفقية
الضاد	المسند	اللحياني	الثمودي	الصفوي	الجزم
ض					
التطور الطارئ من المسند إلى الجزم	١ ـ من العمودية إلى الأفقية :  ٢ ـ بعد التشذيب  ٣ ـ وبعد تليين الزوايا .  ٤ ـ وبعد التعريق تصبح  ٥ ـ وتميزها (وهي الحرف العربي المتميز) عن الصاد أعجمت بنقطة فوقها فصارت ض				

الحرف	من العمودية إلى				الأفقية
الظاء	المسند	اللحياني	الثمودي	الصفوي	الجزم
ظ					
التطور الطارئ من المسند إلى الجزم	١ ـ من العمودية إلى الأفقية :  ٢ ـ التشذيب جعل ظاء المسند أقرب إلى شكلها الحالي .  ٣ ـ استقرت فوق السطر . ٤ ـ وللتفريق عن الطاء وجب الاعتماد على سياق المعنى وعلى ذهن القارىء . ٥ ـ ثم كان لابد من الإعجام ففرقت النقطة بينهما .				

الحرف	من العمودية إلى				الأفقية
الغين	المسند	اللحياني	الثمودي	الصفوي	
غ					الجزم
التطور الطارئ من المسند إلى الجزم	١ ــ من العمودية إلى الأفقية :  ٢ ــ بتليين الزوايا وتشذيب الثمودية منها صارت  ٣ ــ بقي اللبس حتى جاء الإعجام فنالت نقطة في أعلاها . وعندئذ أخذت شكل العين المستديرة المغلقة طالما تميزت عنها بنقطة في أعلاها .				

ومن الجدير بالذكر أنا حيثما دققنا انبحث عبر النقوش المدونة (بخط الجزم) وخاصة تلك النقوش المدونة قريباً من القرن الأول الهجري نجد تلك الأشكال المبدئية لأبجدية الجزم التي وردت في الجدول السابق .

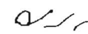
وكمثال على ذلك على سبيل الذكر لا الحصر :

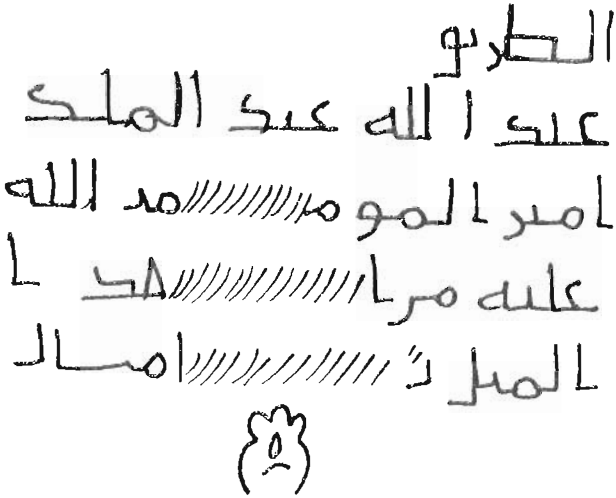
١ ــ انظر حرف (الطاء المشذبة) في كلمة (طريق) في السطر الأول من النقش التالي (نقلاً عن ص ١٧١ من الساميين إلى العرب للشيخ نسيب وهيبة الخازن) :

٢ ــ وانظر حرف الهاء () في كلمة الهدى في السطر الثاني من الشكل رقم (٤١) من رسالته (ص) إلى كسرى فإنها تمثل الهاء في الخط المسند إنما مهذبة قليلاً (الهاء) في كلمة يشهد فإنها أكثر تشذيباً من الشكل (٤٢) السطر ٣ ــ وغيرها .

٣ ــ وحرف الصاد ()المشذبة في كلمة العاص سطر (٤) من الشكل (٤٣) .

٤ ــ وحرف الراء ــ ــمن الكلمات / رحمة / وبركاته / الرحمن / أربعين / من نفس الشكل .

٥ ـ وانظر حرف الألف الأفقية في كلمة (الله) =  الكلمة الأولى ـ في السطر الأول من نقش أم الجمال الثاني .



الشكل رقم (١٧)

إمكـــانية الاصـطفـاء

وهكذا يتضح أن تعددية أشكال الحرف الواحد ساعدت على اصطفاء الشكل المناسب منها وإذا أردنا الدقة، فلا بد من التنويه بأن الأبجدية (البروتو السينائية) بما احتفظت به من تفاصيل أكثر في تركيب الحرف الواحد نفسه، والذي يتقارب كثيراً مع حروف المسند ـــ من الممكن أن تكون ـــ زمنياً ـــ متقاربة مع حرف المسند، لكن فيما هو واضح أن الأبجدية الأخيرة (العربية الجنوبية / المسند) قد حوت حروفاً أكثر، فهي أوفى وأقدر على التعبير، وبينما تطورت حروف المسند وشذبت بقيت حروف (البروتو سينائية) قليلة التطور ضعيفة التشذيب؛ لأن المسند تطور كما ورد في هذا المؤلف وتحول إلى (الجزم) فيما بعد وربما معه استمدت العديد من الخطوط الأخرى، وإن كان في حروفها فوارق بسيطة سواء أكان منها السريانية أو النبطية اللتان جعلهما بعض المتقولون أصل العربية، وعادة يكون الحصان أمام العربة لا خلفها.

إن الجنوب العربي أعطى الإنسان والمعرفة للشمال في كل النواحي فلماذا يبخل في إعطاء الحرف ومن أين للشمال الحرف.

وحيث إن التنقيبات في الجزيرة العربية وجنوبها لم تستكمل فما زالت الفرص مهيئة لمثل هذه النظرة، ومع الزمن تترسخ تجاه الدعاوي الأخرى المضادة والمعاكسة ـــ فمن مدعٍ بكنعانية لا علاقة لها بالجنوب، وادعاءات أخرى؛ وفي نقش (ر هو الراء) المرفق والمعثور عليه في جيزان ما يؤكد أن جنوبي الجزيرة العربية شهد كل هذه التطورات وصدرها إلى حوافي الجزيرة ـــ التي سميناها (الصحن الطفح) الذي يفيض في كل الاتجاهات، ولكنها كانت نحو الشمال أكثر وضوحاً لأن الصلة مع الشمال هي أسهل بالنسبة لتقنية ذلك العصر لاتصالها بالجنوب براً بينما بقية حوافيها الأخرى تشرف على جوارها من خلال البحار.

(نقش ر هو الراء أبجدية لم تقرأ)

ورد في ص ٩٢ و ٩٣ من معجم بلاد غامد وزهران للزهراني ما يلي :

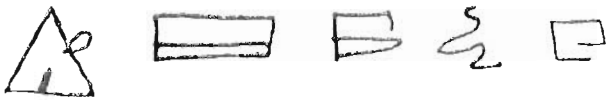
الخَلَصَةُ : بفتح الخاء واللام والصاد بعدها هاء تأنيث . والخلص نبت يتعلق بالشجر له حب كعنب الثعلب ، وهو موجود بكثرة في المنطقة وخصوصاً في المرتفعات :

وادٍ في بلاد دوس بسراة زهران أسفل وادي ثروق من جهته الشمالية ويقال : إن معبداً كان بالقرب من هذا الوادي يسمى « ذا الخلصة » أزال بقايا بنائه الأمير عبد العزيز بن ابراهيم عندما وصل إلى بلاد زهران عام ١٣٤٣ هـ منتدباً من الملك الراحل عبد العزيز آل سعود (رحمه الله) .

وقد أثبت الأستاذ رشدي الصالح ملحس محقق « أخبار مكة » للأزرقي صفحة ٢٥٦ (المطبعة الماجدية) أن (ذا الخلصة) الصنم المعروف في الجاهلية والذي كان يدعى (الكعبة اليمانية) كان بهذا المكان في دوس واعتمد على عدة مصادر منها « معجم البلدان » « ولسان العرب » ، وإذا أخذنا بعين الاعتبار أهمية ثروق في القديم استطعنا الإثبات أن ذا الخلصة في بلاد دوس لأن وادي الخلصة المار الذكر يقع في وادي ثروق الذي كانت به ثروق البلدة .

وقد زرت وادي ثروق بتاريخ ٢٤ / ٨ / ١٣٩٠ هـ . وتأكدت من أن وادي الخلصة يقع شمال هذا الوادي ويعد امتداداً له ، كما يقع غربي قرية الدولان من قرى رمس وقرية الحبشة ويسيل ماؤه في وادي الكف فوادي الجرداء بتهامة دوس ، وطول هذا الوادي نصف كيلو تقريباً .

ويقول : وفي الجهة الغربية من هذا الوادي يقع شفا بني علي من بني مهب من دوس وعلى مسافة ٣٠٠ م من قرية الدولان غرباً ، أطلعني أحد كبار السن من بني مهب من دوس على صخرة كبيرة مكسرة إلى ثماني كسرات في أرض منبسطة تسمى (رَهْـو الرَّاء) ، وأخبرني أن هذه الصخرة هي بقايا صنم ذي الخلصة ، وأن بناءً كان على هذه الصخرة أزال بقاياه ابن ابراهيم عام ١٣٤٣ هـ ، وأنه كان يرافق ابن ابراهيم ، وأن حجارة البناء أبعدت إلى تهامة ، أما هذه الصخرة فلم يستطع أحد إزالتها فاكتفي بتكسيرها ورمايتها بالسلاح . وقد وجدت أن



الشكل رقم (١٨) آ

هناك كتابات قديمة جداً على الجانب الجنوبي الغربي من هذه الصخرة منها هذه الكتا (نقلتها بالقلم لا بالتصوير).

وقد أثرت عوامل التعرية على الكتابة مما جعلها غير واضحة كثيراً.).

وقد نوه السيد كمال صليبي بهذا النقش في ص ١٤ من كتابه **التوراة نشأت في عسير** مثيراً استغرابه في سياق ما أثاره!

إن حقيقة الكتابة للتاريخ وللحاجات العامة سواء أكانت اليومية أو المزمنة إنما هي حاجة عامة لاستمرار حياة ذلك المجتمع فقد كانوا جيلاً بعد جيل مضطرين لتدوين أيامه وذكرها لمن بعدهم من باب تخليد وقائعهم ـ والعبر التي فيها إذ يقول (التبع أسعد الكامل):

قد كتبنا مسانداً في ظفار وكتبنا أيامنا في الزبور
وذكرت الذي يكون لحيني إن ملكي للباقي المنصور

(من قصيدة طويلة ـ انظر ١٢٨ قصيدة نشوان الحميري)

مراحل نمو جذور خط الجزم على أرضية خط المسند

إن أفضل رد على دعاوي التسيب هو العودة إلى الجذور، وفيما يلي نموذج لبحث مقارن من «أصول الخط العربي الحالي» الذي لم تستقر حوله الآراء، ولم تحسم قضية أصله ومصدره وجذوره حتى الآن.

لقد قيلت آراء كثيرة في أصول الخط العربي (الجزم) جُلُّها لمستشرقين وقليلها لعرب قدماء ومعاصرين، لكن موضوع الصلة بين الخط العربي المعاصر (الجزم) والخط العربي الجنوبي (المسند) وفروعه (اللحياني / والثمودي / والصفوي) إنما هي صلة لما يقام الدليل بعد على وجودها، أو على أية روابط تجمع بينهما عدا التشابه الذي نوه عنه بعض الدارسين فيما بين حرفي الراء في كل منهما (=ر.

إلا أني هنا أوضح في بحث طال أمده لكنه أثمر نتيجة سيلمسها القارىء بأن لا مجال للاجتهاد في معرض النص، وإني إذ ألتزم بهذه القاعدة فقد توصلت إلى حقيقة نهائية وحاسمة تقرر انتماء خطنا العربي المعاصر إلى أصوله العربية الجنوبية، فهو متفرع من «الخط المسند» ومن فروعه سالفة الذكر، وعن طريقها، وكأنه صيغة منتقاة منها مجتمعة، بعد أن مرت جميعها بمراحل عديدة، فشذبت بين الحرف انسجاماً مع المعطيات الجديدة الطارئة عليه، ومن ثم على الكلمة فالسطر، واستقامت بعدها مقومات الكتابة بحيث أخذت نمطاً موحداً ومروراً بالمسند وفروعه حيث:

— بعد تنوع شكل السطر حلت أفقيته في المسند وفروعه أولاً (بعد أن كان عمودياً وأفقياً وحلزونياً ..).
— وبعد أفقية السطر حلت أفقية الحرف (بدلاً من عمودية الحرف — كونه مسنداً عمودياً بالنسبة لعين القارىء).
— ثم وصلت الحروف في الكلمة الواحدة (باستثناء بعض الحروف التي سنذكرها).
— ثم التزم ببدء السطر من اليمين إلى اليسار وهكذا في كل سطر بعد أن كان متعدد أشكال وجهات البدايات، وآمل أن أوفق بعرضي لهذا البحث لتصويب خطأ دام قروناً طويلة. ذلك الانفصام المفتعل في الصلة أو الحلقة المفقودة بين خط الجزم — والخط المسند

لدرجة أن هذا الخطأ كرس بإيجاد البديل لتلك الصلة بالبحث عنها فيما بين الخط الجزم ، وكل من الخط النبطي ــ والخط السرياني وربما غيرهما ....

وإذا كنت هنا قد عزمت على عرض الواقع المغمور طيلة القرون الغابرة ، والذي تضمن تلبية لحاجة طارئة كوصل الحروف ، فاقتضت تعددية في شكل الحرف الواحد ، إضافة إلى تعددية شكله الناجمة عن موقع الحرف (في وسط الكلمة أو بدايتها أو نهايتها) الأمر الذي عقد في العصر الحاضر طبع النص الشامل ضرورة لأنواع وأشكال الحرف الواحد كما أسلفت وجعله أكثر صعوبة على التعلم الحديث . بينما كان الحرف المسند أحادي الشكل من حيثما وقوعه من الكلمة (سواء أفي أولها أو وسطها أو في آخرها) بغض النظر عن تعددية شكل الحرف نفسه الناجمة عن إبداعية النساخ ، أو تفرع المسند إلى لحياني وثمودي وصفوي ، وليس عن مكان الحرف من الكلمة ، لكن من كان يدرك أهمية التلاؤم مع إمكانية طباعته لو قدر له بلوغ عصر الطباعة .

وهكذا أشير إلى أنّا فقدنا بفقداننا الخط المسند العربي خاصية هامة للغاية ، وهي سهولة الطباعة لو قدر للمسند الوصول والاستمرار إلى عصر الطباعة ــ بسبب ثبات شكل الحرف أينما وقع من الكلمة ــ بينما نرى العكس في خط الجزم ، فقد تعددت أشكال الحرف الواحد بحسب موقعه من الكلمة كما أسلفت ، الأمر الذي عقد عملية الطباعة من هذه الظاهرة ، بانتظار إنجاز يحافظ على قوام حرف الجزم حيثما وقع !

وإن في إعراض الأجيال العربية حتى اليوم عن محاولة تعلم أبجديتها الحضارية الأم مظهر تخلف مأساوي ، يضفي عليه صمت العارفين مزيداً من البؤس (كعالم بعلمه لم يَعْمَلَنْ ولن يَعْمَلَنْ !) فقلائل هم الذين أتقنوها وتعلموها من أهلها ، بينما نجد العديد من الباحثين المستشرقين يتابعون كل جديد حولها وبجدية كبيرة ، فإن في تعلم أبجدية المسند فتحاً لكل راغب في الاطلاع على النصوص الجاهلية ، ففيها المزيد مما خفي على أهلها من أجيال هذا العصر . وبالمناسبة فإن الفوارق في نطق النصوص طفيفة غالباً عن نطق لغتنا اليوم ، وبجهد بسيط يمكن فهم تلك النصوص المتضمنة قسطاً وافراً من خفايا التاريخ العربي القديم الذي غمزه بعضهم بأنه تاريخ غير مكتوب .

ومن المصادفة أن القدر زرع اللهجات الأولى في الأقطار العربية كلها ، عندما انساحت الموجات البشرية والهجرات ، حيث انتقلت معهم اللهجات والكلمات التي ما زال

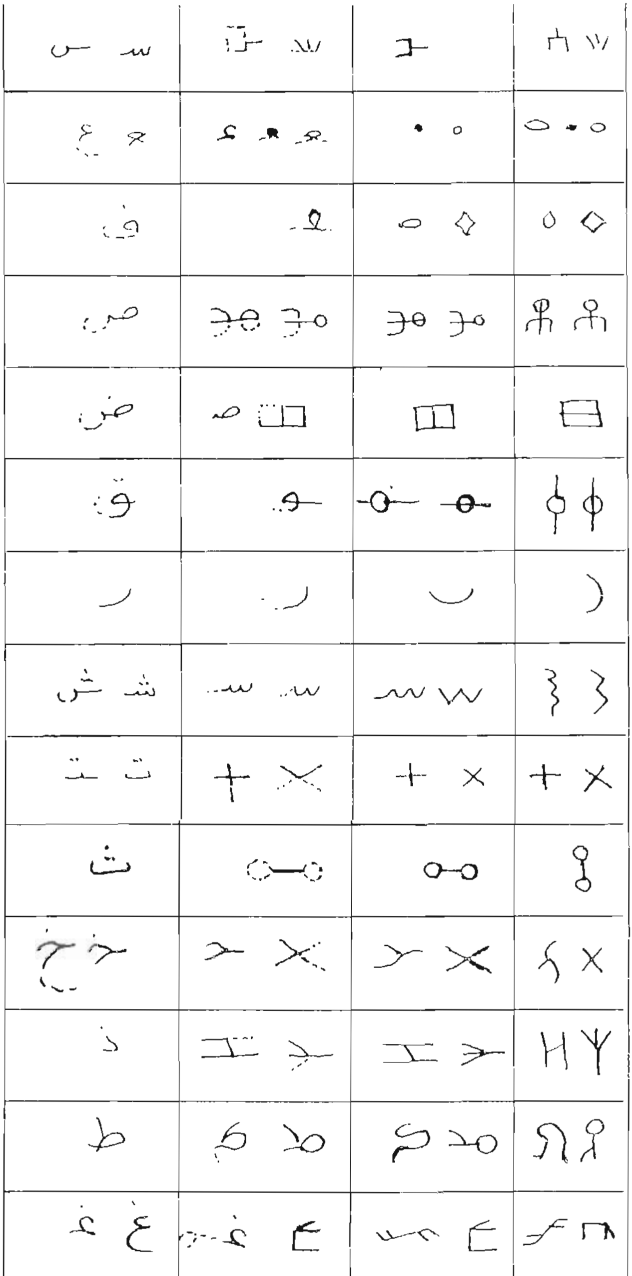
العديد منها مستخدماً في تلك التجمعات البشرية . إضافة إلى أن الاطلاع عليها يوضح للباحث معنى فقه اللغة ، ذلك العلم الذي غاب مع ما غاب عنا من التراث ؛ وبهذه المناسبة فإنه في العودة إلى قاموس الفيومي المصباح المنير في شرح غريب الكلام ــ ما يسهل فهم ما جاء في تلك النقوش من الألفاظ المتحجرة ...

ولقد استعرضت في كتابي الذي يجري الإعداد لطبعه (حول الكتابات الصفوية عند ليتمان) وأوضحت فيه كم هي هامة تلك الكتابات التي أثبتت حفاظها على المتحجرات من اللغة العربية الأم ، والكثير من غوامضها وحتى تصريفها ونطقة بها ، وبما ضم من صفحاته آمل أن يكون فرصة للقارىء العربي ليطلع من خلاله على مضامين النصوص الجاهلية التي دونت بالمسند وفروعه ــ وعلى تواضع محاولتي ــ ففيها محاولة للإنصاف ولرفع الحيف عن النقوش وأهلها .

إجمـالي (مـراحـل انتقـال)
المسـند من العمـودية إلى الأفقيـة فالجـزم

المسند الأفقي المشذب المتحول إلى الجزم	المسند الأفقي المشذب	المسـند الأفقي	المسند العمودي وفروعه




س
ع
ف
ص
ض
ق
ر
ش
ت
ث
خ ح
ذ
ط
غ ع

بين الشمال والجنوب

(من المعروف أن (الخط) قلم المسند الحميري ظل قيد الاستعمال هناك (في اليمن) إلى أيام الرسول (ﷺ) أو الفترة القريبة منها ـــ ٦٥ / **أصل الخط العربي وتطوره حتى العصر الأموي** سهيلة الجبوري) وعندما حمل العرب الجنوبيون (بنيامين / بني يامين / يمين / يمنيين) معارفهم ضمن جملة ما اصطحبوه معهم كان الحرف (أبجدية المسند = المزند) (والمسند = هو الواقف طولاً / والمزند = هو الضيق العرض الذي عرضه أضيق من طوله ـــ انظر مختار الصحاح ٣٧٦) فجلبوه معهم إلى حيث قدموا للشمال (وفي الشمال / الشمأل / الشيمل) لم يتأثر المسند في البدء لصلابة مكانته ولرسوخه، لكنه ما لبث بعد فترة أن تفاعل هذا الحرف (المسند) مع بعض سمات الحرف في لغة (أو لغات) العرب الشمالية وبالتالي بخطوطهم نفسها فقد وحد الجنوبيون هؤلاء.

١ ـــ أن حروف الكتابات الشمالية (أو بعضها قد عرفت الوصل والفصل برغم أن محاولات الوصل جرت على المسند في الجنوب، كما سنأتي على ذكره فيما بعد، لكن يبدو أن الوصل بقي في مجال المحاولات الأولية في الجنوب ولم يطور إلا في الشمال، وللوصل طرق عدة (كما ذكرت السيدة سهيلة الجبوري في كتابها **أصل الخط العربي وتطوره حتى العصر الأموي**). فتقول إن طرق الوصل هي:

أ ـــ الإسناد: وذلك بأن يسند الحرف على ساق الحرف الذي يليه.

ب ـــ الربط: ويتم بذيل الحرف التالي.

جـ ـــ المزج: كما في لام ألف

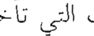
د ـــ النظم والنضد: وهو ربط الحروف ببعضها البعض من أسفل.

٢ ـــ ووجدوا أن السطر الأفقي غالب على السطور الأخرى: العمودية والمائلة والحلزونية والمتنوعة من كل هذه الأوضاع.

٣ ـــ ثم وجدوا أن البداية للسطر شأن لا يجوز بقاؤه كيفياً فجعلوه نهائياً من اليمين إلى اليسار.

٤ ـــ ووجدوا نطقاً بالعربية يكتب بحروف أخرى غير المسند برغم تداخل بعض الكلمات غير المتلائمة مع لهجة الجنوب (أي برغم تعددية اللهجات ووجود فوارق بين الجنوبي والشمالي منهما).

ومن الجدير بالذكر أنه ورد في (ص ٤٥ من قرية الفاو وصورة للحضارة العربية قبل الإسلام) صوراً لتوضعات صناعية من الحجارة المرصوفة بشكل سلاسل طويلة في منطقة مدينة الفاو . ويصل بعض حجارتها إلى حجم المتر المكعب غير مشذبة ، وقد رصفت بحيث تأخذ جميعها بإجماليها خطاً واحداً كقاعدة يرتكز كل شكل من هذه الأشكال على مثلث قاعدته ترتكز بدورها على الخط الموحد كقاعدة لها جميعاً ومن رأس المثلث يستمر سلسال حجري مستقيم لمسافة تساوي عدة أضعاف أمثال ارتفاع المثلث (أرفق هذه الصور مع هذه الفقرة) .

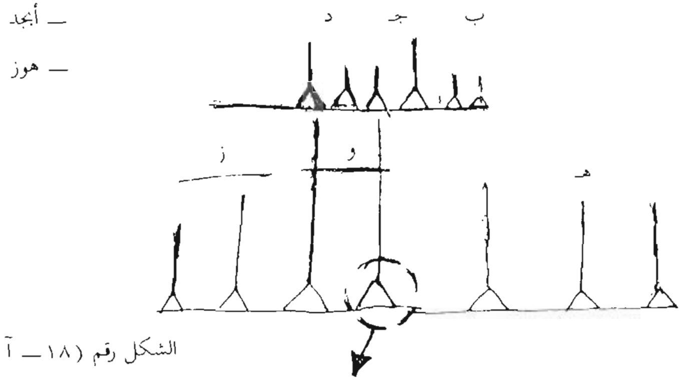
ولقد عيي الباحثون في التوصل إلى ما تعنيه تلك الرموز ــ وبدوري حاولت الإحاطة بها انطلاقاً من أنها لم تبنَ عبثاً إنما هي رمز له دلالة ومعنى . ولقد تبادر للذهن أنه ربما صممت لتكون مكاناً لاصطفاف الجيش وتشكيلاته الصغرى فلعله مكان للازدلاف في حالة الطوارىء مثلاً ــ لكني عدت مجتهداً الوصول إلى نتيجة ملموسة وقارنت تلك المسماريات التي تأخذ الشكل  ، مع الأبجدية المسمارية لرأس شمرا ــ فوجدت وبالصدفة أنها ربما مثلت كلمات (بجد هوز) كما سأوضحه فيما يلي ومع ذلك لا بد من دراسة ميدانية أدق تأخذ بالاعتبار :

١ ــ توفير صورة شاملة لكل هذه التشكيلات والمناطق المحيطة بها .
٢ ــ دراسة مقارنة مع مجموعات الرموز الأخرى بما فيها الأبجديات .
٣ ــ طرح الموضوع على أكثر من باحث للاستماع لعدة آراء علها جميعها تعطينا فهماً واضحاً وقاطعاً حول تلك التكوينات الحجرية .

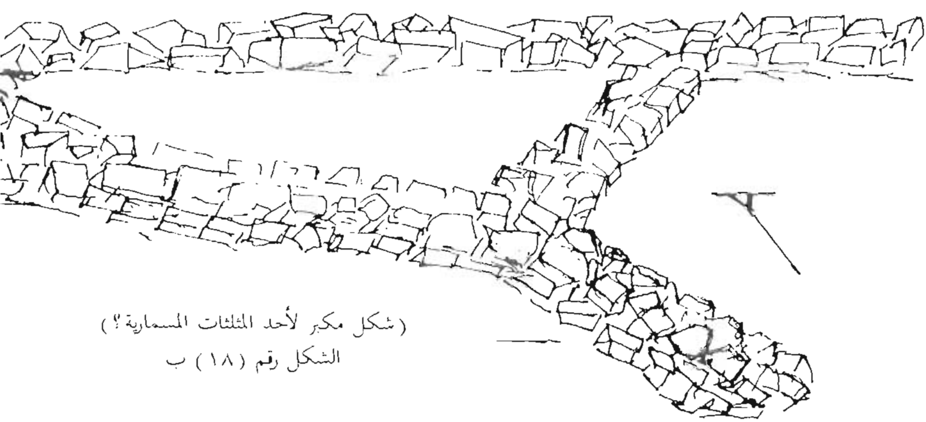
ولئن صحت التقديرات فتكون أرضية أبجدية رأس شمرا قد قدمت من الجنوب . فالأمحرية وهي مسمارية في الحبشة قد نشأت في اليمن واستمرت إلى الآن !

علماً أن هذه التشكيلات الحجرية لم تقتصر على منطقة قرية ذي كهل (الفاو) بل شوهدت في مناطق أخرى في الجزيرة العربية .

والمسمارية ليست غريبة كما يظن عن الجزيرة العربية ــ فقد بلغني سماعاً أن كتاباً مقدساً «الإنجيل» عثر عليه ومدون في القرن الأول ميلادي وربما بالسريانية ومعلق عليه بالمسمارية وهو على الرق قد غادر اليمن عام ١٩٨٦ بيعاً إلى لندن ولم يعرف حتى الآن مستقره ولم يحتفظ بصورة منه لا في اليمن ولا في غيرها مع الأسف !



الشكل رقم (١٨ ــ آ)



(شكل مكبر لأحد المثلثات المسمارية ؟)
الشكل رقم (١٨) ب



مسمارية أوعاريت

الشكل رقم (١٨) جـ

وكان لا بد أن تؤثر هذه السمات فيهم وفي لغتهم ونطقهم، وأخذوا منها ما اعتبروه خيارها وواءموا تلك السمات ما أمكن مع حرف المسند نفسه، مما تطلب:

١ ــ التخلي عن عمودية الحرف (أو إسناده / مسند) وتبني أفقيته (بعد أن انبعثت تسميته (المسند) من إقامته كالأعمدة ــ انظر ١٠٦ موسوعة المصرف).

٢ ــ ربط الحروف ضمن الكلمة الواحدة فيما عدا الحروف التي لم تتصل بما بعدها (وعلة عدم وصلها ذاتية فيها، حيث يلاحظ أن علة عدم الاتصال تكمن في نهاية تلك الحروف ــ إذ إن وصلها لو تم لأحدث لبساً ــ وليس في بدايتها أي قابلة للوصل بما قبلها ممتنعة عنه بما بعدها) وفي الأساس كان عدم الاتصال لكل الحروف، ثم اقتصر على (او دذ رز) ولقد برز ذلك واضحاً في خط الجزم فيما بعد (أي حرفين صوتين هما ــ او ــ وآخر عاديين (در) واثنين روادف (ذز).

ولئن شهدت ديار العرب الشمالية (خط الجزم) الذي يصل الحروف ببعضها في الكلمة الواحدة. فيما عدا ما ذكرنا ــ فلربما جاء ذلك استمراراً لمحاولات جنوبية سبقت، وتلبية لرغبات الكتاب والنقاش الجنوبيين، وإن لم ينجزوها في الجنوب، فقد أكملت في الشمال؛ فقد لاحظت بعض المحاولات لهم. (انظر كلمة كهل) بالمسند الموصولة الحروف في الصفحتين ١٢٠ و ١٣٦ من كتاب **قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام** ــ إصدار جامعة الرياض ١٤٠٢).

وانظر الشكلين وشرحي حولهما والمرفق بهما ــ ولعلها المرة الأولى التي يشار فيها إلى وصل حروف المسند كمحاولة مرفق بها دليلها المادي ــ لكنها فيما يبدو لم تنجز حتى ظهور خط الجزم فيما بعد، برغم أن السيد د. عبد الرحمن الطيب الأنصاري في التقرير المختصر للموسم الرابع لحفريات قرية (الفاو) ص ١٥ من **دراسات تاريخ الجزيرة العربية** (الكتاب الثاني) ما نصّه: (وقد لوحظ في بعض النقوش المكتوبة بالمداد الأحمر على قطع العظم محاولة لربط الحروف بعضها بالبعض الآخر غير أن هذه القطع كسر غير كاملة، وهو ما تم اكتشافه لأول مرة حيث لم يسبق الكشف عن كتابات على العظم...) إلا أن السيد الأنصاري لم يرفق هذا النص بصورة لنموذج عما ذكره فبقيت الرغبة قائمة بل زادت اللهفة للاطلاع على ذلك النص، إنما في الواقع جاء ذلك موافقاً لرأيي السابق الذي ذكرته هنا حول

محاولة وصل حروف المسند في كلمة كهل الموضحة مع هذا الفصل برغم أنها مرت بما لا يلفت انتباه القارىء!

إن المزيد من هذه اللقى تدعم رأينا هذا بأن محاولات وصل حروف الخط المسند بدأت أيضاً في الجنوب، ويسعدني هنا أن أشير إلى عثوري على عملية وصل حروف المسند تامة، وقد أرفقتها بهذا النص، وهي مكررة مرتين كما يلاحظ.

على أني أؤكد من خلال اللقى والشواهد أن عملية الوصل استغرقت تصحيحاً وتوحيداً زمناً طويلاً، ولم تنته نماذجها كما يتصور البعض بأنه أنجز نهائياً قبل الإسلام، بل لم تستقر حتى نهاية القرن الأول الهجري.

فقد وضح تماماً على الدرهم الأموي المؤرخ بعام (٩٤ هـ) وضرب في أرمينية (ووكر) ـــ المرفق ـــ أن الحرف نفسه اتصل مرة وانفصل مرة أخرى (انظر كلمتي لفظ الجلالة ـــ الله ـــ في السطر الأول من (بحرة = الدائرة الداخلية) للدرهم فمرة وصلت اللام وأخرى انفصلت، ولاحظت في آخر السطر الثالث من النص نفسه كلمة (يكن) حيث انفصلت (النون) عن (الكاف) أما في النص المؤطر للدرهم فلاحظ انفصال (الهاء) الأولى عن (الراء) التي تليها في كلمة (ليظهره) الأمر الذي يؤكد رأينا هذا!

أما بقية السمات التي تأثر بها خط المسند إضافة لما ذكرت من:

١ ـــ التخلي عن عمودية الحرف (المسند) والتحول إلى أفقية (الجزم).

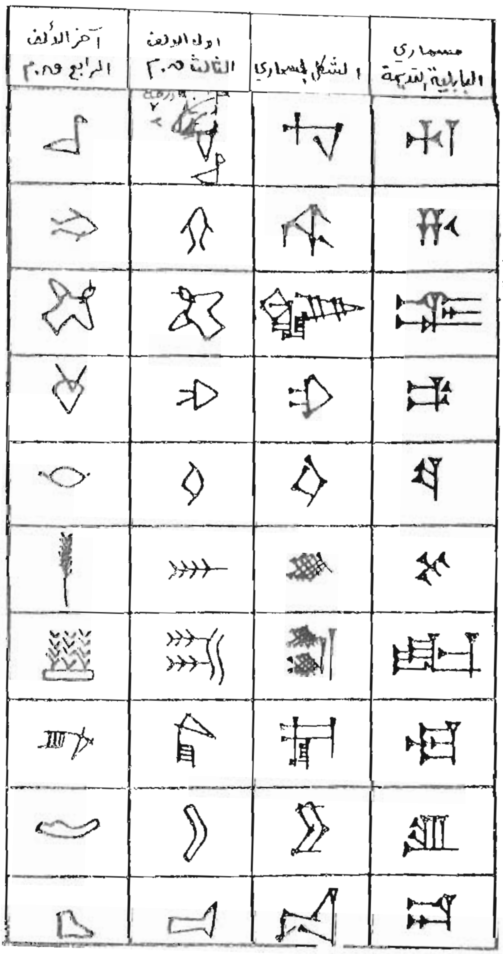
٢ ـــ ربط (وصل) الحروف ضمن الكلمة الواردة باستثناء (ستة حروف ذكرناها).

٣ ـــ تكريس أفقية السطر كأسلوب عام ـــ وهذا لا ينفي ظهور أفقية السطر في الكتابات الجنوبية المتأخرة في الجنوب أيضاً كما في نقش (بيت ضبعان وغيره) ـــ مرفق ـــ.

٤ ـــ تبنى بداية السطر من اليمين واستمراره أفقياً نحو اليسار (مكرراً ذلك في كل سطر). بدلاً من العمودية التي سبق أن «انبعثت تسميته ـــ بالمسند ـــ من إقامته كالأعمدة» (عن ١٠٦ **موسوعة المصرف**) لذا فإن تحول الحروف من العمودية (المسندة) إلى الأفقية أمر معروف في أبجديات أخرى ـــ كما سنرى ـــ وتقره التجربة والاستقراء (وهما أسلوبان معتمدان في أساليب البحث العلمي) فنرى من (المقارنة بين العلامات التي سادت في أواخر الألف الرابع ق. م ومثيلاتها في أوائل الألف الثالث ق. م في الجدول المرفق (ص ٣٦ و ١٤٨ من كتاب **الأبجدية** ـــ د. أحمد هبو) نرى أنها (العلامات)

انحرفت عن وضعيتها الأولى بزاوية قدرها ٩٠ درجة باتجاه معاكس لعقارب الساعة ، كما لو كتبنا الحرف ألف (ا) العربي أفقياً بدلاً من عموديته ، فيكون قد استدار مقدار ٩٠ درجة  وربما يعود ذلك إلى أن الناقش بدأ ينظم عملية الكتابة بحيث جعل الرموز ـ الحروف أفقية كما هي السطور ، فقد كانت كيفية ثم انتظمت عمودية ثم تحولت إلى الأفقية .

وفي مثال آخر (يقول السيد عبد الحكيم الذنون في كتابه ص ٤٤ **الذاكرة الأولى**) : (... بعد أن كانت كتابة اسم الشخص تبدو وهو واقف في المرحلة التالية أصبح جالساً (مسجى) .١٠



الشكل رقم (١٩)

وإن محاولات الوصل متعددة في أبجديات أخرى، وربما أخذت صيغة الدمج الناجم أحياناً عن الإدغام في اللغط، فقد سلف أن دمجت بعض الحروف المدغمة في النطق وفي الكتابة. وفي البروتو سينائية نرى أنهم دمجوا حرف (الـزاي) مع حرف (العين) ⊢ o فصارت هكذا (⊢o) وفي الثمودية دمجوا حرف الميم مع النون ١ فصارت ـــ وقد لاحظت حتى في المسند محاولة الوصل بين حروف كلمة كهل ـــ انظر الشكل المرفق.



ـــ بالاذن ـــ (عن ١٢٠ / قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام ـــ جامعة الرياض ١٤٠٢)

ـــ إنها صنجة ميزان من النحاس مستطيلة على شكل جسم حيوان وله أربع قوائم وعلى جوانبه نقوش هي:

١ ـــ كهل ( ) وهي مكتوبة بحروف المسند الموصولة جميعها كما ترى.

٢ ـــ غوث مـ (م) (وعلى الوجه الآخر) ـن (من) قشمم

٣ ـــ أطعم بن عاج (علي)

انظر كلمة كهل (١) إنها كتبت بحروف المسند لكنها موصولة الحروف.

الشكل رقم (٢٠)

صنجة النحاس (وزنة) وجه وقفا



مبخرة من الحجر الجيري منقوشة (كهل رب) (لاحظ حروف كهل الموصولة هنا أيضاً)
ــ (بالاذن ــ ١٣٦ قرية الفاو وصورة للحضارة العربية قبل الإسلام / إصدار جامعة الرياض ١٤٠٢)

الشكل رقم (٢١)

ليست كلمة (كهل) هي الكتابة الوحيدة التي مرت معي بحروف المسند الموصولة هنا وعلى صنجة الميزان التالية فقد كتبت كلمة كهل = موصولة كما ترى أعلاه ( ) لكنها وصلت وهي مسندة بينما نجدها لدينا في كتابة الجزم موصولة إنما بحروف أفقية كما في التالي (بعد أفقية حروف المسند وتحولها إلى حروف الجزم)

كهل =

قارنها بالمسند : الذي تحول في خط الجزم إلى الأفقية الحرف فصارت كـ ـهـ ـل

ــ ونستطيع القول أن وصل حروف كلمة كهل بالخط المسند ليس صدفة لأنه ورد مرتين كما رأينا هنا وكهل هو أحد الآلهة الذين عبدوا في الجنوب وفي قرية (الفاو) لدرجة أنها سميت (قرية ذي كهل)

ــ وفي شاهد آخر على محاولات وصل حرف المسند التي بقيت محدودة، فقد ورد في نقش بيت ضبعان السطر (٣) كلمة ذرنخ موصولة الحروف كما ترى.

كما لاحظت تجويزهم أحياناً فصل حروف الجزم كما في الشحين ... الكلمات

الله ـــ / يكن ـــ / ليظهره . حيث كتبت دون وصل

هكذا :



درهم أموي ضرب بأربعين سنة ٩٤ هـ ـــ عن ووكر ـــ

الشكل رقم (٢٢)



(الله) اللام منفصلة ، ثم متصلة في الكلمة الثانية

(يكن) النون المفصولة عن الكاف التي قبلها

ـــ وفي الإطار ورد فصل الراء عن الهاء التي سبقتها

ـــ ليظهره في كلمة ليظهره .

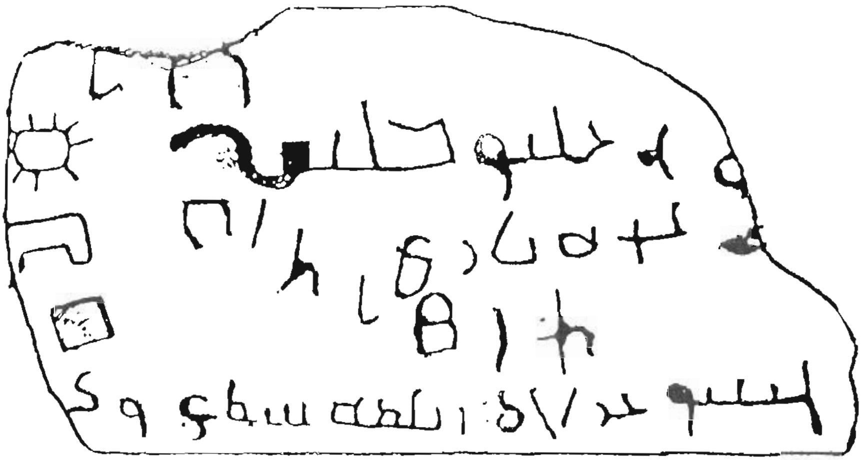
بـواكيـر خـط الـجـزم

(من معين الخط المسند الذي لا ينضب انبثقت بواكير خط الجزم)

ـ بواكير خط الجزم في خمسة نقوش .
ـ النقوش الخمسة في الميزان .
ـ قراءاتها المنشورة سابقاً .
ـ قراءتي لها
ـ دراسة مقارنة ومناقشة تواريخها ـ ومضامينها .
ـ ربط النقوش مع الجذور التي عاصرتها .

ـ وأود أن أعترف أن هذا البحث (بواكير خط الجزم) قد أضفته على هذه المدونة هنا بعد إنجاز هذا المجلد ليستبين للباحث والمطلع أن هذا الخط الذي تكتب به اليوم من أية روافد جاء وكيف وما تحت يدنا من بواكيره فاستحق أن يأخذ مكانه من هذا السفر !

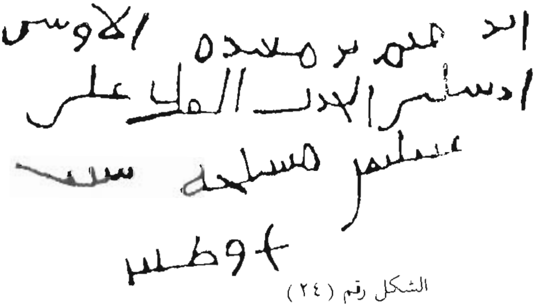
بواكير خط الجزم ـــ في خمس نقوش عربية جاهلية قبل الإسلام



الشكل رقم (٢٣)

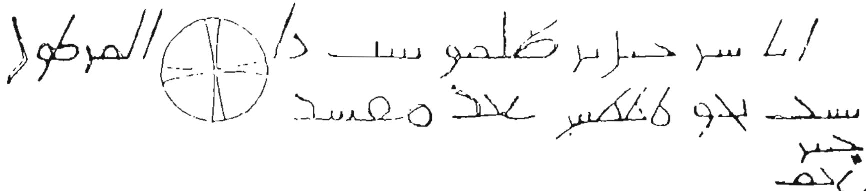
نقش أسيس

محفوظ في متحف الخط بدمشق



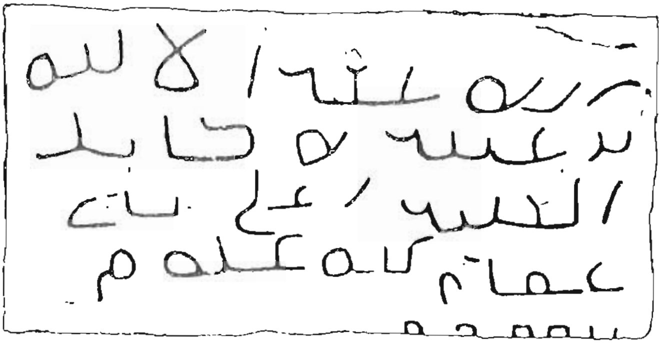
الشكل رقم (٢٤)

نقش حرّان



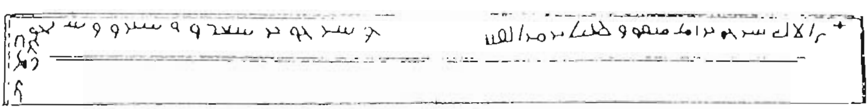
الشكل رقم (٢٥)

نقش أم الجمال الثاني



الشكل رقم (٢٦)

نقش زبد ـــ النص العربي لكتابة زبد (قرب،قنسرين)



الشكل رقم (٢٧)

تعريف عاجل بالنقوش الخمسة

ـ نقش رم الثاني

الحلقة المفقودة التي تجمع بين أبجديتي المسند ـ والجزم ضمن نص واحد.

سبق أن عني به سافيناك وهرزفيلد وقرىء دون تفكيك للحروف (غروهمان). لذا لجأت لإعادة قراءته.

ـ نقش أسيس

اكتشف ١٩٦٥ بمعرفة المرحوم أبو الفرج العش في أثناء عمل بعثة ألمانية برئاسة د. كلاوس برش محفوظ في متحف الخط العربي بدمشق (الجقمقية)

ـ نص حران

وهو نص عربي مكتوب تاريخه سنة ٥٦٨ بعد الميلاد. نقلاً عن:

ـ ماتزال على ساكف بيت مسكون بحران (de Vogüé, Syrie, Centrale, Inscriptions Sémétiques p. 177).

كان أصلاً كنيسة وهو منقوش بلغتين يونانية وعربية وجاء النص اليوناني: أسس أشرحيل بن ظالم سيد القبيلة مرطول ماريوحنا في سنة أربعماية وثلاث وستين من الأندقطية الأولى ليذكر الكاتب

ويقرأ النص هكذا:

أنا شرحيل بر ظلمو (ظالم) بنيت ذا المرطول=الضريح سنت (سنة) ٤٦٣ بعد مفسد خيبر بعم (بعام).

نقش أم الجمال الثاني الثاني

ترجع إلى القرن السادس الميلادي رغم غير مؤرخ: (E. Littman Syria Dibision IV Semetic Inscriptions.-Section D: Arabic Inscriptions, p. 1) 1949

ـ عثر عليه في الكنيسة المزدوجة من قبل بعثة جامعة برنستون الأثرية إلى سوريا عام ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ ـ منقوش على حجر بازلتي (٣١ × ٦٢ سم)

وتقرأ هكذا :

الله غفر (ستر) الألية (الحلف)

بن (مس) عبيدة كاتب (مسقط / فارض)

الهنيدا (المئة) على بني عمري كبة (جمهور)

عله (عله بن جلد) مس

(ابنه عمرو)

كتابة زبد

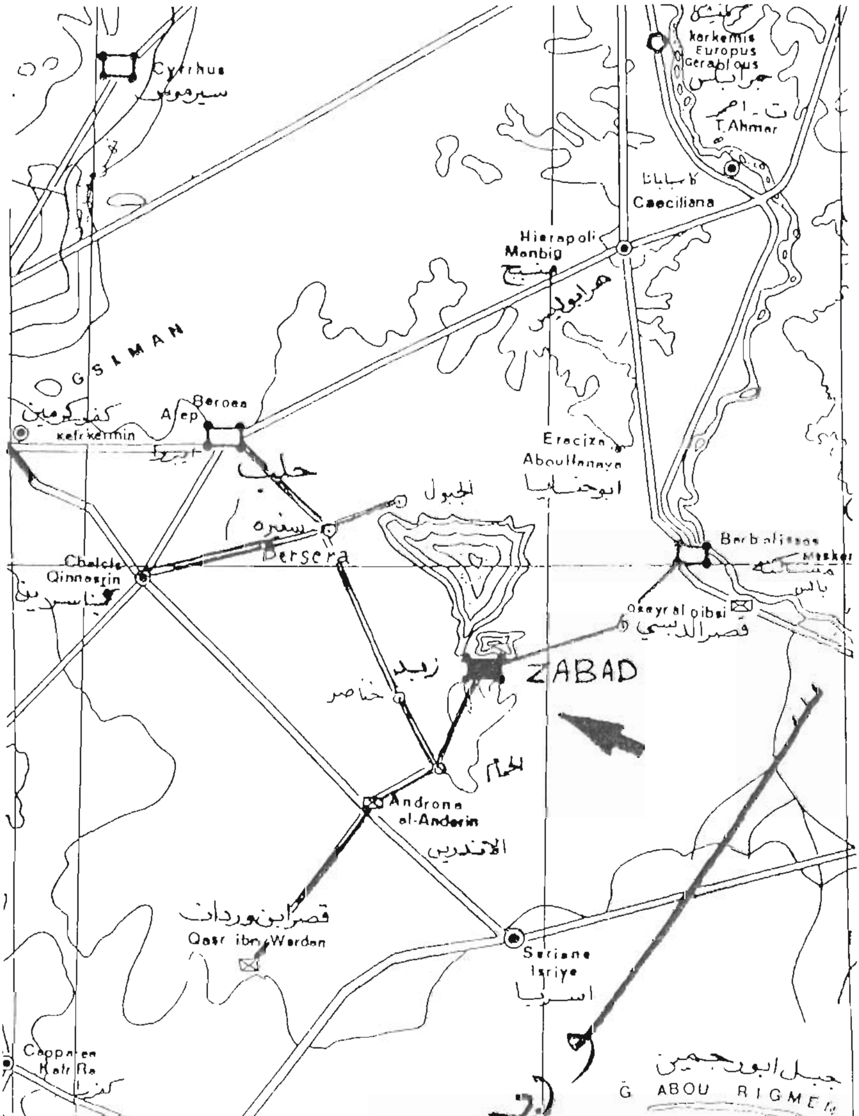
وجدت فوق هذه الكتابة العربية التي صيغت بالطريقة النبطية كتابتان : يونانية وسريانية . يعود تاريخها ضمن النص اليوناني إلى سنة ٥١٢ بعد الميلاد . نقش على حجر بعلو باب كنيسة مارسركيس

نقلا عن : Lidzbarski, Handbuch der Nordsemitischen Epigraphik, I Text, 1898. S. 484) محفوظ في متحف تاريخ الفن ببروكسل بلجيكا .

وتقرأ هكذا :

« بسم الاله : شرحو بر مع قيمو بر مر القس وشرحو بر سعدو وسترو وشريحو » (بتميمي) وكتبت هذه الكلمة بالسريانية . بينما قرأتها أُبل طم أى (ترهبوا نهائياً) . وهذه كلها أسماء .

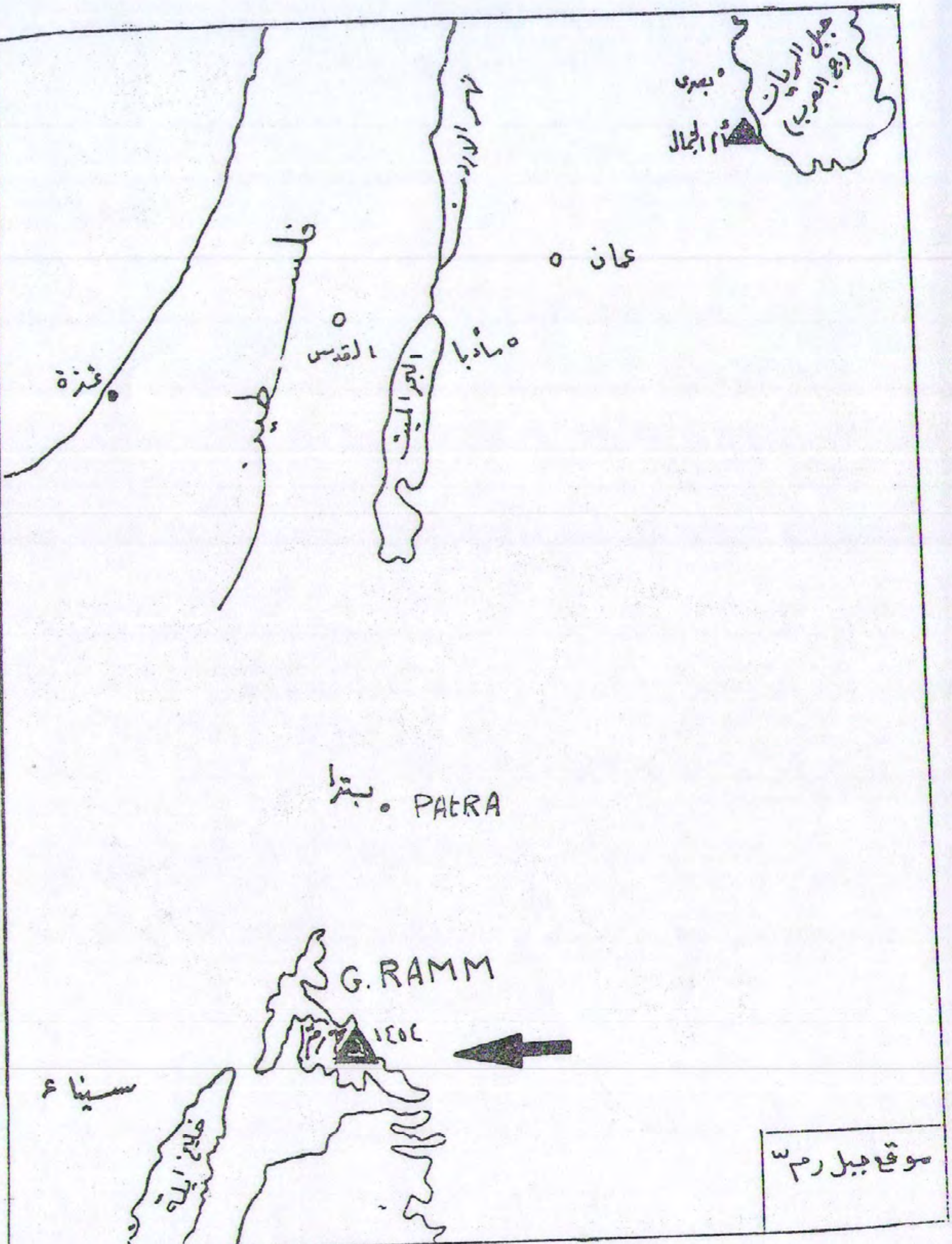
ضبط مواقع النقوش الخمسة على الخرائط



خريطة مجتزأة من خريطة تاريخية إعداد ونشر المؤلف

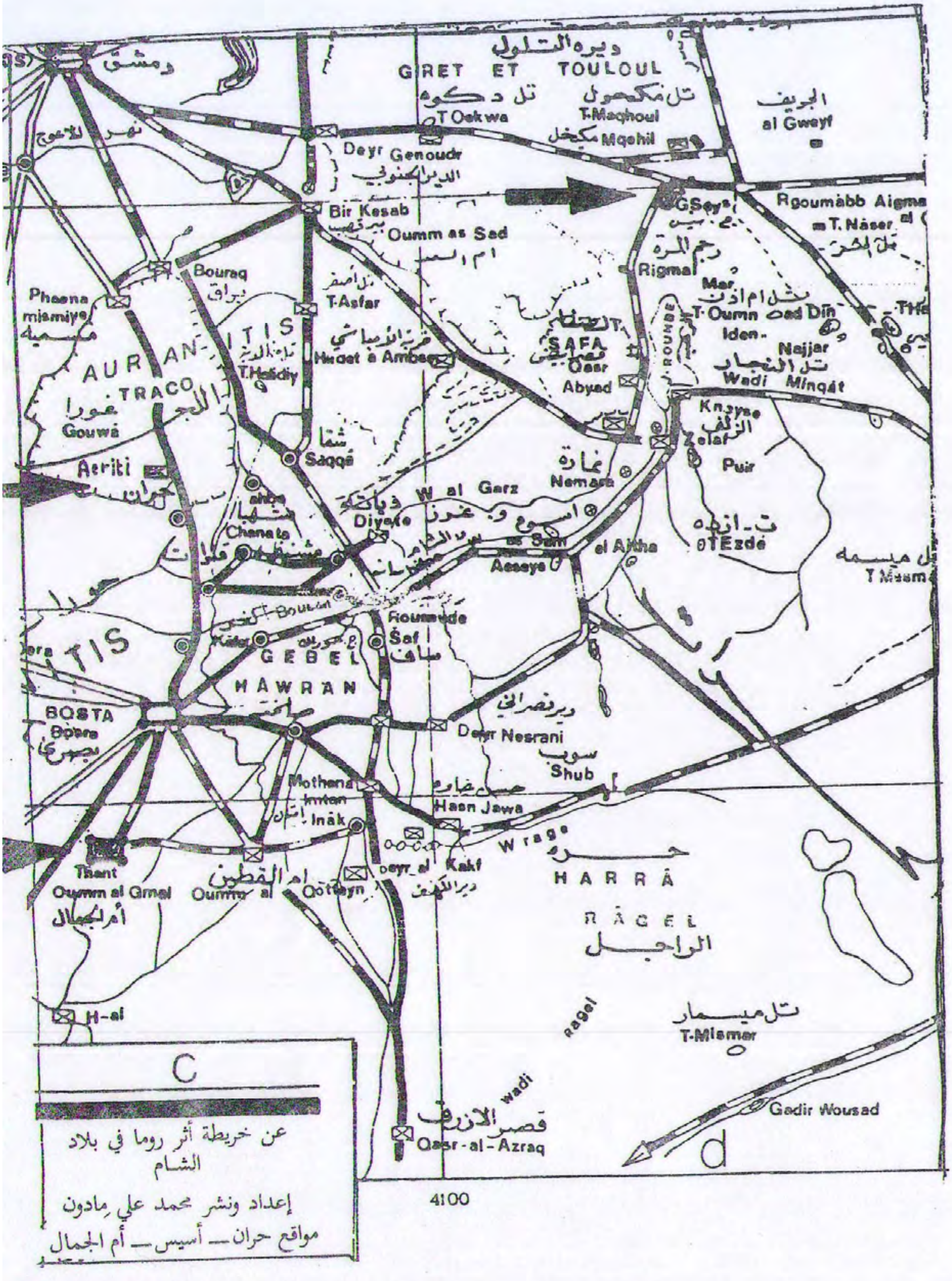
توضح موقع زبد

الشكل رقم (٢٨)



خريطة موضح عليها موقع جبل الرم

الشكل رقم (٢٩)


GRET ET TOULOUL
ديره التلول
تل دكوه
T Oekwa
تل مكحول
T-Maqhoul
Mqshil
الجويف
al Gweyf
دمشق
نهر الأعوج
Deyr Genoudr
الدير الجنوبي
Bir Kesab
Oumm as Sad
ام السعد
G.Seys
Rgoumabb Aigma
T. Nåser
Rigmal
Bouraq
براق
T-Asfar
تل أصفر
Phaena
mismiye
مسمية
AURANITIS
TRACO
T.Halidiy
Hurget a Ambee
SAFA
Qasr
Abyad
T-Oumn oad Din
Iden-
Najjar
تل النجار
Wadi Minqat
Knayse
Zelaf
الزلف
Puir
Gouwa
Aeriti
Saqqa
شقا
Nemara
نمارة
W al Garz
Diyate
Chenate
as Sam
Aeseys
el Altha
T Ezde
ت ـ ازده
T Mesm
Roumede
Saf
GEBEL
HAWRAN
BOSTA
Bpbra
بصرى
Deyr Nesrani
Shub
سوب
Mothena
Intan
Inak
Haen Jawa
Wrage
حره
HARRA
RAGEL
الراجل
Thant
Oumm al Gmal
أم الجمال
ام القطين
Oumm al Qotteyn
Deyr al Kahf
دير الكهف
H-al
C
wadi
ragel
T-Mismar
تل ميسمار
Gadir Wousad
قصر الازرق
Qasr-al-Azraq
d
4100
عن خريطة أثر روما في بلاد الشام
إعداد ونشر محمد علي مادون
مواقع حران ــ أسيس ــ أم الجمال

الشكل رقم (٣٠)

حـــــول
النقــوش الـخمســـة

النقـوش كتـراث

من المفارقات والإجحاف أن ينتقص شأن الأمور العظام حتى ولو كان السبب أمراً واقعياً ليس للإنسان فيه شأن . ويعتبر الحرف والأبجدية جناحاً حمل الفكر فكر الأجيال عبر الزمن فتوارثت البشرية عن طريق الحرف تراثها ووقائعها بما فيها من مباهج وأحزان ــ ولولا الحرف لم يعلم الإنسان من الماضي عبره ولفقدت البشرية تجاربها المكرسة للأجيال القادمة .

ويعتبر العرب الأقدم شأناً في مجال التدوين لأفكارهم وأيامهم وإن أنكر عليهم المغرضون تلك السمة التي تثبتها اللقى الأثرية فقد تركوا تركة لم يحدد حجمها بعد وإن أمكن القول وبشكل مؤكد أن أثرها وما حوته مضامينها ذو شأن عظيم تلك اللقى التي نسميها « النقوش الكتابية » المنثورة اليوم في مصادر لا حصر لها ــ إذ مازالت الأرض العربية تجود بأعداد هائلة من الحجارة المنقوشة بكتابات مختلفة ومن عصور متفاوتة ، ويسعدني أن أنوه إلى أنني أحاول حصر مصادر ومصير تلك النقوش وإذا كانت النقوش الأكثر تلك التي نقشت « بالخط المسند » وفروعه الثلاثة « الثمودي / واللحياني / والصفوي » فإن النقوش الأخرى التي عثر عليها حتى الآن « بالخط الجزم » الذي نعتمده اليوم في كتابتنا حيث احتل مكان الخط المسند وفروعه سابقة الذكر ــ إنما هي نقوش قليلة تعد على الأصابع وذلك بالنسبة لنقوش ما قبل الإسلام ــ أي الجاهلية / فهي نقوش نادرة ضنَّت الأقدار والمساعي بمزيد منها فبقيت حتى الآن قاصرة على خمسة نقوش لا غير وهي :

١ ــ نقش زَبَد .
٢ ــ نقش حَـرّان .
٣ ــ نقش أم الجمال الثاني .

٤ ـــ نقش رمّ الثاني .
٥ ـــ نقش أُسَيْس .

وسوف أتناولها بالتفصيل بما يلقى الضوء عليها أمام لهفة القارىء المتبصر بحيث يدرك أهمية تلك الحفنة القليلة من اللقى ذات الشأن العظيم وخاصة بالنسبة لقلمنا الذي تكتب به الملايين من عرب ومسلمين ، خاصة وانه بحروفه دوّن القرآن الكريم ثم الحديث الشريف بما فيها المكاتيب النبوية ، وإن كان أحدهم قد أورد أحد مكاتيبه (ﷺ) بخط المسند(٧) . وهكذا فإنا لسنا بحاجة لإبراز أهمية خط الجزم .

ومن المؤسف أن الدراسات التي انصبت على النقوش المذكورة ما زالت قاصرة لأنها تنطلق عموماً من مسلمات مسبقة قيدات الدارسين في إطار فرضية تأخر تأخر ظهور خط الجزم زمنياً فدارت البحوث على أنها تنتمي للقرن الرابع والخامس الميلادي ولئن جاز فرضياً إمكانية انتماء هذه النقوش الخمسة المعثور عليها حتى الآن لفترة متأخرة فلا بد أنه قد سبقها الكثير مما لم يكتشف بعد . الأمر الذي يجعل مجمل الدراسات هذه عرضة للنقض فتنسف أسسها عندما يقوم الدليل المعاكس لها ولأن الاكتشافات واللقى الأثرية كانت بنقوش الجزم ضنينة فقد أخذت تلك النقوش أهميتها من الشح الذي غمرها وغمر بواكير خط الجزم .

نقـش رمّ الثـانـي

إذا كانت النقوش الأربعة الأولى السابق ذكرها قد تمركزت إلى شمالي بلاد الشام وأوسطها ، فإن نقشاً آخر خامساً هو (نقش رمّ الثاني) قد وجد أيضاً إلى جنوبيها وبالضبط إلى الشمال الشرقي من العقبة وإلى الجنوب من بتراء (البتراء) حيث يقع جبل رمّ .

الأمر الذي يكرس لبلاد الشام وعلى وجه الخصوص شماليها ، خصوصية الملامح الأولى لخط الجزم نشوءاً وانتشاراً ومنها انساح إلى المناطق الأخرى خاصة وأن القرآن الكريم دون بهذا الخط فيما بعد .

إنما لهذا النقش عندي وفي رأيي أهمية بالغة مبلغ الجذور بالنسبة للفروع ، وتنبع تلك الأهمية من كونه حوى نصاً نقش بحروف المسند وبحروف الجزم معاً وربما بأبجدية تنتمي للنبطية أو التدمرية .

ولقد عني بهذا النقش كل من : سافيناك وهرزفيلد وقرئ دون تفكيك للحروف (غروهمان) :

(عليو خـليـص	أي : علـي خليـص
بـر هبـار ك	بن المبـارك
حبيبو عزامّ اللمة سطى وكـ .)	حبيب عزة أم اللمة سطى وكفـا

هكذا وعلى هذا النحو قرؤوه منقوصاً مع تجاهل باقي النص .

وكما يبدو للقارئ أن هذه القراءة غير متوازنة مع النص وهي مقتضبة ومجردة من عدد من الحروف التي ذكرت في النقش نفسه .

لما سلف فالأمر يدعو لإعادة قراءة وتفكيك حروف النقش وصولاً للحقيقة التي دفعت الناقش لتدوينه .

وكما أسلفت فإن أنقس (نقش رمّ) هذا إنما يمثل عندي (الحلقة المفقودة) بين خط الجزم ــ والخط المسند وفروعه ، فقد حوى كلمات شارك الحرفان (المسند والجزم) في صياغتها .

أما قراءته فهي كالتالي :



١ ــ ق د / ع ل ي و / ج ى ش هـ

قاد علىُ جيشــه



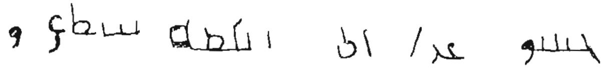
٢ ــ و ن ت هـ / ب ا ر ص

؟ (ض) (الصاد بدل الضاد من التأثيرات الفينيقية والسريانية

وانتهى بأرض



٣ ــ ت ر ض / ل ك ل ب



٤ ــ ج ي ش و / ع د ا / ا ل ى / ا ل ك م ة / س ط ر / و

جيش عد إلى الكلمة سطر (ضرب بالسيف) /



٥ ــ ك و م ض

كومض ريب (ومض الشك

وهكذا يكون النص مقروئاً على النحو التالي :

١ ــ قاد علي جيشه

٢ ــ وانتهى بارض

٣ ــ تراض لكالب (أي سهلة مذللة، منبسطة، ذات مياه ــ انظر المصباح المنير ــ

(٢٩١

٤ ــ جيش عدا إلى الكمه (أي الذين لا يرون ولا يبصرون الضالين، والممتنعون ور

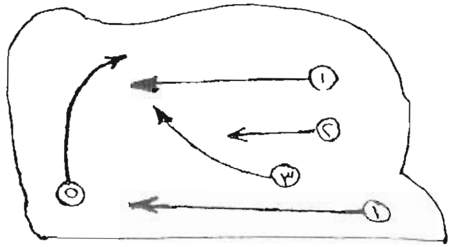
المقصود أرأس القوس فالكمّة هي القلنسوة التي تغطي الراس / ٦٥٥ / ٦٥٦ / المصباح المنير

للفيومي).

..سَطَر (ضرب بالسيف)، وأعمل السيف بأعدائه.

٥ ـــ كومض (برق) ريب (شك) ... أي كقولنا كخطف البرق كل ذلك وكأنه على الشك والريب .

ـــ مخطط القراءة



وهكذا رأينا أن :

كلمة قاد دونت بحروف أبجدية المسند ومثلها الحروف الثلاثة الأولى من كلمة وانتهى

وحرف الضاد في كلمة بأرض وقد تقرأ بأرص بالصاد وفي مثل هذه الحالة معروفة تقارض الصاد مكان الضاد كما في السريانية رضابا ← تصير رصابا ← رصافا وكما في الفينيقية أرض ← تصير أرص و صان ← ضان

ـــ وبالنسبة أيضاً لكلمتي تراض لكالب دونت كل حروفها بالمسند

ـــ أما حرف الراء في كلمة سطر (أي أعمل السلف وضرب به) فقد دونت بالراء التدمرية

ـــ وأخيراً فإن الكلمتين : ومض ريب كذلك دونت بالمسند

لذا سلف أن أكدت على أهمية هذا النقش الذي تضمن نصاً دون بأبجديات كانت تتطور معاً وهذا مايؤكد وجهة نظرنا في أن الجزم متطور عن المسند وفروعه !

نقـــش أسيـــس

شرقي دمشق وعلى مسافة تقرب من ١١٥ كم شرقي في منطقة ديرة التلول الواقعة شمالي الصفا هناك تل ليس أكبرها هو «تل أسيس» ويعلو هذا التل قصر استخدمه الأمويون فيما بعد وهو ينتمي لعهد ما قبل الإسلام وقد ذكر لي أحدهم أنه رأى عنده حجر يسموته «خـرّام» تربط به الخيول (وهو حجر مثقوب في وسطه) ليمنع الفرس من الهرب ومدون عليه : مر بهذا المكان الصحابي خالد بن الوليد سنة ١٨ هـ . لذا يمكن القول أن هذا القصر والتل لم تستقصى بعد محتوياته ولا دراسته بشكل جذري وإن نقب فيه بعض الأثريون فإن ذلك لم يستنفد كل مكنوناته بعد .

ففي عام ١٩٦٥ كانت بعثة ألمانية برئاسة الدكتور كلاوس برش وبجهد ومعاونة المرحوم أبو الفرج العش وأثناء التنقيب عثر المنقبون على حجر منقوش سمي فيما بعد بنقش أسيس وهو مدون بخط الجزم .

والمنطقة بما فيها منطقة الصفا تقع على حافة البادية وكما أصبح معروفاً أن (٢٥) قبيلة كانت تقطنها زمن الصفويين وهي قبائل يمنية الهوية والجذور (انظر كتابي المدونة العربية السابق ذكره) .

قـراءة النـقـش

لقد قرىء النقش على أنه يتضمن النص التالي :

«ابراهيم بن المغيرة الأوسي
أرسلني الحرث الملك على
سليمان مسلحة سنت
+ وطس . وقرئت كلمة وطس أنها تساوي بالأرقام : (٤٢٣)»

١٠٥
———
٥٢٨م

بينما قرأت النص على الشكل التالي :

«ابراهيم بن المغيرة الأوسي
أرسلني الحرث الملك على
بني «ا» ليمن (أو عتـ«ا»ت اليمن) مسلحة سنة
أوطس (توطس) . » .

وكما يرى القارىء أن الكلمة الأولى في السطر الرابع من النقش تبدأ بحرف العين (عـ) وبذلك تقرأ (عتات اليمن).

أما الكلمة الأخيرة + وطس

فإذا اعتبرنا الحرف الأول هو (تاء) (ت) بالمسند أو أحد فروعه فتكون الكلمة (توطس / أو / تواطس) وإن كان الحرف الأول (ألف نبطية) كانت القراءة أوطس (أوطاس) وقد يعنون بها الاقتتال الشديد فتوطس الشيء = كسره ودقه الوطيس = المعركة لأن الخيل تضمسها بحوافرها ــ والوطيس = البلاء والوطيس حفرة يختبز بها (انظر / ١٤٢ / ٨ لسان العرب).

أو سنة الصلب والحرق، أو المصلوبين المحرقين.

وماوطس القوم = لم يدفعوا عن أنفسهم (٢٦٦ / ٢ لسان العرب).

أما ما ورد عن الحارث الملك مرسل ابراهيم بن المغيرة الأوسي مسلحة لهذه المنطقة ليرصد تحركات القبائل اليمنية التي سلف ذكرها، وهكذا فالحارث يحتمل أن يكون أحد أربعة من ملوك الأنباط:

١ ــ الحارث الأول ١٦٩ ق. م.

٢ ــ الحارث الثاني ٩٦ ق. م.

٣ ــ الحارث الثالث ٦١ ق. م.

٤ ــ الحارث الرابع ٩ ق. م ــ ٤١ ب. م.

وذلك ينقض التقديرات الجارية حتى الآن لتاريخ هذا النقش ويفارق حوالي أربعة قرون ويكون تاريخه واقعاً ما بين (١٦٩ ق. م ــ و ٤١ ب. م).

وكما أسلفت فإن لأسيس تاريخ وأحداث وذكر في الأوابد:

حيث قال ياقوت الحموي في معجم البلدان ١٩٣ / ١: أسيس موضع في ديار بني عامر بن صعصعة. وقال امرؤ القيس حيث احتضر وعرف أن منيته قد أدركته، وأسيس ليس بعيداً عن النمارة التي اكتشف قبره فيها.

فلو أني هلكت بأرض قومي ... لقلت الموت حق لا خلودا
ولكني هلكت بأرض قوم ... بعيداً عن بلادهم بعيدا

بأرض الـروم لأنسـب قريـب ولا شاف فيسـدو أو يغيبـا
أعالـج ملك قيصـر كل يـوم وأجـدر بالـمنيـة ان تعـودا
ولـو صادفتهـن على أسيـس وخافـة إذ وَرَدْنَ بهـا ورودا

وقال ابن السكيت في تفسير قول عدي بن الرقاع :

قد حباني الوليـد يوم أسيـس بعشـار فيهـا غنـى وبهـاء

أسيس : ماء شرقي دمشق . ويلفظونه اليوم بـ :سِيْسْ .

ولقد قمت بزيارة أسيس ميدانياً فهو شرقي أبو الشامات إلى الجنوب وشرقي ديرة التلول وشمالي الصفا عند أسفله نزّ ماء ربما يكون مستنقعاً وفيه بئر روية اليوم تلة (تل) يعلوه قصر يسمى بـ : أسيس ، وأسيس إله جاهلي عبده أهل المنطقة من القبائل اليمنية المسمون بالصفويين وله ذكر بالنقوش الصفوية .

ومن المفيد لهذه المناسبة واعتماداً على ما قاله امرؤ القيس في شعره السالف ذكره فهو بلا شك صاحب القبر الذي اكتشف في النمارة من قبل « رينيه دوسو » مر بداية هذا القرن حيث اكتشف أيضاً النقش الذي يعلو قبره عند منعطف الوادي . وهو نقش هام مدون بالنبطية المتأخرة ومحفوظ في متحف اللوفر بفرنسا وبذلك تنتهي مقولة موته في قرب أنقرة إذ يقول الشاعر :

بث الجيوش ببطن الأرض يطلبها من أرض بصرى إلى آكام نجرانا

وهو القائل عندما كان في مرضه :

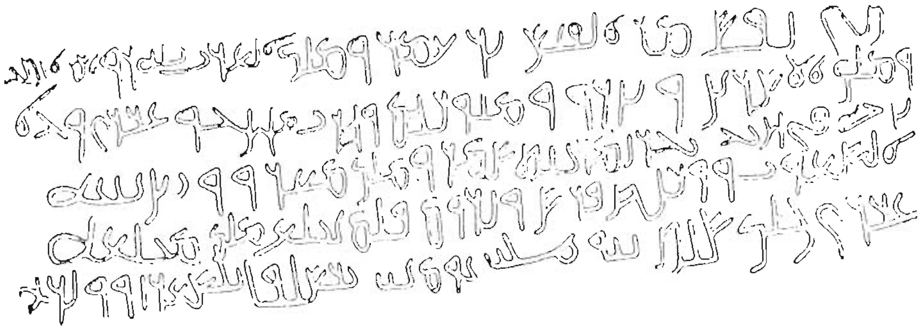
أجارتنـا ان الـخطـوب تنـوب وإنـي مقيـم ما أقـام عسيـب

سواء كان عسيب جبل في الجزيرة العربية أم كان عصيب جبل الشيخ أو جبل العرب المعصوبي القمتين بثلوج الشتاء فإن مثواه الحقيقي عند النمارة جنوبي الصفا مهملاً بين أهله الذين ما زالوا يتغنون اليوم بأشعاره .

وفيما يلي أرفق النقش المسمى شاهدة قبر امرؤ القيس المعثور عليها في النمارة والمحفوظ في متحف اللوفر وهو مدون بخط نبطي موصول قُرِىء كما يلي :

« تي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسر التاج وملك الأسدين ونزار وملوكهم وهرّب محجو عكدي وجار

يرجي في حجج نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بينه الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده».



نقش النمارة (٣٢٨ م)

الشكل رقم (٣١)

نقـــش حـــران

عند الحافة الشمالية الغربية لجبل العرب ــ في سوريا ــ وفي منطقة اللجاة ليس بعيداً عن ازرع هناك تقع حران.

في خرائب وعلى حجر يعلو باب كنيسة عتيقة لحقها الدمار وعفا عليها الزمن ــ وقد أفادني أحد الأصدقاء أن قسماً مسكوناً يشغله بعض المواطنين اليوم ــ تعلو باب مسكنة هذا حجر تحمل النقش العتيد الذي تنقصه الرعاية فهو يحتاج لاهتمام بالغ وضمان من احتمال الاعتداء عليه وفقدان أثر من خمسة آثار لا سادس لها على ما بلغني حتى تاريخه، أو على الأقل تشويهه ولقد دون هذا النقش بلغتين هما (العربية واليونانية):

وما يذكر حول هذا النقش أنه سبق أن درس وقرىء على النحو التالي:

(أنا شرحل «شرحبيل» بن ظلمو بنيت ذا المرطول «الضريح الذكرى» سنت نحو اطلس بعد مفسد خيبر بعام). ورقموا كلمة اططس على أنها تعادل التاريخ (٥٦٨) م.

وعندي اقرؤه: (أنا شرحبل بن ظلمو بنيت ذا المرطول «بمعنى الضريح» سنة اططاس «بمعنى القتال الحامي» ماــ بعد مفسد خيبر بعام.).

وكلمة المرطول ربما استخدمت ككلمة دخيلة في حينه منتهية باللام (هكذا) متقارضة عن اللاتيني (مورديز).

وأما كلمة اططاس فهي تعني القتال الحامي والشديد ــ قال (ﷺ) في يوم حنين: اليوم حمي الوطيس وقالوا أنهم لم يسمعوها قبله «بمعنى أنها لم تكن مستعملة أو شائعة الاستعمال» فكأنهم قد أرخوا بذلك نهاية تحجرها وعودة استخدامها لهذه المناسبة ولعل الناقش قصد بذلك اشتعال البراكين إن لم يقصد قتالاً يكون قد نشب في المنطقة أو في خيبر نفسها أو في اليمن مهدهم الأول وكانت أخبارها تهم أهل المنطقة القاطنين فيها ذلك الزمن حيث ثبت أن ٢٥ قبيلة يمنية أقامت في المنطقة نفسها (انظر المدونة العربية الموحدة للنقوش العربية القديمة ــ المجلد الأول) لمحمد علي مادون أما مفسد خيبر فليس ما يشير إلى حادثة بعينها إذ هناك عدة مناسبات لفساد خيبر.

وأجد علي أن أنوه بأن استنتاجهم للتاريخ الذي دون فيه هذا النقش على أنه **٥٦٨ م** إنما هو غير واقعي للأسباب التالية :

هم حسبوا حروف كلمة (اططس) على أنها تساوي = ٤٦٣ + ١٠٥ = ٥٦٨ بينما تساوي حروف كلمة «اططس» .

وإن وجود حرف الط (ط) الذي = ٤٠٠ ومكرراً مرتين أي : ٨٠٠ وهذا وحده كاف لتعذر استخدام هذه الكلمة للتاريخ بحروفها .

نقـــش أم الجمـــال

عند الذيول الجنوبية لجبل العرب وقرب الحدود الأردنية السورية وإلى الجنوب قليلاً من بصرى تقع (أم الجمال) وحيث كانت البعثة الأثرية من جامعة برنستين إلى سورية كانت تعمل في عامي ١٩٠٤ــ ١٩٠٥ م عثرت هذه البعثة على حجر بازلتي أبعاده (٣١ سم× ٦٢ سم) وفي موقع سمي بالكنيسة المزدوجة. وفيما ظهر أن النص غير مؤرخ وإن كان بعضهم نسبه إلى القرن السادس وأم الجمال هذه التي تطل اليوم بخرائبها على الجانب الجنوبي من بلاد الشام وتلود في السفوح الجنوبية لجبل العرب لا شك أنها كانت حاضرة وصل بين ساكني الجبل الذين يعتصمون به وبين السهوب الجنوبية الوعرة على مسافة غير بعيدة عن الدروب التي تصل الشمال بالجنوب عبر الوعار والهضاب (انظر أثر روما في بلاد الشام خريطة منشورة للكاتب ــ عن بواديبار).

أما قراءة النقش فقد استقرت على اللوحة التالية:

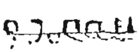
الله غفرا لاليه بى عبيدة كاتب الخليدا على بني عمرى كتبه عنهم..... (؟)

بينما: في قراءة أخرى:

الله غفرا لأليه بن عبيدة كاتب (القليدا) (القليدا) اعلى بني عمرى كتبه (تنبه) عنه عليه من (يقرؤه).

أما قراءتي للنقش فتختلف اختلافاً بيناً وكبيراً عما سلف وهي كما يلي:

«**الله غفر**(٨) ــ بمعنى ستر ــ **الألية**(٩) ــ الحلف ــ أو الحليف ــ
بنــ من ــ **عبيدة كابب**(١٠) ــ أي: مسقط، ملقي أرضاً ــ
الهنيد أعلى(١١) ــ بمعنى رئيس ــ **بني**
عمري كبّة(١٢) ــ بمعنى جمهور ــ **علّه من**

 ــ اقدر أنه يقصد: ابنه عمرو ــ».

وبالتالي يكون النص:

ــ الله ستر الحليف ابن عبيدة مسقط الهنيدة رئيس بني عمري جمهور بني علة من ابنه عمرو.

وإذا كنت هكذا قد جعلت قراءتي للنقش المسمّى بنقش أم الجمال الثاني نصاً جديداً مبنى ومعنى فلأني أدرك أن لغتهم وكلمات مفرداتها ليست مطابقة بالضرورة للمفردات المحكية اليوم لدينا الأمر الذي يجعل لهذا النص مدلولات أخرى غير ما ذكرت له من قراءات غيري ممن سلفوني .

وإذا رجعنا لتالك المسميات الواردة في نص النقش نجد :

١ ــ إن الدكتور جواد علي رحمه الله ذكر في مفصله في تاريخ العرب قبل اسلام / الصفحة ٢٤ / ٣ (بني عمري فقال هؤلاء Bene Amrie أو Jambrie) . ثم قال : ان بنو يمري الذين قتلوا « يوحنا » شقيق « يوناثان » وهو المعروف بـ : يوحنا المكابي فقبيلة عربية يبدو أن منازلها في مأدبا أقدم مدن موآب .

وفيما ذكر أن الاخوان يوناثان وسمعان Siman بأن عرساً سيزفون به عروساً مس جباثا وهي من أشراف العرب .. فذهبا ووضعا كميناً في مأدبا وسقط الموكب في الكمين وسقط القتلى وهرب مس تمكن من الهرب إلى الجبال ..

وفيما يبدو أن المكابيين وهم الحسمونيون قد أخذوا اسمهم من الضرب ، مضرب = مكابي الذين بدأ عصيانهم للسلوقيين سنة ١٦٨ ق . م على يد متاثياس ابن مثير الفتنة الأولى حيث انتصر على سلوقس نيكاتور في « اداسة » ثم خلفه الذي قتل بعد فترة فخلفه أخوه يوناثان وكان سمعان أخوه الذي مالبث ابنه هركاتس بن سمعان أن اتحد مع الصدوقيين (٩١٣ و ١١٠٦ / قاموس الكتاب المقدس) . ولئن صح هذا القول فتكون العداوة متأصلة بينهم وبني عمري المذكورين الذين سبق أن قتلوا أبو متياس الأكبر سنة ١٦٠ ق . م .

٢ ــ ثم تذكر لنا الأنساب ان (بني عمري) هم من بني (علّه) وعله هذا هو ابن جلد (خالد) بن مذحج (مالك) بن أدد من زيد كهلان (٣٧٠ / ١ المفصل لجواد علي)

وفي الصفحة ٤٥٨ / ٤ منه يقول : ومن أولاد عله ، عمرو ، وعامر ، وحرب . وأظهر بطون (جلد / خالد) هذا بنو علة (انظر : ج ٢ ١٩٩ / ١ من جمهرة النسب لابن الكلبي) .

وهذا ما ينطابق مع ما ورد في النقش من أن بني عمري هم كبة علة ، وما زال لبني عمري (العمارنة) ذكر في اليمن (من حديث شفهي مع السيد مطهر الأرياني) .

كما ورد ذكرهم في معجم كحالة ــ قبائل العرب ص ٨٠٧ :
(علة بن جلد : بطن من كهلان القحطانية وهم بنو علة بن جلد بن مالك « مذحج » بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان منهم النخع وهم « جسر ») .

وفي مصادر أخرى (صفة جزيرة العرب ص ١٨٢ / ١٨٧) بنو رهاء من بني علة بن مذحج .
ومسلية من علة .
وصداء من بني حرب من علة .

٣ ــ وأما عبارة (كابب) من كبّ ، أي رمى أرضاً فيتضح أنها جاءت بمعنى مُسْقِط الهنيد رئيس بني عمري . (وقد تعني الهنيد المائة عام ــ فيكون المعنى أنه تجاوزها وبلغ ما بعد المئة) .

وأما الهنيد فهو اسم عربي متداول منذ القديم إذ ما زلنا نتذكر الرواية التي تتضمن واقعة تعرض « بني جدام » والذين منهم بنوا الضبيب (الضليع) لدحية الكلبي بن خليفة يوم كان موفداً على الروم من النبي (ﷺ) يحمل رسالته إليهم حيث تعرض له « الهنيد » بن عوض فتنقذه رفاعة بن زيد الجذامي واسترد من بني الضبيب ــ الذين كانوا قد تهودوا ــ ما سلبوه من دحية وهؤلاء (بنوا الضبيب) كانوا يقيمون في حسمى (٢٤٨ / ٤ المفصل لجواد علي) .

وأما الكلمة التي ضاعت معالمها في نهاية النقش والتي كانت تشكل السطر الرابع فقد تكون أكثر من مدلول .

وعلى أي حال فإن هذا النقش قد يكون أقدم بكثير مما قدر له من التاريخ على ضوء ما أسلفت من النصوص التي لها علاقة وثيقة بمضمونه . وفيما يلي شجرة النسب لعلّة :

قحطان

يعرب

يشجب

سبأ

كهلان

زيد

عريب

عرو

زيد

أود

مالك (مذحج)

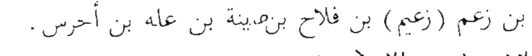
جلد (خالد)

علـة بنو علة

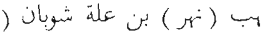
- حرب
- عمرو (عمري) كبّة علّة
  - عامر
  - مسلية
  - كعب
    - معقل
    - الحارث
      - الحماس
    - عبد المدان
  - النخع (جسر)

وهم (بنو النار ، وبنو الحماس ، وبنو قنان)

وقد ورد ذكر لعلة عندي في النقوش الصفوية (انظر المدونة العربية الموحدة للنقوش العربية القديمة / المجلد الأول) :

— في النقش رقم ٩٤٨ : 

بخيل بن زعم (زعيم) بن فلاح بنصبينة بن عله بن أحرس .

— وفي النقش رقم ٩٥٠ : 

نهب (نهر) بن علة شوبان (مصاب بضربة شمس) .

— وفي ملاحظة هامة :

لا بد من التمييز بين (بني عمري) هؤلاء الذين تحدث عنهم النقش وبين (أمري)

ملك إسرائيل الذي ظلم موآب لأيام طويلة فبنو عمري ــ عرب بينّا انتماءهم . ولنستمع إلى ما أورد الشيخ وهيبة الخازن في كتابه من الساميين إلى العرب ص ٥٧ منه : (في نقش للملك ميسع يذكر فيه حروبه مع إسرائيل في عهد ــ أمري ــ وسلبه أواني معبده يهوه وأعماله في مملكته ، ونص النقش مدون بالفينيقية من القرن ٩ ق . م أورد مقتطفات من ترجمته :

أنا ميسع بن كاموش ملك موآب ... وأقمت هذا المعبد لكاموش بقرحة معبد الخلاص لأنه خلصني من جميع المهاجمين وفرحني بكل أعدائي « أمري » كان ملك إسرائيل وظلم موآب لأيام طويلة .

نقـــش زبـــد

عند الأطراف الجنوبية لملحة الجبول جنوبي شرق حلب وليس بعيداً عن قنسرين ــ وفي منطقة تقع غربي وادي الفرات عند منعطفه القديم عنه بالس (مسكنة) المعمورة اليوم بمياه سد الفرات (الطَّبْقَـة) وعلى حدود البادية في موقع (زبد) هناك ــ (انظر الخريطة) وعلى وجه حجر كبير الحجم يعلو كنيسة (مارسركيس) فيها وجد النقش العتيق مدوناً محفوراً بثلاث لغات هي اليونانية / والسريانية / والعربية التي كان نصيبها من هذا النقش القليل ــ سطر واحد ــ .

ويبدو أن (زبد) كان موقعها ومعبدها معبراً يؤمن فيه العابرين على قوافهلم وبضائعهم وعلى ذاتهم وأنفسهم فقد أوردتُ في الخريطة أثر روما المطبوعة ــ ما ذكره الأب بواديبار من طرق تمر بها نحو الفرات ــ وإلى حلب ــ وإلى غربي زبد حتى ... كما كانت مقصداً فيما يبدو لأنه على مسافة ليست بعيدة كانت مادة أساسية يقصدها الإنسان على مر العصور ويستهلكها يومياً هي (الملح) الذي توفره السباخ إلى شماليها وغربيها والمعروفة الآن (بالجبول) .

أما القراءات التي اطلعت عليها (لنقش زبد) فهي التالية :

(+ بر الاله شرحوبرا مع منفو وهليا برمر القيس وشرحو برسعدو وسترو وشريحو « سريحو ») .

(باسم الاله شرحو برمع قيمو و .. برمر القيس وشرحو وسعدو وسترو وشريحو) ــ ليدز بارسكي ــ .

ومن قراءة لدوسو :

(بنصر الاله سرجو امت متفو. برمر القيس وسرجو بر سعدو وسترو وسرحو) .

وقراءة يوسف أحمد :

(وظبي) بدلاً من كلمة (وهلبا) .

وفي الحقيقة أن مشكلة قراءة هذا النقش لا تكمن في قراءة تلك الأسماء المتتابعة التي

وردت ضمن النقش إنما تكمن في مستهل النقش كما نرى . حيث أن الإشارة (+) الصليب **هذه في** مستهل النقش هي التي أربكت قراءته .

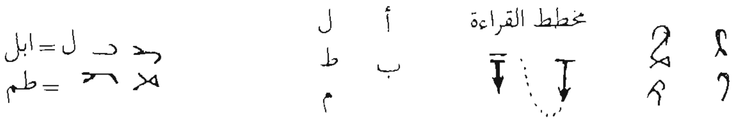
إن هذه الإشارة مازالت تستخدم في المراسلات العامة لدى عامة الناس في بلاد الشام وتناقلتها الأجيال اعتاد كتابها استهلال رسائلهم بما نسميه البسملة (الاستهلال باسم الله) فنجدهم يضعوها في وسط وأعلى رسائلهم على الشكل التالي : ﭑ

لتعني اسم الجلالة (الله) ويقصدون بها بسم الله الرحمن الرحيم . . ـ وكذلك استخدمت في المواثيق والعقود . . وفي النقش بدون ريب قصد الناقش أن يقول على ما اعتاده (باسم المصلوب) وعبر عنه برسم الصليب = + (ثم أتم النص) باسم المصلوب بر = (ابن) الاله ، ولا يفوتنا أن نوضح أن هذه الإشارة (+) تطورت فيما بعد على الشكل الذي نراه يدون اليوم (ﭑ) ليعني ضمناً الرموز الثلاثة المتوارث عنها هذا الرمز ـ الأب والابن المصلوب والروح القدس ـ لذا نجد القارىء لهذا النص قد تخبط في التكهنات لمعرفة القراءة الصحيحة فشرد قسم من دارسي هذا النقش ليقدروا أن كلمة : (بر) = بر = ابن / انما هي مقطع من نهاية كلمة بنصر .

وهكذا فإن الباحثين العرب وهم الأقرب إلى لغتهم نطقاً وكتابة وتماساً يهابون اقتحام الحقيقة بإحجامهم عن مثل هذه المناقشة خاصة وأن إشارة الصليب هذه ثم الصليب الذي تعلوه النقطتين المتراكبتين فوق بعضهما استخدم سابقاً وما زال كلٌ يستخدمها على ما يعني عنده وأن تطوره كرمز ليس إلا أمر عادي مألوف ككل الرموز المتداولة .

كما تجدر الإشارة بأن النص اليوناني يحمل تاريخ (٥١٢) م .

ويجدر بنا أن نذكر بأن النقش هذا في نصه العربي انتهى بحروف سريانية قرئت (بتميمي) على رأي بعضهم بينما اقرؤها :



Ebal = ܐܒܠ = ابَل = ترهب تنسك زهد (ص ٧٥ البراهين الحسية على تقارض العربية والسريانية للبطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث و ص ٣ من الألفاظ السريانية في المعاجم العربية للمطران يوحنا ابراهم

Tam = ܛܡ طم = سد / ردم (إغلاق نهائي) (٨٨ / البراهين الحسية سابقة الذكر) أي بلا رجعة !

وبناء على ما ذكرته سابقاً فإني أقرأ نص نقش زبد كالتالي · باسم المصلوب ابن الاله ، فإن كلاً من التالية أسماؤهم :

ـ شريخ (سراج) بن أمه قيم .

ـ وهلبا (ظبي) بن امرؤ القيس .

ـ وشريخ (سراج) بن سيد .

ـ وسترو .

ـ وسريخو (شريخو) .

جميعهم : بالسريانية (أبل) = ترهبوا (تنسكوا) بشكل نهائي = (طم)

وهكذا يفهم أن هؤلاء المذكورين الخمسة : باسم المصلوب بن الاله قد ترهبوا بشكل نهائي لا رجوع عنه .

أما بالنسبة لقراءة الأسماء الواردة في النقش فنرى أن أكثرها انتهى بالواو (الضمة المشبعة) وهذا شيء مألوف كتابة ومعروف نطقاً (فقد ورد في نص الآية ٢٨ من سورة فاطر في القرآن الكريم :

﴿ ... إنما يخشى اللهَ من عبادِه العلماءُ ﴾ وكتب هكذا ـــ العلمٰـؤا .

كما ورد في الآية ٢٤ من سورة المؤمنون :

﴿ ... فقال الملؤا الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم ... ﴾ فانظر كيف كتبت كلمة الملأ التي تحولت ضمتها إلى الواو .

الظلم في قصر المقايسة على ٤ ــ ٥ لقى

إن ما بين يدينا من النقوش هو ما تم العثور عليه ، وقد يحدث الطوفان في كشف يوفر عدداً كبيراً منها . أما العرب فقد تفاعلوا مع الوقائع والحقائق اللغوية كتابة ونطقاً ، فأثروا فيها وتأثروا بها على الرغم من إبقاء بعضهم على استخدام المسند بفروعه (الثمودي / واللحياني / والصفوي) وهي الفروع التي كانت متمركزة في المنطقة الوسيطة بين الشمال والجنوب (في جنوبي بلاد الشام وشمالي الجزيرة العربية) بينما يفترض أن المناطق الأبعد شمالاً بقي تأثرها بهذا التفاعل أقل لبعدها عن هذه العوامل .

ولا بد أن يأتي اليوم الذي يعثر فيه على لقى أقدم من النقوش العربية الأربع (نقش زبد ــ وأسيس ــ وحران ــ وأم الجمال[٢] ــ ورمّ[٣]) التي حصرتها الدراسات بين بداية القرن السادس وربعه الثالث ، لأن هذه الخطوط لا يمكن أن تخلق من العدم ، وما اكتشافها في العصر الحالي إلا بمثابة الإعلان عن حقيقة قائمة لا عن بدايتها ــ ولقدم الوجود العربي في الشمال فلا بد أن وجود كتاباتهم يوازي قدمهم ، وبعض المصادر تعيد ذكرهم إلى الألف الثالث قبل الميلاد فأين هي كتاباتهم (يذكر السيد عبد الله الشماحي ــ في ص ٣٧ من كتابه **اليمن الحضارة والإنسان** ــ أن (موللر) يورد ذكراً لدول معين الجنوبية في أكاد على نصب سرقـــوم عام ٣٧٥٠ ق . م وحـــيث ورد خبر (نرام ــ سين) الأكادي (٢٢٧٠ ــ ٢٢٢٣) ق . م عن استيلائه على الأرضين المتصل بأرض بابل ، والتي كان سكانها من (ARABO) وبذلك ترقي النصوص هذه بدولـــة معين إلى ما بين الألـــف الرابعة ــ والثالثة ق . م .

وكمثال يوضح (د . جواد علي في **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ٧٧ / ٢) أن منطقة نفوذ معين شملت اليمن ، وكل ما يعرف بالحجاز حتى فلسطين) وهكذا فإنها تتضمن العربية الصحراوية والسعيدة بحسب تصنيف المؤرخين (أراتوشينس) و (غلاسر) بدوره يرى أن الأبجدية التي استعملها المعينيون ترجع إلى الألف الثالثة والثانية ق . م ، برغم معارضة ذوي المصلحة مثل (هاليفي) ليجعلوا العبرانيين (وهم ليسوا إلا فرعاً صغيراً) أقدم المجتمعات . ومن المؤسف أن اللغة وهي إحدى مقومات الأمة وكتاباتها وخطوطها ، وهي أرقى

وسيلة للتعبير عن وجدانها وأفكارها ووقائعها ، لم تأخذ الحيز الذي تستحقه عند الدارسين العرب ، وما أعنيه هو (تاريخ اللغة) فاهتمامات الاستشراق أبلغ اليوم من الاهتمامات الذاتية ، لذلك اعتمدت أكثر الآراء والنظريات على ما قدموه سائغاً ، ولا بد من مراجعة هادئة وعلمية يوم تدعمها كذلك لقى عديدة للكتابات الجاهلية بخاصة وهي موجودة فعلاً !! فهل كتبت المعلقات العشر بلغة فارس أو روما جبارَيْ ذلك العصر أم بالعربية ؟

إن أي متعمق في معنى الكتابات بالمسند من آلاف النصوص يجد فيها إطلالة متميزة للتاريخ العربي ، وإن لم تكتمل جوانب النصوص فلأنها لقى نتيجة جهد أثري ، أو بحث عن العاديات ، ونتيجة جهد مشتت وغير حثيث فيما عدا القليل المستجد منها الذي نأمل جميعاً جدواه .

وبهذا الصدد أورد القرآن الكريم عرضاً وفي سياقه الآيات الكريمة كل ما يثبت أن الكتابة والقراءة والتلاوة والعلم والتعلم إنما هي من الأمور الاعتيادية والمألوفة ، وإلا لما أتى على ذكرها بهذا السيل من التعابير (انظر بهذا الصدد **الفهرس القرآني** / تصنيف ابراهيم الأنباري) :

ــ ففي الصفحات ما بين ٣٧٥ و ٣٧٦ ذكر لفعل (كتب) تكرر في ٨٣ / آية .
ــ وفي الصفحة ٣٥٩ منه ذكر فعل (قرأ) في ١٧ / آية .
ــ وفي الصفحة ٧٤ / ٧٥ منه ذكر فعل (تلى يتلو وتصريفاته ...) في ٦٠ آية .
ــ وفي الصفحات (ما بين ٣١٨ و ٣٢٢) منه ذكر فعل (علم تعلم) في مئات من الآيات القرآنية الكريمة .

إن هذه الحقيقة ليست موضع ظن أو اجتهاد إنها وقائع كانت قائمة في المجتمع ذلك العصر وإضافة إلى ما ذكرته عن المعلقات وغيرها مما ورد في الروايات عن العقود والعهود والأحلاف التي تكاتب عليها أطرافها وما تلك الأمثلة إلا دليلاً وافياً على سعة انتشار المعرفة بالقراءة والكتابة وفيما ذكر عن بيوع وحجج أهل الحيرة التي ورد ذكرها فما هي في الواقع إلا كتابات جاهلية وإن كشف أي منها سوف يجعل من كل هذه التقديرات حجة واقعية إنما في تواني البحث عنها واكتشافها ما لا يتناسب مع أهميتها التي يجب أن تكون حافزاً لاستقصاء ما أمكن عنها ومصيرها ــ وهذه ليست مأساة خط الجزم وحده وإنما تمس خط المسند أيضاً رغم آلاف اللقى منه لأنها أولاً ليست جميعها بأيدينا ولا نطالها في مكانها بل

تعيش الاغتراب بكل مداه وأذاه في غالبيتها وحتى المدونتين التي ذكرتهما لهذه النقوش (المدونة اللاتينية / والفرنسية) يصعب الوصول إليهما والاطلاع عليهما عدا أنهما بلغتين لا ذكر للعربية فيهما.

وما أود ذكره أنه لا يعقل لأمة تكون قد كتبت عن جنوبها وأغفلت شماليها ـــ على أنا نأمل أن يكون للمسح الأثري في السعودية وللتنقيب في درب الحاج العراقي وفي الربذة خاصة لقى تعني بهذه الغاية ـــ كذلك لا بد من لقى للخطوط العربية في الشمال أكثر مما بين يدينا والتي هي رغم قلتها في غربة عن وطنها الأم وكمثال فإن (نقش زبد) إنما هو في بروكسل ببلجيكا إضافة إلى أن آلاف النصوص في غربتها المزمنة كذلك.

النقوش كمصدر لبدايات خط الجزم

وعلى ضوء ما سلف أستطيع القول بأن تلك النقوش الخمسة إن كشفت عن وجود خط الجزم وأعلنت عن التعامل به في مكان وزمان كان فيهما خط المسند وفروعه السابقة الذكر موضع تعامل كذلك فإن هذا لا يعني بأي حال بداية نشوء خط الجزم وإن كان دليلاً على مجرد الإعلان عن وجوده، لأن الإعن عن وجود الشيء لا يعني بأي حال إعلاناً عن بداية نشوئه.

لدا ومع التحفظ لهذا الشأن أتناول كل من النقوش الخمسة بحذر لا يجوز معه القول أنها النقوش الأولى بخط الجزم وإن كنا لا نملك غيرها فما ذلك إلا لأن أحداً لم يعثر على نقوش أخرى بخط الجزم سبقت الإسلام.

على أنه من الجدير بالذكر أن أوضح للأخ القارىء أن أربعة نقوش من أصل الخمسة المذكورة قد وجدت في سورية ـــ بين منطقة حلب والذيول الجنوبية لجبل العرب ـــ أما النقش الخامس (نقش رمّ الثاني) فقد وجد أيضاً في بلاد الشام ليس بعيداً عن البتراء عند جبل رمّ في شرقي الأردن.

تأريخ اللقى ـــ بين مد وجزر

وكما سلف فإنه لا يركن للتقديرات التي تجري حول النقوش من حيث تاريخها الحقيقي .

لقد أرخ اليمنيون على اختلافهم بعض نقوشهم ـــ والمفروض لأي باحث متأمل أن يدرك أنهم إنما يؤرخون بما أرخ به ذويهم وأسلافهم لا بتواريخ الآخرين من الشعوب الأخرى ـــ ولذا يعتبر اعتماد التاريخ السبيء فيما يعثر عليه من لقى تمت لتلك الأقوام سواء المقيم منها أو الذين غادروا ديارهم إلى الشمال كالثموديين واللحيانيين والصفويين إنما هو أمر عادي وأقرب للحقيقة .

أما فيما يتعلق بما نهج عليه بعض المستشرقين من اعتماد حساب الجمل والحروف ، فإنه غير وارد لأنه لم يكن وارداً ولا متداولاً !

وأضع أمام القارىء المقارنات التالية :

ـــ إن ٣٣ ق . م = ٢٨٠ سلوقي (**تاريخ العرب في سورية قبل الإسلام** لدوسو) أي أن ام = ٣١٣ سلوقي .

ـــ إن ٦٤٠ حميري = ٥٢٥ م (عن ٨٢ **الحوليات السورية** ج ١ / مجلد ١) أي أن ام = ١١٥ حميري .

ـــ إن ٦١٤ سبئي = ٤٩٩ ق . م (١٨١ **من الساميين للعرب** ـــ للشيخ وهيبة الخازن) أي أن ١ .م = ١١١٣ سبئي .

لذا فبرأينا أن النقوش بشكل عام ، وبخاصة ما كتب منها بخط المسند وفروعه ، ثم بخط الجزم فإنها أقدم مما قدر لها من العمر ، لذا لا بد من حسم هذا الموضوع بشكل ما في اللقى مع الدراسات المقارنة وهي الوسيلة للخروج بنتائج أكثر دقة ، والحسم فيها يعود للإشعاع الكربوني الذي مكن من تحديد دقيق لمثل هذه اللقى تاريخياً وبفروق بسيطة .

ولمناسبة التأريخ فقد استخدم العرب للترقيم رموزاً تنطلق من مفهومهم للأعداد وفيما يلي أورد بعض الأمثلة :

ويلاحظ أن استخدامهم للحرف في الترقيم اقتصر على أخذ الحرف الأول من اسم العدد (ع = عشرة /  = خمسة /  = مائة / ونصف الميم أي  = خمسين /  = ١٠٠٠) وعبروا به عن العدد نفسه .

كما يلاحظ أن حرف الثاء يقارب هذا الاستخدام من الناحية العددية :

8 الثاء الكاملة تعني عددياً كما هو معروف في الأرقام العربية المتداولة غربياً للدلالة على العدد ثمانية

3 الثاء المنصّفة عمودياً = ثلاثة

6 الثاء المنصّفة أفقياً = ستة

الأعـداد والتعـداد عـنـد العـرب

لقد تداول العرب العدد بصيغ وأشكال متقاربة أوردها فيما يلي :

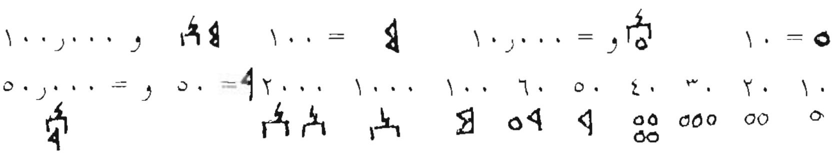
(فقد ورد من ٢٤٢ / ٨ المفصل)

الأعداد : ١ ٢ ٣ ٤ ٥ التي عبروا عنها كما يلي :

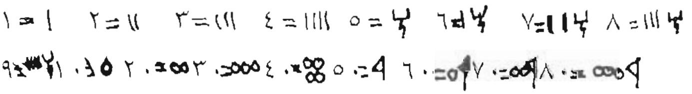
عند الصفويين : | || ||| |||| |||||

عند الجنوبيين : | || ||| |||| ||||| خ = ٢ = خمسة

(٥)/ع = ٥ = عشرة (10)



كما ورد في ص ٢٨ ـــ كتاب : نظم العد في الحضارات القديمة والحسابات الالكترونية ـــ محمود ابراهيم الصغيري .



وفي ص ٣٣ / اللوحة ٢٨ ـــ :

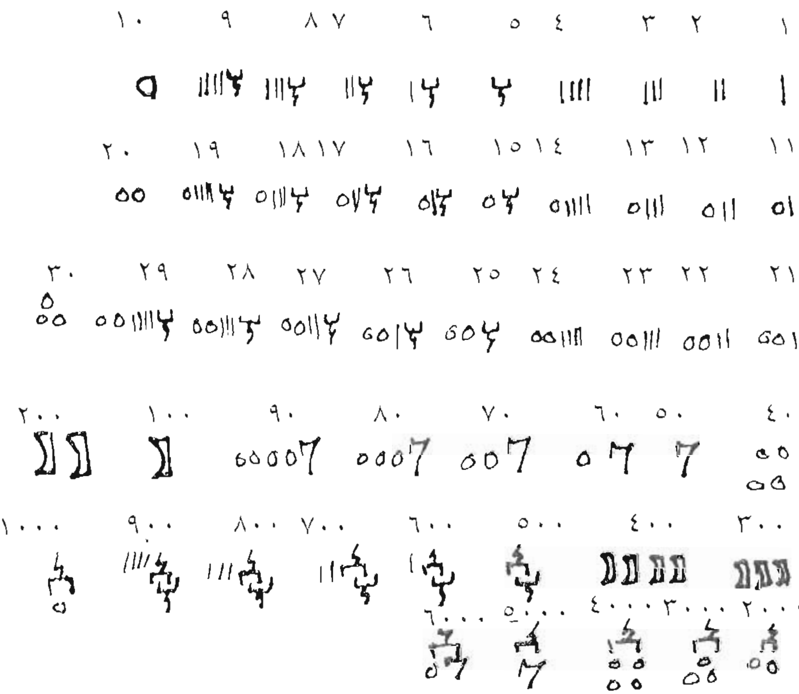


أحد	١
خمست	٥
عشرت	١٠
مئت	١٠٠
ألف	١٠٠٠

الأمر الذي يؤكد أنهم لم يستخدموا في تأريخ وقائعهم حساب الجمل !

كما وردت (الأعداد الحميرية) بعد ص ١٢٥ من كتاب المعالم الأثرية في اليمن للسباغي

الأعداد الحميرية



الشكل رقم (٣٢)

الاستنتاجات

إن تلك النقوش كغيرها من النقوش العربية القديمة بحاجة ماسة لـ :

١ ـــ جهة علمية ترعاها بحيث تتحمل مسؤولية دراستها وحفظها ومتابعتها وحمايتها حيثما كانت .

٢ ـــ لا بد من إصدارها ضمن المدونة العربية الموحدة مع أمثالها من النقوش العتيقة فتكون مصدراً علمياً وعالمياً ومهلاً يمثل مرجعاً للباحثين عن الجذور .

٣ ـــ إعداد كوادر عربية ومتخصصة وقادرة على تفكيك النقوش وقراءتها والتوغل خلالها إلى الحقيقة .

٤ ـــ مختبرات مجهزة بأحدث وسائل النسخ والتصوير ووسائل حفظ أمينة بما فيها الاستفادة من إدخالها الأدمغة الالكترونية ولتخزين المعلومات المتجمعة عنها لاسترجاعها عند اللزوم .

٥ ـــ جهاز علمي يكون قمة هذه التدابير قادر على إقامة الصلات الفورية مع مختلف المصادر العالمية للنقوش حيث اغترب منها الكثير لاسترجاعها أو صور عنها ريثما تسترجع الأصول .

٦ ـــ إلزام الجهات العلمية والحكومية منها خاصة لإعادة الموضوع المتعلق بالدراسات هذه جزءاً من اهتماماتها ، كالمجامع العلمية والرسائل الخاصة بالمتخرجين في الصفوف النهائية في الجامعات وكليات الآثار والتاريخ وآداب اللغة واللسانيات .

وحتى تاريخه لا نعلم غير هذه النقوش الخمسة (حاوية بواكير) خط الجزم فليس لدينا أية نقوش أخرى بخط الجزم تعود لما قبل الإسلام سواها !

وإلى أن تكتشف خلال الحفريات النقوش أو اللقى الأخرى ستبقى المرجع الوحيد واليتيم في هذا المجال . وكما يبدو فإن ذلك يعود إلى قلة المسعى في هذا المجال ! وإلا فأين المعلقات العشر وبأي الأبجديات دونت فمما قالوه عنها إنها عاقت على أستار الكعبة بعد أن نسخت على الحرير . ولعل الفهم غير الصحيح لدى بعضهم لروح وسماحة الإسلام جعلها وغيرها من المستنكرات التي شملت بمقوله : (الإسلام يَجُبُّ ما قبله) ، وحيث فهمت خطأ على أنه يمحق ...

ولا بد من التنقيب والبحث فهما الوسيلة الناجعة لفك معسرات هذا الأمر .

تحليل مقارن للنصوص النقوش الخمسة وتكرارية الحروف الأبجدية مفككة فيها

الحرف	اسم ورقم النقش	تكرار الحرف	الكلمات التي ورد فيها الحرف في كل نقش
الألف	١ ــ نقش أسيس	٨	ابراهيم / الاوسي / أرسلني / الحارث / السملك / لملك / على / + وطس
ا	٢ ــ نقش حران	٤	انا / ذا / المرطول
	٣ ــ نقش أم الجمال الثاني	٧	لله / غفر / الاليه / كابب / القليد / أعلى
	٤ ــ نقش زبد	٣	الاله / القيس
	٥ ــ نقش جبل رمّ الثاني	٦	[illegible]
الباء	١ ــ نقش أسيس	٢	ابراهيم / بن
ب	٢ ــ نقش حران	٤	بن / السنيت / اسعد / سمام
	٣ ــ نقش أم الجمال الثاني	٥	بن / عبيدة / كاتب / بني / كتبة
	٤ ــ نقش زبد	٣	بن / بن / بن
	٥ ــ نقش جبل رمّ الثاني	٤	[illegible]
الجيم	١ ــ نقش أسيس		—
ج	٢ ــ نقش حران		—
	٣ ــ نقش أم الجمال الثاني		—
	٤ نقش زبد		—
	٥ ــ نقش جبل رمّ الثاني	١	[illegible]
الدال	١ ــ نقش أسيس		
د	٢ ــ نقش حران	٢	بعد / مفسد
	٣ ــ نقش أم الجمال الثاني	٢	عبيدة / المنية (القليد)
	٤ ــ نقش زبد	١	سعد و
	٥ ــ نقش جبل رمّ الثاني	٢	[illegible]
الذال	١ ــ نقش أسيس	—	—
ذ	٢ ــ نقش حران	١	ذا
	٣ ــ نقش أم الجمال الثاني	—	—
	٤ ــ نقش زبد	—	—
	٥ ــ نقش جبل رمّ الثاني	—	—

الحرف	اسم ورقم النقش	تكرار الحرف	الكلمات التي ورد فيها الحرف في كل نقش
الهاء هـ ـه	١ ــ نقش أسيس ٢ ــ نقش حران ٣ ــ نقش أم الجمال الثاني ٤ ــ نقش زبد ٥ ــ نقش جبل رمّ الثاني	٤ ١ ٣ ٢ ٢	ابراهيم / مغيره / مسلحه / سنه سنه الله / الأليه / عبيده / الاله / وهلبا / هـ د / الكهله /
الواو و	١ ــ نقش أسيس ٢ ــ نقش حران ٣ ــ نقش أم الجمال الثاني ٤ ــ نقش زبد ٥ ــ نقش جبل رمّ الثاني	٢ ٣ ــ ٩ ٥	الأوسي / الوطس ظلمو / المرطول (ر) / نحو ــ شرحو / قيمو / وشرحو / سعدو / سترو / شريحو / منفو / وهلبا علمو / هـ هـ د / حسو / و ...
الزاي ز	١ ــ نقش أسيس ٢ ــ نقش حران ٣ ــ نقش أم الجمال الثاني ٤ ــ نقش زبد ٥ ــ نقش جبل رمّ الثاني	ــ ــ ــ ــ ــ	ــ ــ ــ ــ ــ
الحاء ح	١ ــ نقش أسيس ٢ ــ نقش حران ٣ ــ نقش أم الجمال الثاني ٤ ــ نقش زبد ٥ ــ نقش جبل رمّ الثاني	٢ ٢ ــ ٣ ١	الحرث / مسلحه / شرحيل / نحو / ــ شرحو / سرحو / شريحو / حسو /
الخاء خ	١ ــ نقش أسيس ٢ ــ نقش حران ٣ ــ نقش أم الجمال الثاني ٤ ــ نقش زبد ٥ ــ نقش جبل رمّ الثاني	ــ ١ ١ ــ ــ	ــ خيبر الخليدا ؟ ــ ــ
الطاء ط	١ ــ نقش أسيس ٢ ــ نقش حران ٣ ــ نقش أم الجمال الثاني	١ ١ ــ	الوطس المرطول (ر) ــ

الحرف	اسم ورقم النقش	تكرار الحرف	الكلمات التي ورد فيها الحرف في كل نقش
	٤ ـ نقش زبد	ــ	ــ
	٥ ـ نقش جبل رمّ الثاني	١	سطع
الظاء ظ	١ ـ نقش أسيس	ــ	ــ
	٢ ـ نقش حران	١	ظلمو
	٣ ـ نقش أم الجمال الثاني	ــ	ــ
	٤ ـ نقش زبد	ــ	ــ
	٥ ـ نقش جبل رمّ الثاني	ــ	ــ
الياء ي	١ ـ نقش أسيس	٤	ابراهيم / مغيرة / أرسلي / سليمن
	٢ ـ نقش حران	٣	شرحيل / بنيت / خيبر /
	٣ ـ نقش أم الجمال لتاني	٥	الألية / عبيدة / الخليدا / اعلي / بني
	٤ ـ نقش زبد	٤	قيمو / هليا / القيس / وشرحيو /
	٥ ـ نقش جبل رمّ الثاني	٣	عليو / حبيبو / الى /
الكاف ك	١ ـ نقش أسيس	١	الملك /
	٢ ـ نقش حران	ــ	
	٣ ـ نقش أم الجمال الثاني	٢	كاتب / كتبة /
	٤ ـ نقش زبد	ــ	ــ
	٥ ـ نقش جبل رمّ الثاني	٣	[illegible] (لكاتب) / الكمه / [illegible] ومض
اللام ل	١ ـ نقش أسيس	٥	الاوسي / أرسلني / علي / سليمن / مسلمحة
	٢ ـ نقش حران	٤	شرحيل / ظلمو / المرطو (ر) / وطس
	٣ ـ نقش أم الجمال الثاني	٢	الله
	٤ ـ نقش زبد	٤	الاله / وهليا / القيس
	٥ ـ نقش جبل رمّ الثاني	٥	عليو / [illegible] لكاتب / الى / الكمه
الميم م	١ ـ نقش أسيس	٤	ابراهيم / مغيره / الملك / مسلحة
	٢ ـ نقش حران	٤	ظلمو / المرطول / مفسد / بعم
	٣ ـ نقش أم الجمال الثاني	٢	عمري / من
	٤ ـ نقش زبد	٣	مع / منفو / مر

الحرف	اسم ورقم النقش	تكرار الحرف	الكلمات التي ورد فيها الحرف في كل نقش
	٥ ــ نقش جبل رمّ الثاني	٢	الملطه / وكوتض /
النون	١ ــ نقش أسيس	٣	أرسلمي / سليمر / سلمت /
	٢ ــ نقش حـران	٣	اسا / سست / سحو /
ن	٣ ــ نقش أم الجمال الثاني	١	بعى / مر
	٤ ــ نقـش زبـد	١	محـفـو
	٥ ــ نقش جبل رمّ الثاني	١	خ اتهه (وانتهى)
السين	١ ــ نقش أسيس	٥	الأوسي / أرسلـــي / سايمــــان / مسلحة / سمنت
س	٢ ــ نقش حـران	١	الوطسو
	٣ ــ نقش أم الجمال الثاني	٢	سنـت / مفسد
	٤ ــ نقـش زبـد	—	—
	٥ ــ نقش جبل رمّ الثاني	١	سطر /
العين	١ ــ نقش أسيس	١	علـى
	٢ ــ نقش حـران	—	—
ع	٣ ــ نقش أم الجمال الثاني	٤	عبيده / اعلى / عمري / عله /
	٤ ــ نقـش زبـد	٢	مك (مع) / سلادو
	٥ ــ نقش جبل رم الثاني	٢	عليو / عدا /
الغين	١ ــ نقش أسيس	١	ملسيرة /
	٢ ــ نقش حـران	—	—
غ	٣ ــ نقش أم الجمال الثاني	١	عفر /
	٤ ــ نقـش زبـد	—	—
	٥ ــ نقش جبل رمّ الثاني	—	—
الفاء	١ ــ نقش أسيس	+	----
	٢ ــ نقش حـران	١	مفسد
ف	٣ ــ نقش أم الجمال الثاني	١	علفو
	٤ ــ نقـش زبـد	١	منفو
	٥ ــ نقش جبل رمّ الثاني	—	—

القاف	١ ــ نقش أسيس	ــ	ــ
	٢ ــ نقش حران	ــ	ــ
ق	٣ ــ نقش أم الجمال الثاني	١	الـ[illegible]ـليدا ؟ (القليد = المعلقة)
	٤ ــ نقش زبد	١	الـ[illegible]ـس
	٥ ــ نقش جبل رمّ الثاني	١	[illegible] (قاد) /
الصاد	١ ــ نقش أسيس	ــ	ــ
	٢ ــ نقش حران	ــ	ــ
ص	٣ ــ نقش أم الجمال الثاني	ــ	ــ
	٤ ــ نقش زبد	ــ	ــ
	٥ ــ نقش جبل رمّ الثاني	١	[illegible] (بأرص)
الضاد	١ ــ نقش أسيس	ــ	ــ
	٢ ــ نقش حران	ــ	ــ
ض	٣ ــ نقش أم الجمال الثاني	ــ	ــ
	٤ ــ نقش زبد	ــ	ــ
	٥ ــ نقش جبل رمّ الثاني	٢	[illegible] (تراض) / وكوم [illegible] /
الراء	١ ــ نقش أسيس	٤	ابرهيم / سعيده / ارسلني / الحرث
	٢ ــ نقش حران	٣	سرحيل / المرطول / خيبر /
ر	٣ ــ نقش أم الجمال الثاني	٢	عفر / عمري /
	٤ ــ نقش زبد	٥	سرحو / مر (امرء) / سرحو / ستر و / وسريحو
	٥ ــ نقش جبل رمّ الثاني	٤	[illegible] (بأرص) / [illegible] (تراض) / عرا / سطع [illegible] /
الشين	١ ــ نقش أسيس	ــ	ــ
	٢ ــ نقش حران	١	شرحيل
ش	٣ ــ نقش أم الجمال الثاني	ــ	ــ
	٤ ــ نقش زبد	١	سرحو / سريحو /
	٥ ــ نقش جبل رمّ الثاني	١	[illegible] /
التاء	١ ــ نقش أسيس	١	سنت
	٢ ــ نقش حران	٢	بيت / سنت

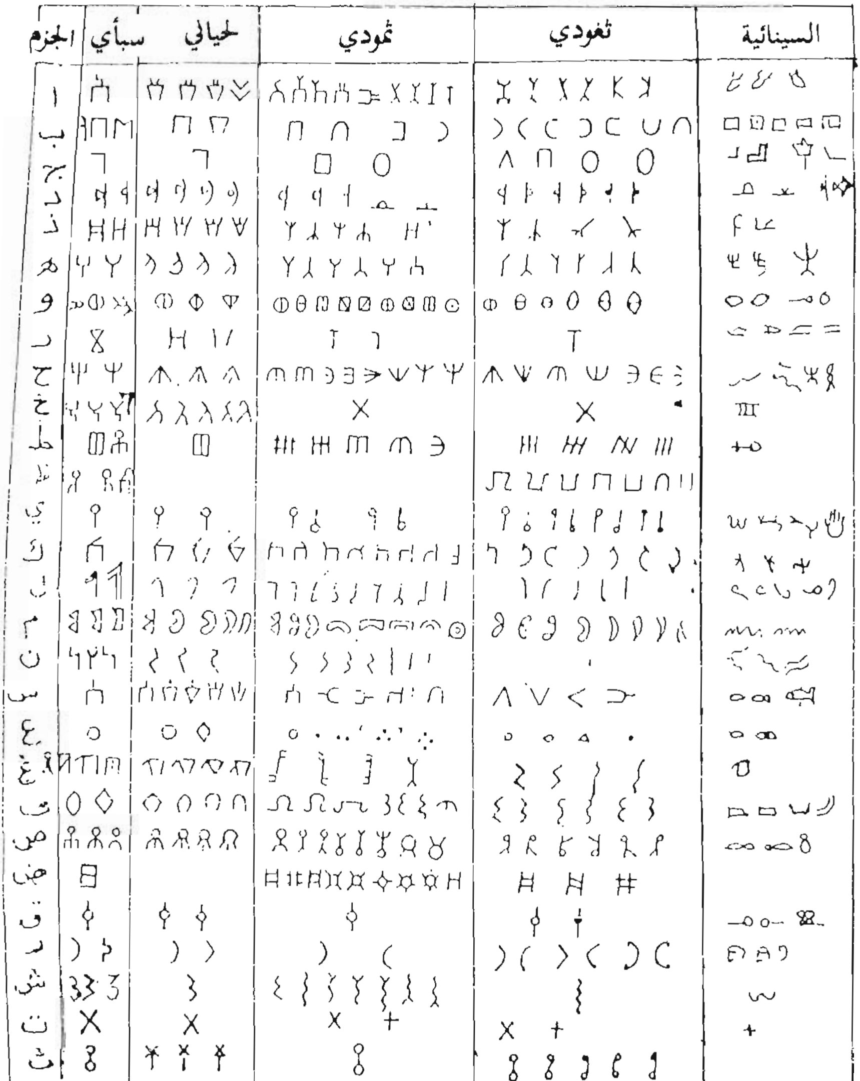
ت	٣ ـ نقش أم الجمال الثاني	ـ	ـ
	٤ ـ نقش زبـد	١	وسـرو
	٥ ـ نقش جبل رمّ الثاني	٢	واذ + ط(وانتهى)/ +١θ(تراض)
الثـاء	١ ـ نقش أسيس	١	الحـر ـ
	٢ ـ نقش حـران	ـ	ـ
ث	٣ ـ نقش أم الجمال الثاني	ـ	ـ
	٤ ـ نقـش زبـد	ـ	ـ
	٥ ـ نقش جبل رمّ الثاني	ـ	ـ

الشكل رقم (٣٢)

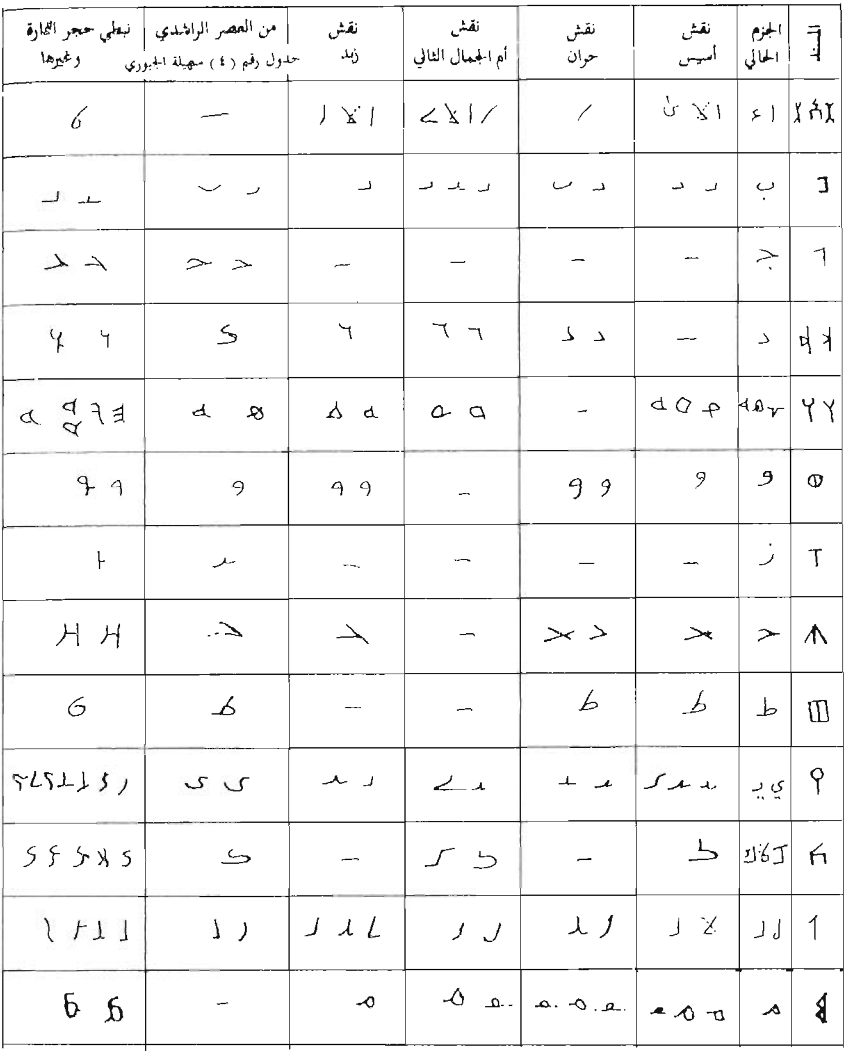
جدول مقارن لحروف النقوش الخمسة المفككة

وأرى أنه من المفيد إدراج تلك الأبجديات التي نتحدث عنها ، لتكون تحت اليد خلال هذه الدراسة ، وتحت يد القارىء ليقارن هذه المقولة بالواقع وفيما يلي جدول بها .

جدول : الأبجديات العربية



الشكل رقم (٣٤)



جـدول مقارن بحروف الأبـجدية

الشكل رقم (٣٥)

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	—	[illegible]	[illegible]	س س	[illegible]
[illegible]	—	[illegible]	—	[illegible]	[illegible]	[illegible]	o
و	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	—	ف	◇
[illegible]	—	—	—	—	—	ص	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	—	—	ق	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ر	)
[illegible]	[illegible]	[illegible]	—	[illegible]	—	ش	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ت	+X
		—	—	—	[illegible]	ث	[illegible]
		—	—	[illegible]	—	ذ	[illegible]
		—	[illegible]	[illegible]	—	خ	[illegible]
		—	—	[illegible]	—	ظ	[illegible]
		—	[illegible]	—	[illegible]	غ	[illegible]
		—	—	—	—	ض	⊟

مقولات متعددة ـــ ودراسة مقارنة

وبصدد تقصي أصل الخط العربي الحالي (خط الجزم) وتطوره أوضح ما يلي :

تقول السيدة سهيلة الجبوري في كتابها **أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي** صفحة ٢٨ : [... ومن هؤلاء من ادعى أنه ـــ أي القلم العربي الحالي ـــ مشتق من قلم المسند الحميري) وأنه عندما سئل أهل الحيرة من أين تعلموا الخط ، قالوا : من أهل الأنبار ، وعندما سئلوا (أي أهل الأنبار) قالوا : من أهل اليمن ـــ انظر **صبح الأعشى** للقلقشندي ص ١٤ / ٣ ـــ ويذكر ابن خلدون أن الخط العربي الجنوبي كان بالغاً مبلغه من الإحكام والدقة في دولة التبابعة .. وهو المسمى الخط الحميري وانتقل منها إلى الحيرة ، ولقنه أهل الحيرة للطائف وقريش ـــ انظر **مقدمة ابن خلدون** م ١ ص ٧٥٥ و ٧٥٦ .

ثم تضيف السيدة جبوري : ليس بين الاختصاصيين المحدثين من يرى أن القلم العربي قد اعتمد في أسسه على القلم الحميري ، وبرهانهم على ذلك أن حروف الحميري تكتب منفصلة غير متصلة وهي تختلف في أشكالها اختلافاً بيناً عن أشكال الحروف العربية ـــ (انظر غويدي ـــ اغناطيوس / **المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة** ص ٣) فليس بينها تشابه إلا حرف واحد هو الراء ـــ هذا بالإضافة إلى اتجاه الكتابة في المسند ، فلم يكن ينحصر كالعربية الشمالية من اليمين إلى اليسار ..] .

كما يتابع العديد من الباحثين هذه السيرة تكريساً لتباعد الخطين (الجزم) و (المسند) وهما الخطان العربيان الشمالي والجنوبي ـــ عن بعضهما البعض بحيث راح مقلدوهم من يستلهم أفكاره ومنطقه منهم ، ومن استظهر العلم حصراً عنهم فراحوا يستبعدون أي تقارب أو نسب أو أصولي أو سلفية بينهما !! وفي الوقت نفسه جهد الكثيرون لانتماء الخط العربي (الجزم) إلى السريانية أو النبطية ... مثل كوب KOPP ـــ وجننس Gesnenins ـــ وكوزان دي بيسيفال ـــ ورينان Renan ـــ وستاركي Starky ـــ وكلير الذي أدرك بدوره (على زعمه) أنه ذو علاقة بالخط النبطي والسرياني ومثله تيودور نولدكه .

إن تشجيعات عديدة ومحرضات وقفت خلف هذه الآراء التي لا تمتُّ للواقع، برغم أنه لا مانع من تأثير جميع الخطوط بمعاصراتها التي لها احتكاك مباشر بها، مما يؤدي تفارضها أحياناً لبعض السمات.

على أن الحقيقة لا تتضح إلا بالدراسة المقارنة، وهو ما نهجنا إليه وفق الأسلوب الأبسط الذي لا يتطلب رجماً بالغيب ولا تكهناً، إنما يتطلب فهم مسيرة الخط المسند الجنوبي وفروعه وفق متطلبات ذلك الزمن، حيث تشاهد هذا الخط قليل القيود كثير الأوضاع ومتعددَ الأشكال، فهو ينساب من عفوية إلى تشذيب فلا قسرية يعاني منها ـــ فينساب من العمودي والمائل والأفقي والحلزوني والمختلط منها جميعاً أو من بعضها ـــ فمن الأعلى قد ينساب إلى الأسفل ومن اليسار إلى اليمين أو من اليمين إلى اليسار دون قيد يراعيه الناقش الكاتب (بالنسبة لشكل السطر).

وما أود إيضاحه بهذا الصدد أن الخط واللغة والحرف ـــ بالنسبة لعصر تفاعل الخطوط والأبجديات الأولى ـــ لم تكن سلعة مدونة على أشرطة صوتية لتنقل من مجتمع لآخر ولتصدر مجردة عن البشر، فالإنسان حاملها، وهو ناقلها، ومنه تبث العدوى بها ـــ إن صح التعبير ـــ وإليه تنتقل عدوى المجتمع الآخر. إذ لا يتصور انتقال الكتابة واللغة والنقوش دون تنقل أهلها ـــ كما لا يتصور الانتقال البشري لجيل ما أو لموجة بشرية، وفي عدة أجيال دون انتقال لغتهم أبجديتها وخطوطها معهم، إذ لا يتصور تخليهم النهائي عنها حتى لو رغبوا فعلاً ـــ وهذا وارد ـــ فهي تجري في دمهم وعروقهم وهذا لا يتعارض مع التأثر والتأثير المتبادلين في تقارض أية لغتين أو أبجديتين....

وفي الغالب كما أثبتت الاستقصاءات: إن هذه العوامل التي هي التأثيرات المتبادلة ومهما طفق إحداهما على الأخرى، تبقى ولأمد طويل تأثيرات غير جذرية بل (تعديلية إلى حد ما) ـــ إن صح التعبير ـــ والاثباتات في هذا المجال عديدة فأية كلمة جرى استعارتها من لغة أخرى يبقى لها هيكلها ولو صرفت كثيراً أو قليلاً، وكمثال في كتاب **البراهين الحسية على تقارض العربية والسريانية** فإن الكلمات التالية اعتبرها البعض (كالبطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث) مما تقارضته اللغتان العربية والسريانية من بعضهما البعض فلاحظ معي قلة التحوير في اللغتين السابقتين.

العـربيــة	السريانية (اللفظ باللاتيني)	
إنســان	Nacha	ص ٣٨ من البراهين الحسيــــة للبطريرك أغناطيوس
آسي «داوا»	Acha	ص ٤٥ من البراهين الحسيـــة للبطريرك أغناطيوس
شـرّح (مزق)	Asrah	
الشانىء (العدو المبغض)	Sanaa	
متـى	Emat	٦٥
جزم (قطع)	Gzam	٨٠
عبــاءة	E'nayta	١٠١
عنّف (وبّخ)	E'naf	١٠٣
رمــح	Roumha	١١٧
الرصافة (الرصاب) قرب الـرقـة	Rousaba	انظر كتابي (الدرب المفقود ــ مسيرة خالد محمد علي مادون)
ذرف	Razaf	٣٣

هذا على صعيد النطق واللفظ واللهجة.

أما على صعيد تصوير هيئة حرف الأبجدية ــ فلا نتصور بسهولة انسلاخ السمات الأساسية لدى أي طرفين مهما كانا مؤثرين أو متأثرين ببعضهما، اللهم إلا من حيث التنافس إلى الأفضل، إذ لا يعقل أن يتنازع الطرفان مهما انحدرا على الانحدار بل يتباريان على الصعود والاقتراب من الكمال ما أمكن، وبخاصة في مجال الفكر والثقافة والمعرفة.

فانتظام الكتابة لا يعدله تشوهها ولا تشويهها.

واعتدال انتظام شكل الحرف لا يوازيه ميله للطمس وغياب معالمه.

واستقامة السطر لا يجاريه انحرافه أو الفوضوية في شكله.

أما وصل الحروف ضمن الكلمة الواحدة فإنه يحقق انسياباً للقلم ما توفر للقلم الانسياب، وما حققت صفحة الكتابة يسره، إذ بالوصل تحققت سرعة أعلى في الكتابة، ويمكن أن نتصور كيف يمكن تحقيق كتابة موصولة على سطح أملس نجري عليه قلماً محبراً، وكم هي الصعوبة في وصل الحروف عند حفرها على الحجر ...

لقد ذهب ابن خلدون في الصفحة ٤٦٨ من مقدمته نحو انتماء الخط العربي (خط الجزم) إلى الخط العربي القديم (المسند) بينما نفى آخرون هذه المقولة، فبينما عمد القدماء إلى تبرير آرائهم ووضع الدليل حيال كل ادعاء، عمد المتأخرون إلى مجرد نقل الآراء لدى الطرفين، وأعطوا لنفسهم مهمة الترجيح وكأنهم محكّمون في القول والفصل، بينما أرى أن المهمة الأساسية لنا جميعاً هي البحث بالوسائل العلمية والأساليب الدقيقة للبحث العلمي عن منفذ صحيح بالحجة وبالمقارنة، وبتصور علمي مجرد من الاستهواء، لذا فإني هنا ألجأ كما أسلفت إلى دراسة مقارنة ومبسطة لأؤكد بالتالي انتماء (خط الجزم) إلى الخط المسند مروراً بحلقة موجودة غير مفقودة هي فروع المسند (الثمودية / اللحيانية / الصفوية) وهذه مسندة أي عمودية واقفة الحرف على ساقه أمام عين القارىء ــ بينما حرف الجزم حرف أفقي أما دليلي هذا فهو:

أن حرف الصاد في المسند وفروعه (مثلاً) هو عمودي 𐩮 بينما حرف الصاد في أبجدية خط الجزم هو أفقي صد .

وهذا الحرف نفسه كما نراه هو مسند أو مسنود على قائمته في (المسند) بينما هو أفقي في (الجزم) ــ وإذا أدركنا معاً ما أسلفت عرفنا جيداً كما سنرى أنا نقرأ الحروف العربية الحالية (بخط الجزم) علماً أنها حروف جنوبية دون أن نعني ذلك لأنها أفقية أمام عين القارىء! وقد اتخذ حرف الصاد هنا كمثال لا غير، فإذا أدركنا التحول من العمودية إلى الأفقية لأدركنا أن الحرف المسند هو حرف الجزم، وأن المسند هو الأصل، والجزم هو الفرع الأخير، أو الحالة الثانية للحرف المسند وفروعه الأساسية المذكورة سابقاً متحولاً عن المسند إلى شكله الحالي (الجزم).

لقد انقضت قرون طويلة على ذلك التعديل الشكلي لوضع الحرف الذي طرأ على (المسند من العمودية إلى الأفقية) دون أن يدركه أحد من قبل ــ وضاعت مع هذا التبديل تلك العلاقة الصحيحة بين الحرفين لدرجة أن الباحثين عبر الزمن، وحتى الباحثين الحاليين من مستشرقين وعرب سبق أن غابوا، أو معاصرين فجميعهم تقريباً كرسوا مفهوم القطيعة بين الحرفين (المسند والجزم) فادعوا أن لكل منهما نشأة مختلفة ومستقلة لا تدع مجالاً لتقاربهما سوى ما ذكره بعضهم من شبه واحد بين حرف الراء في كل منهما [(ر] لا غير، فراحَ غالبيتهم يبحث عن علاقة ما لخط الجزم بالكتابة السريانية أو بالكتابة النبطية... دون أن يعوا السلفية بالنسبة لخط الجزم إنما هي حصراً بخط المسند.

الطواريء على خط المسند

لذا واستناداً لما سلف أوضح أن الطواريء التالية التي تعرض لها المسند في ظروف ومناسبات كانت رهن ضرورات استجدت عليه ، فاستجاب حرف المسند لتلك الضرورات لمقتضيات ذات شأن ولا شك ــ وتلك ظاهرة صحيحة مبدئياً ترقى بهذا الحرف إلى أقصى درجات المرونة والقدرة على التلاؤم ، فتحولت حروف المسند إلى خط الجزم . أما تلك الطواريء أو الضواغط فتتمثل في التالي :

١ ــ لقد تراصفت حروف المسند إلى جانب بعضها دوماً مسندة عمودية على خط النظر أمام عين القاريء ، فأعلى الحرف منتصب قبالة الجفن الأعلى لعين الناظر إليه ، وأسفل الحرف يقابل الجفن الأسفل لعين الناظر إليه .

بينما كان يمكن للسطر والجمل والكلمات أن تأخذ شكلاً عمودياً أو أفقياً أو مائلاً ، وحتى إن بعضها مما وصلنا من لقى جاء بشكل حلزوني ــ انظر النصوص (المرفقة) كمثال ذوات الأرقام (٢٨١ / ٢٨٢ / ٢٨٣ / ٢٨٤ / ٣٢٤ / ٣٢٥ / ١١٩٨ / ١٦٢ من كتابي **المدونة العربية الموحدة للنقوش القديمة**) الجلد الأول (**الكتابات الصفوية عند أنو ليتمان**) . وانظر الأسطر في (نص عقر الناقة المرفق والملتقط من قبل أنو ليتمان ، والذي أعدت نشره كما أسلفت / ثم نص نقش بيت ضبعان المرفق) .

٢ ــ إن حروف الكلمة الواحدة في المسند وفروعه كانت منفصلة ثم فرق بين كل كلمتين بخط مستقيم عمودي أيضاً .

وانسجاماً مع نطق الكلمة مسكوبة في لفظ واحد فلا مانع من كتابتها موصولة في انسياب واحد وبخاصة أن وسائل الكتابة كانت في تطور مستمر ، وحيث بدأت نقشاً على الحجر بدأت الحروف في الكلمة الواحدة منفصلة ــ بينما فرقت الكلمات عن بعضها البعض بخط مستقيم عمودي مقامة الحرفين المجاورين ! .

وفيما يلي أورد مجموعة من النصوص توضح ما كان عليه السطر ، وكيف تطور ليأخذ شكلاً أفقياً منتظماً بدلاً من الفوضوي الذي لا يتقيد بقاعدة ولا يتأثر بشيء .

ونلاحظ في النقوش رقم ٢٨١ / ٢٨٢ / ٢٨٣ / ٢٨٤ / أن السطر فيها كيفي لا يقيده شكل معين ، وقد جاء في كل منها مختلفاً عن الآخر .

٣ ـــ بالنسبة لبدء السطر (والكلمة) فإنه في المسند وفروعه يحار القارىء ليجد أول النص أو أول كلمة فيه (وطبعاً هذا لم يعد موجوداً في النصوص المتطورة). الأمر الذي اقتضى اعتماد شكل وصيغة مبدئية واحدة اعتمدت من اليمين إلى اليسار، ثم العودة في كل سطر جديد من اليمين إلى اليسار، وهكذا تكراراً حتى نهاية النص. بعد أن كانت النصوص تبدأ كيفياً وتنتهي كيفياً (كما في النصوص المرفقة سابقة الذكر).

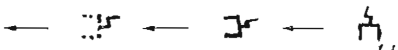
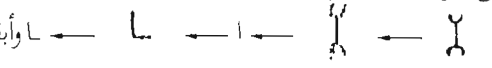
٤ ـــ لقد رافق الأفقية في السطر غالباً البدء باليمين نحو اليسار، وإننا نشاهد في بعض النصوص استمرار حلزونية الخط من اليمين لليسار، وفي السطر التالي من اليسار إلى اليمين (وهكذا بالتناوب بين السطور حيث يبدأ السطر التالي من حيث انتهى الذي قبله، وذلك في نصوص التزمت بالسطر الأفقي!).

لكننا نشاهد التزام خط الجزم التزاماً مطلقاً بالأفقية للسطر مع البدء باليمين نحو اليسار في كل سطر جديد (انظر نماذج خطوط الجزم المرفقة على اختلافها) ولنا في أفقية نص حران مثل واضح على التزام بالأفقية التي أعتقد أنها اعتمدت على سطور أفقية مستقيمة ودقيقة قطعاً.

وما قد نراه غير ذلك من خطوط الجزم ما هي إلا حالات زخرفية تزيينية متأخرة، لم تشهدها بدايات خط الجزم عنه تحوله من المسند. تجنبه خط الجزم مؤقتاً ثم عاد إليه لأن خط المسند مر بهذه المرحلة لاستخدام الخط تزييناً بمبادرة ذاتية، لا كما يدعي بعضهم أن تأطير اللوحة بالخط جاء نقلاً عن الهيلينية (انظر اللوحة رقم ٣٢٥ / المرفقة) كيف عمد ناقشها لتأطير منامه الذي عبر عنه بلوحة مرسومة فأطرها بشرح مكتوب لرؤياه لوالده وشقيقه القادمان عليه.... (راجع كتابنا **حول الكتابات الصفوية عند أنو ليتمان** بهذا الصدد).

٥ ـــ إن تشذيباً مناسباً أدخل على بنية بعض حروف المسند المتحولة إلى الأفقية والتي أصبحت حروف الجزم ـــ ومن هذه التشذيبات:

آ ـــ اختزال بنية بعضها، والاكتفاء بالجزء المناسب الذي يعني بالتعبير عن نفسه دون لبس أو انحراف كبير عن الشكل الأساسي لذلك الحرف.

- كالهمزة المختزلة من حرف الألف  ← ء
- والألف الصوتية  ← ـا وأبقيت لها الوصلة بما قبلها.

ولأول وهلة يبدو لنا أن الألف التي كانت عمودية في (خط المسند) بقيت على عموديتها في (خط الجزم) إذ يبدو أن محاولة جرت لتحويلها إلى أفقية قد تكون أدت إلى لبس كما هو الواقع (انظر ألف أل التعريف في نص نقش أم الجمال الثاني السابق في كلمة الله والقليد ثم في أول كلمة أعلى) لكنهم لذلك ودفعاً للبس بقيت عمودية وأعيدت لها عموديتها بعد مثل هذه المحاولة ضرورة ! وكذلك الألف في الكلمات : (أنا / وذا / والمرطول) من نقش حران السابقين ومثلها ألف (كلمتي : أرسلني والأوسي من نقش أسيس) لكن انسجاماً مع أفقية بقية الحروف استقر شكلها هكذا (ـا) عمودية متصلة بوصلة أفقية كما في الكتابات بعد الإسلام المرفقة وبقيت فترة طويلة هكذا .

والأمثلة كثيرة سنراها في الجدول النهائي لتحول الحروف من المسند إلى الجزم .

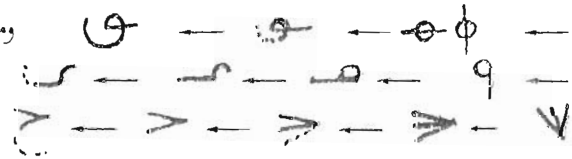
ب ــ تليين خطوط الحرف بإقلال زواياه القاسية متجهين إلى الخطوط المنحنية لتكوين الحرف نفسه بدلاً من التأكيد على زواياه ، ولعل ذلك ناجم عن تطور وتبديل وسائل النقش بوسائل الكتابة الأكثر مرونة . مما يؤدي إلى أداء أسرع في الكتابة بالأحبار خاصة .

ج ــ ربما استكمل شكل الحرف ليأخذ شكلاً متوازناً كما جرى في إدخال إضافات لنهايات الحروف ، مثل استدارة نهاية بعضها كاللام لـ ← ل

والقاف ... ومثلها الفاء

والياء ... ى

والحاء ... ح



ــ وما كان منها استدارة نهاية الحرف في نهاية الكلمة ، وتحت مستوى السطر سموه بالتعريق (ح ع) .

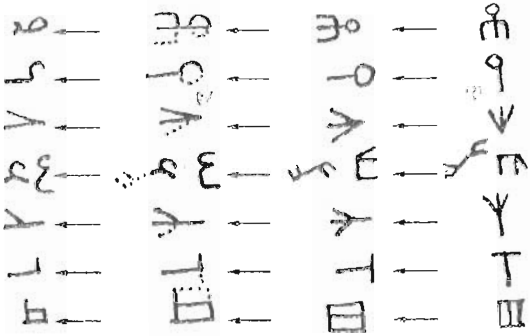
ــ أما ما كان فوق مستوى السطر وإقفال للحرف فهو الرتق ، كالحاء نفسها ← وأهم ظاهرة في سطر المسند المتحول إلى الأفقية (أي الجزم) هو ارتكاز البنية الرئيسية للحروف بشكل رئيسي على مستوى أفقي واحد ، فيما عدا ذيل بعض الحروف (انظر نص حران السابق ذكره) .

ولقد اقتضت هذه الظاهرة :

١ ــ تأمين عملية وصل الحروف على مستوى أفقية السطر وبمستوى موحد تقريباً .

٢ ــ في حال وجود قسمين متناظرين يكونان الحرف المسند حذف القسم المناظر الواقع تحت المستوى المذكور كما في :

عمودي — أفقي — مشذب — الجزم



حرف (الصاد) = ص

(الياء) = ي

(الحاء) = ح

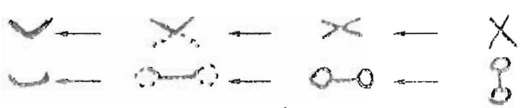
(الغين) = غ

(الذال) = ذ

(الزاي) = ز

(الطاء) = ط

(يلاحظ مد القطعة العمودية الثانية فوق مستوى سطح الحرف)

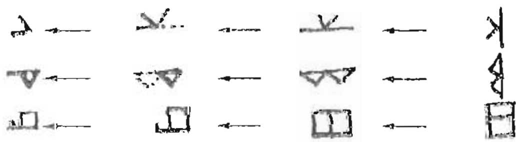


(التاء) = ت

(الثاء) = ث

(يلاحظ حذف قسم من أطراف الدائرتين الواقع حتى فوق السطر لمنع الالتباس بالياء) .

٣ ــ في حال وجود قسمين متناظرين يكونان الحرف المسند المتحول للأفقي وكلاهما بمستوى أفقي واحد يحذف أولهما (وأحياناً ثانيهما) كما في :

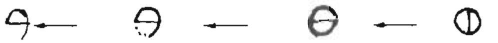


حرف (الدال) = د

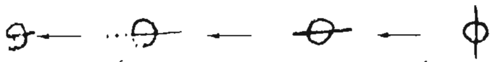
(الميم) = م

(الضاد) = ض

٤ ـــ أما حرفا الواو والكاف فلضرورة الوصل حذف الجزء الأسفل المغلق لدائرتهما بعد تحولهما للأفقية ، والجزء المناظر الثاني من منصف دائرة القاف) :

حرف (الواو) = و ـــ 

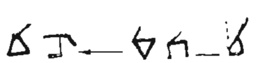
(ويلاحظ أن ذيل الواو بقي فترة طويلة يتجه للأسفل ليتميز عن القاف) .

(القاف) = ق ـــ 

(يلاحظ أن ذيل القاف ليتميز عن الواو بأفقيته لقابلية الوصل بما بعده) .

٥ ـــ إن بقية الحروف فيما يبدو أنها كانت أكثراً نبلاً من حيث صمودها أمام التغيير في بنيتها عندما تحولت حروف المسند إلى الأفقية لدرجة أن أحدها وهو :

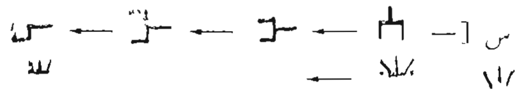
الحرف الصوتي (الألف) = ا ـــ  قد يظن أنه لم يخضع للأفقية فقد اقتصر على تعديل طفيف كما نرى ، فقد أزيلت منه القطع التي يحملها على طرفيه فصار قطعة مستقيمة (هكذا) (ا) وما القطعة الأفقية التي نراها في أسفله (ـا) إلا وسيلة الوصل (لاحظ) بما قبله لكننا نلاحظ وجودها حيث لا وصل كما في نصوص ـــ رسائله (ﷺ) وكل ما بعد الإسلام المرفقة (انظر ملاحظتي السابقة حول عمودية الألف ومحاولة إخضاعها للأفقيـــة ، ثم عودتها للعمودية دفعاً للبس في الفقرة (٥) من البحث السابق ـــ الطوارىء على المسند) .

أما حرف (الكاف) = ك  (فقد اكتفينا بالأفقية للتحـــول إلى الجزم (عدا الشكل الثالث منهما (ك)

أما حرف (الباء) = ب —  (اكتفى بالأفقية فقط للوصول إلى ما هو عليه الآن) .

وكذا حرف (الراء) = ر —  (كذلك بالأفقية فقط للوصول إلى ما هو عليه الآن) .

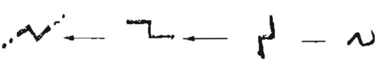
وحرف (الشين) = ش —  (كذلك بالأفقية فقط للوصول إلى ما هو عليه الآن) .

وحرف (السين) س — 

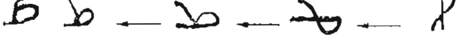
(لاحظ أن شكل السين الأول حذف منه النظير الأعلى . والثاني أضيفت له قطعة المستقيم السفلية للوصل بما قبله وما بعده) .

وحرف (اللام) = ل —  ل (فاكتفا بالأفقية وتشذيب الشكل الأول للام) .

وحرف (النون) = ن  —

فالشكل  (يلاحظ أن هذا الشكل للنون يستعمل كتابة وقد قضت عليه الطباعة الآن)

أما الشكل الثاني منه ن ← فأعتقد أنه جاء محوراً من كلمة (بر) = أي (بن) ثم لحقت الاستدارة بالحرف الأخير ، كما لحقت بغيره من الحروف ، وقرئت كلمة (بر) = بن حيث وجدت ومنها ظهر شكله .

أما حرف (الظاء) = ظ — 

أما حرف (العين) = ع —  (تبقى على حاله ، إنما ظهر له شكل

آخر حيث فتحت آخر استدارته
هكذا(ع).

وحرف (الفاء) = ف ← (فقد حافظ على الإغلاق لبنيته).

وبالنسبة لتلك الحروف (ع / ف / غ) عند وصلها اضطر الكاتب لوضع قطعة مستقيمة تحت استدارة كل منها لتكون قاعدة لها، ويمكن وصلها ( ).

وأما الشكل الآخر لحرف العين = غ ← (فقد اكتفى بالأفقية فقط)

أما الهمزة = ء فهي مجتزءة من الألف في المسند/

أما حرف (الهاء) = هـ



والهاء اللحيانية المتحولة للأفقية



وإذا كنت أسمح لنفسي بكل هذه الاستنتاجات فلأنها واقعية، ولا يفوتني أن أذكر أن تلك الأشكال التي رأينا حروف المسند (المتحولة للأفقية) قد انتهت إليها قد تطورت أيضاً تشذيبها لأن عملية التحول ليست كما رسمتها، ويقرأها القارىء هنا في صفحات محدودة (والتي صغتها للتبسيط فقط) إنما خضعت عملية التحول هذه لزمن طويل ومعالجات طويلة، ومن جملة هذه التحولات:

١ ــ تليين زوايا الحروف التي كان عليها المسند لتأخذ أشكالاً أقرب للانحناء والاستدارة عند تلك الزوايا مثل حرف الكاف ← ← (كمثال)

٢ ــ إغلاق بعض الحروف مثل الحاء ← (وكذا الجيم والخاء).
وحرف الهاء آخر الكلمة ← ←
وهذا ما سموه بـ (الرتق) كما أسلفت.

٣ ــ تأمين نهاية لينة لبعض الحروف التي بدت نهاياتها كأنها مقطوعة مثل الحروف.
( ) حيث أصبحت عند وقوعها في نهاية الكلمة.

ج ح خ ع غ م

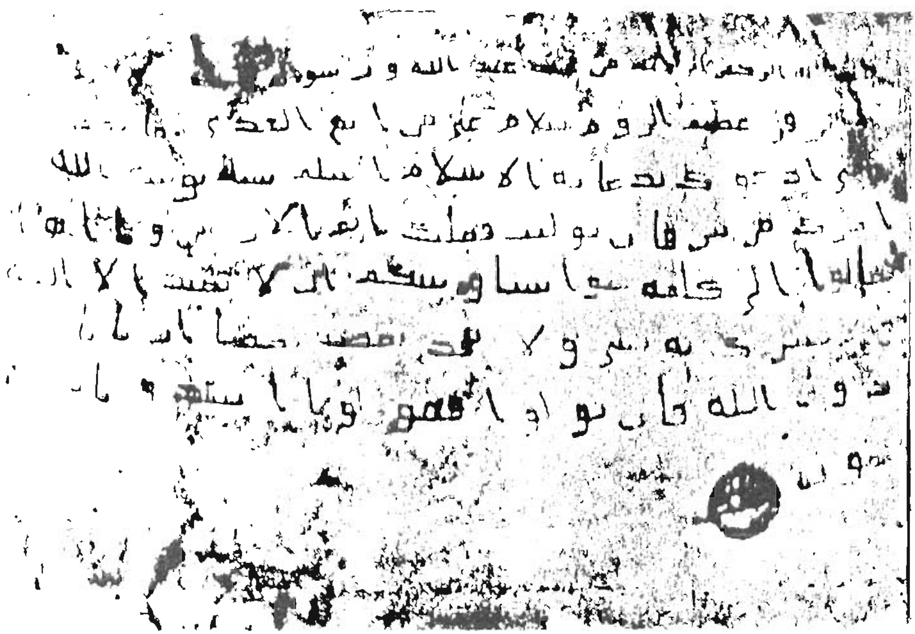
وكل من الحروف التالية : (سـ شـ نـ صـ ضـ فـ قـ يـ لـ) فأصبحت (س ش ن ص ض ف ق ي ل) (س ش ن ص ض ف ق ي ل) (انظر نون الكلمات : الرحمن / وابن / وأربعين / وصاد العاص في نص ــ عبد الرحمن بن خالد بن العاص ــ المرفق) وانظر اللام (قيل) وضاد (الأرض) والنون الأخيرة من (نحن / ومصلحون / والمفسدون / وآمن / ولا يعلمون) . من النص القرآني في صفحة من نسخة طشقند (مرفق) .

٤ ــ إن عملية أخرى استغرقت زمناً ومحاولات حثيثة لتصلنا كما نراها اليوم وهي عملية وصل الحروف (لاحظ عملية الوصل على الدرهم المؤرخ بـ ٩٤ هـ سابق الذكر أن (حرف اللام الأخير في لفظة الجلالة في المرة الأولى وصلت بما قبلها وفي المرة الثانية لم تتصل) وكذلك لاحظ أن الهاء الأولى من كلمة (لنظهره) بحرف لم تتصل بها الراء التي تليها !) وأن حرف النون في السطر الثالث لم تتصل بحرف الكاف الذي قبلها) .

٥ ــ وإن عمليات استقرار صيغة شكل موحد للحرف أيضاً خضعت للتطور العادي نفسه فقد بقيت الهاء (٧) فترة طويلة تكتب (هكذا) في وسط الكلمة فوق السطر حتى أصبحت فيما بعد تحت السطر (ـ٧) .

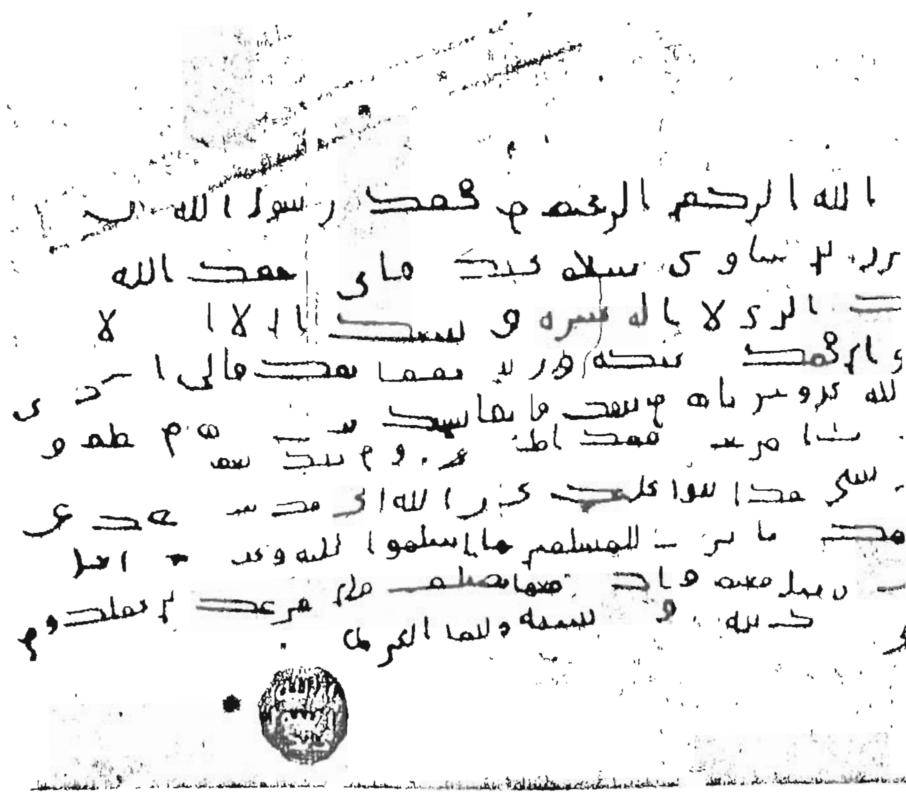
(انظر حرف الهاء في كلمتي (غيره) و (يشهد) السطر ٣ من رسالته (ﷺ) إلى المنذر بن ساوي في السطر نفسه (٦) المرفقة وفي السطر (٦) منه في كلمة (أمره) وفي السطر (٩) في كلمة مهما / وانظر حرف (النون) في كلمة (فإن) والهاء في كلمة (أهل) في آخر السطر (٨)) .

انظر حرف الهاء في كلمة (الهدى) من رسالة (ﷺ) إلى كسرى ملك الفرس في السطر (٢) من الرسالة) .



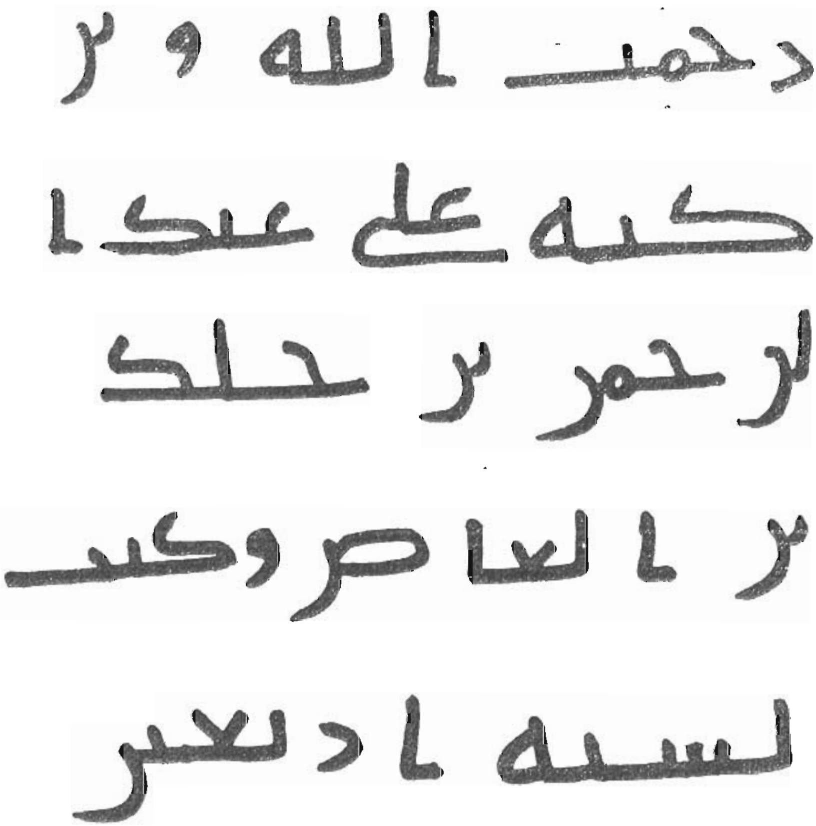
الشكل رقم (٣٦)

صورة رسالة النبي (ﷺ) إلى كسرى ملك الفرس عن أصلها المحفوظ في خزانة (هنري فرعون) ببيروت.
المصدر ــ موسوعة المصرف



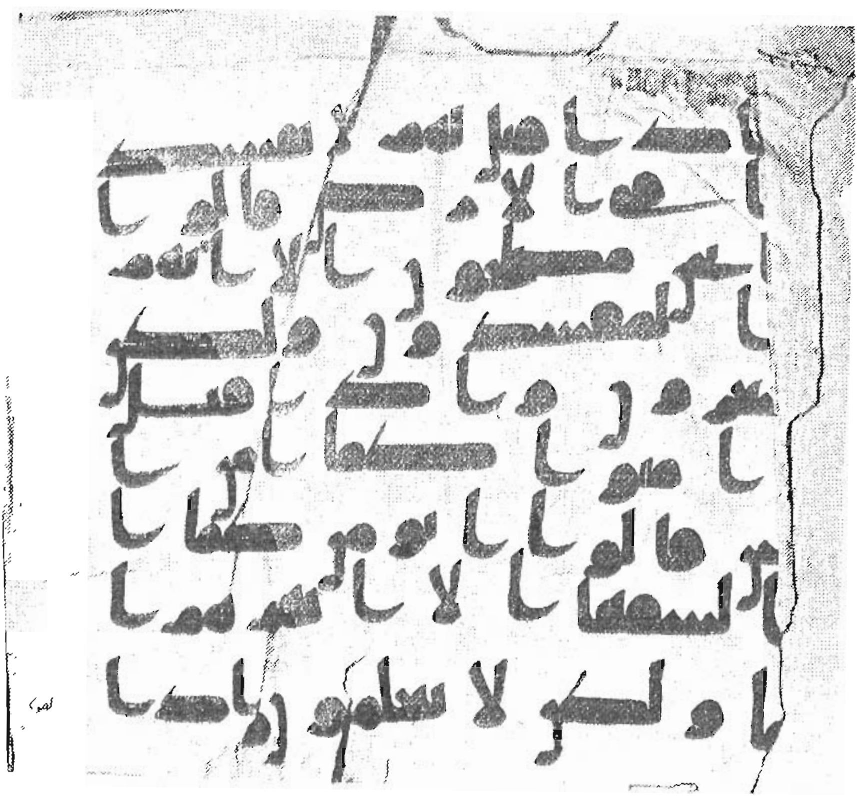
الشكل رقم (٣٧)

رسالة (ﷺ) إلى المنذر بن ساوي



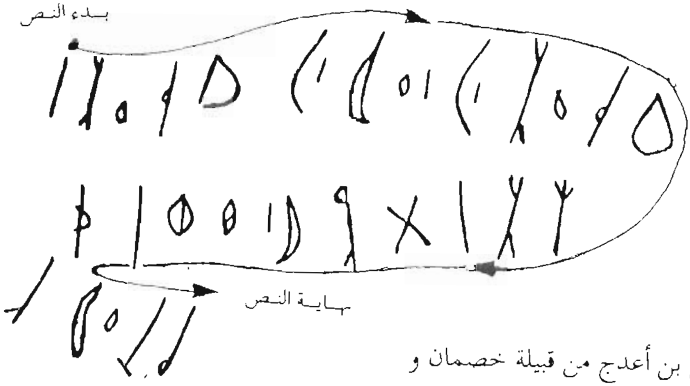
الشكل رقم (٣٨)

عن حولية أطلال السعودية



الشكل رقم (٣٩)

صفحة من نسخة القرآن الكريم في طشقند عن مجلة نهج الإسلام الدمشقية



٢٨١ ـــ لـ :
أعدج بن معن بن أعدج من قبيلة خصمان و
(قد) ولدت معزتة أربعة
أو (وقد ولد المعزي)

By A'adag b.Ma'n b. A'adag.
And the goats brought forth young.

الشكل رقم (٤٠)



على حجر أخرى

٢٨٢ ـــ لـ : رب إيل بن أنهك هاناقة (هذه الناقة) وياللات ! صـ(ـير) عمى العين والقتام (الظلام) لقبر الذي يعوِّرونه (يطمسونه).

This She-camel /belongs/ to Rabb-el b. Anhak. And, O Allat /bring/ deafness and ejection from the tomb upon those who efface it.

الشكل رقم (٤١)



على حجر أخرى صورة جمل (لم ينشرها ليتمان)

٢٨٣ ـــ لـ: أنعم بن أسود هاركوبه (هذه الركوبة)

This young She-camel /belongs/ to Anam b. Aswad.

الشكل رقم (٤٢)



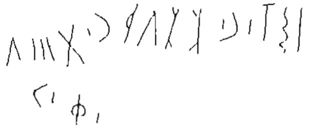
على حجر أخرى:

٢٨٤ ـــ لـ: رجوان بن كامد بن علهم ها (هذه الـ) ناقة.

This She-camel /bdlongs/ to Ragwan b. Kamid b.Ilhamm.

الشكل رقم (٤٣)

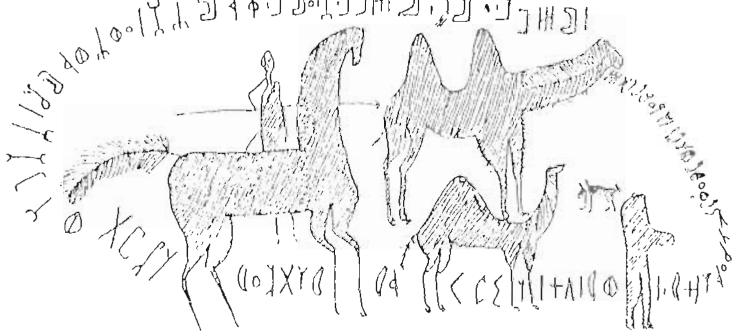
حجر أخرى :



٣٢٤ ـــ لـ : شزن بن أءسد (اسد) بن خطس (خطيس) . بن قن .

By Ahazab b. Asad b. Khitais b. Kain.

الشكل رقم (٤٤)



٣٢٥ ـــ لـ : مطر بن عم بن مطر بن أنعم بن قدم ذال (من قبيلة) عوذ ودمص (دمس = رأى سراباً ظلاماً = حلماً = خيالاً) = أي تراءى له أبوه وخرصه (رمقه ـــ تطلع إليه) مع أخيه عمداً (سائراً في) البر (الصحراء) (لبرية ـــ البادية) فيالالات ! سلم . والنعمة للذي دعي (يدع) ها سفر (هذه الكتابة) وعور وخرس الذي يعور ها خط (هذا الخط) .

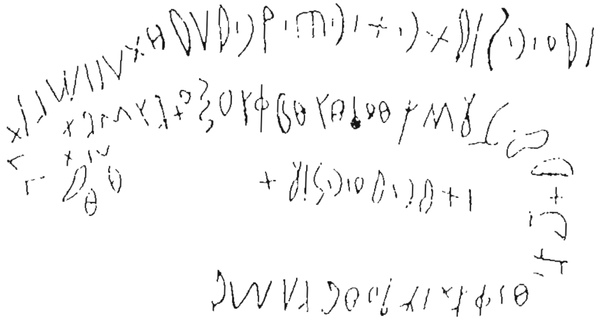
By Matar b. Amm b. Anam b. Kadam of the tribe of Awidh. And there appeared ti him /a vision of/ his father, and he looked uot for him with his brother from the desert. So, O Allat, /grant/ peace and favour to him who leaves this inscription /untouched/. But blindness and dumbness to him who effaces this documebt!

الشكل رقم (٤٥)

إن هذا النص (٣٢٥) عدي هو بداية تأطير اللوحة بالكتابة ، وقد جاءت عند الصفويين وليست حصراً عند الميليبية كما أراد بعضهم قصرها عليهم

١ ــ إنه خط متوازن استطاع كاتبه أن يؤطر لوحته بخطه وكأنه يحكي قصة تخيلها سواء في يقظته أو كما يبدو في نومه ــ دمص ــ ودماس (الظلام الحالك) ــ لقد أغنى لوحته التي تخيل فيها أبيه مع أخيه ممدداً في الصحراء ولم ينسه من دعوته له بالسلامة . والدعاء على من يعور خطه ونقشه .

٢ ــ إن مفردات اللوحة توحي مع إطارها بأن ناقشها فنان خصب المخيلة .



الشكل رقم (٤٦)

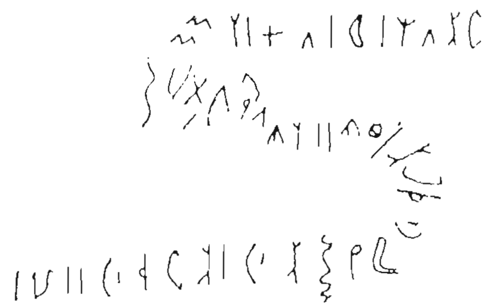
في الرقم ١١٩٨ ــ لاحظ أن النص يبدأ من الأسفل واليسار ، ثم للأعلى ، ومن اليمين اليسار ثم يعود ملتفاً للأعلى ومن اليسار لليمين . ويتوسط استدارته العليا نص آخر يبدأ من اليسار الى اليمين

١١٩٨ ــ معن بن علمه بن خن (تن) بن حـــــي بن مسم (ميسم) و (قد)تسلــــل فياللات سلم!

ودم (وحـــم) سنـــة ٢٤ (ص = ٢٠) (ا = ٤) (٢٠ + ٤ = ٢٤) (وما يعادل ١٢٩ ميلادي)

فيالـلات وشيع القـوم وهـا وبـ(ـاحد) عوذ فصك (خلص) من مت كائن (موت محقق)، وبفأة (لـ) الذي يعور ها سفر (هذه الكتابة)

انظر مخطط القراءة



١٦٢ ـــ ل : ظنين بن در إيل بن
أشيم بن در إيل و (قد) حلل
(حل = نزل وحيم)
ها حسي = هذا الحسو (ماء
يتجمع في قعر وادي) سنة ٤٢
(ب = ٢) و (ف × ٢ = ٤٠)
/ (٢ + ٤٠ = ٤٢ ؛
فياللات سلم الذي سار (أي
ولم يعبث بهذا النص ـــ أو بني
سار)
انظر مخطط القراءة :



(النصين مأخوذين من كتابي
حول الكتابات الصفوية عند
ليتمان)

أما الرقم ١٦٢ ـــ نلاحظ أن النقش يبدأ من اليسار، والأسفل نحو اليمين، ثم يعود من اليمين للأعلى واليسار، ثم يعود لليمين من اليسار الأعلى كخط المحراث مكوناً الشكل **S**

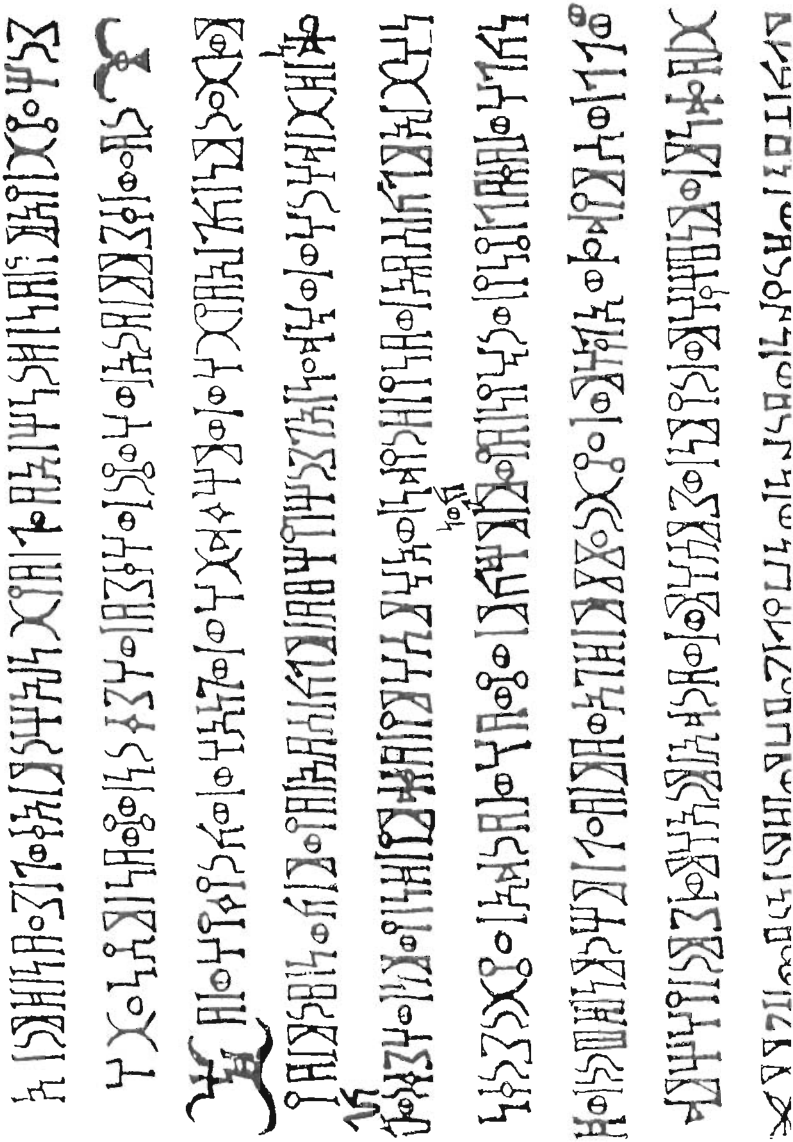
أما في اللوحة التي تمثل عقر الناقة التي سلف ذكرها فنشاهد نمطين من النقوش التي جاءت متراكبة بشكل منسجم مع الرسوم

ـــ فالنمط الأول ذو سطر أفقي

ـــ أما النمط الثاني. ذو سطر عمودي

الشكل رقم (٤٧)

أ ـ نص النقش بحروف المسند



الشكل رقم (٤٨)

نقش بيت ضبعان

نقش بيت ضبعان (المرفق)

وفيه نجد أن النص أخذ نمطاً أفقي السطور، فتبدأ أسطوره من اليمين لتنتهي في اليسار، وقد جاءت حروفه متماثلة من حيث حجمها وموحدة تقريباً، ومن خلال نظرة متفحصة له نراه نصاً منتظم الشكل والسطور التي تبدأ دوماً من اليمين.

ويبدو أن الوصل للحروف سبقت له محاولات لم تكتمل لتشمل كل الكتابات إطلاقاً، وقد سلف أن أوردت المثالين (الصنجة المعدنية) و (المبخرة) التي حملتا لنا كلمة من المسند موصولة الحروف جاءت هذه الحالة ملتبسة اسم أحد آلهتهم وهو (كهل) = فجاءت كما أسلفت هكذا  إضافة إلى ما ذكره السيد عبد الرحمن الطيب الأنصاري، ودون أن يرفق لنا صورة ما شاهده موصولاً من المسند!

ويبدو للقارىء أن استخدام وصل الحروف جاء هنا على سبيل التقديس والرفعة، ولربما لذلك بقي نادراً فيما سوى ما نشاهده في مستهل بعض النصوص لمجموعة حروف متراكبة تشبه ما يسمى بـ (الطغراء) وأحياناً في سياق النص كما يشاهد في نص بيت ضبعان (المرفق) في نهاية السطر الثالث منه كلمة ذرانح (ذرنح) =  ــ وفي بداية السطر الثاني من النقش نفسه وهناك العديد من المحاولات المماثلة إنما عندما تيسرت وسائل الكتابة، وتفشت في الناس القدرة على تركيب الحروف وفك قراءتها يبدو أن الوصل أصبح ضرورة لكن عملية الوصل هذه لم تتيسر بشكل فوري، ولا بد أنها خضعت لإحراجات عديدة جعلتها تهذب عملية الوصل وبقيت بعض الحروف ممتنعة على الوصل إطلاقاً بما بعدها، وذلك لاحتمال قطعي مؤكد للبس لا بد منه، فبقيت حتى اليوم تكتب دون القدرة على وصلها بما بعدها ــ وسبق أن ذكرناها ــ.

وفي مراجعة بسيطة للنصوص الخمسة السالفة (زبد / أسيس / حران / أم الجمال الثاني / ورمّ الثاني) نجد أن الوصل ليس واحداً في كل الحالات، الأمر الذي يؤكد أنه قد تم بطرق متعددة، وحاولت السيدة جبوري تعدادها كما أسلفت إنما استقرت على ما نراه اليوم ــ إضافة إلى أن الكلمات بقيت منفصلة عن بعضها البعض فيما عدا بعض الكلمات المركبة التي اعتيد على استخدامها ككلمة واحدة نتيجة نحتها، أو نتيجة كونها مؤلفة من حروف زائدة أو ضمائر دخلت على غيرها...

أفكار من خلال السطور، إنما لها دلالة

وفيما يلي نظرة إلى ما جاء به خط الجزم، وما كان عليه المسند، وما كان عليه أهل دومة الجندل من خلال شعر لرجل منهم يُمـنُّ على أهل مكة من قريش فيقول:

لا تجحـدوا نعمـاء بشـر عليكـم ... فقد كـان ميمـون النقيبـة أزهـرا
أتاكم بخط الـجـزم حتى حفظتمو ... من الـمـال ما قد كان شتى مبعثرا
وأتقنتمو ما كان بالـمـال مهمـلاً ... وطامنتمـوا ما كان منـه منفـرا
فأجريتم الأقـلام عـوداً وبـدأة ... وضاهيتمـو كتاب كسرى وقيصرا
وأغنيتمو عن مسند الحي حميرٍ ... وما زبرت في الصحف أقيال حميرا

ـ أما بشر فهو بشر بن عبد الملك أخو الأكيدر وأخوالهم اللخميين في الحيرة.

ـ ولاحظ (أجريتم الأقلام) يفهم منه انسياب القلم جارياً بخط متصل الحروف منساب متسلسل.

ـ أما قوله (عوداً وبدأة) يفهم منه السطر المتكرر ذو الشكل الواحد الأفقي، فإذا بدأ باليمين وانتهى باليسار تلاه سطر آخر بالعودة لليمين والانتهاء باليسار، فكان سطرهم كما يستدل من هنا منتظماً حيث يبدأ كل سطر بداية واحدة وينتهي نهاية واحدة.

ـ وبذلك ضاهيتم: كتاب الأمم الأخرى الفرس والروم أصحاب كسرى وقيصر.

ـ وأغنيتم عن مسند حمير: وهذا دليل على سبق انتشار المسند لديهم قبل الجزم ـ ودليل على أنهم كتبوا به حتى استغنوا عما اعتمده أقيال وملوك ومكارب حمير. (أي عن المسند).

استمرار التشذيب

واستمرت عملية التشذيب على الحروف الموصولة فاقتضى الحال عند وصل بعضها اختصار وحذف جزء من بنية الحرف نفسها، وحسب وقوعه في بداية أو وسط الكلمة كما في الحرف ب ← ففي أول ووسط الكلمة اجتثت ذيلها فصارت (ب ← بـ ← بـ مثل: بدر / وسبا) ومثلها الحروف ت / ث / ن / ي (غير النهائية الأخيرة).

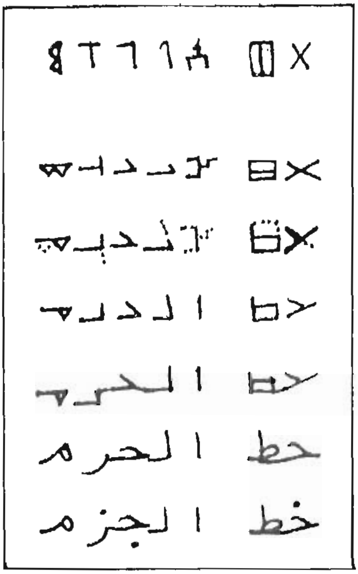
إلا أنه من الجدير بالتوضيح أنا إذ نقرر بهذا الأسلوب والعرض والمقارنة بأن الخط المسند هو الأب الحقيقي لخط الجزم، فإن مثل هذه الحقيقة لا تحول ولا تمنع التشابه والتقارب مع الأبجديات الأخرى التي كانت معاصرة لبعضها البعض. وهذا شأن مألوف إذ إن التشابه ليس مانعاً لينتمي المتشابهان إلى جذور واحدة، وليس بالضرورة لينتمي أحد المتشابهين للآخر ـــ إذ إن كونهما معاً من أرومة واحدة يعني حملهما السمات نفسها من حيث الشكل.

وبذلك تتضح جيداً تلك التقاربات لأشكال الحروف بين الأبجديات نتيجة للتقارض والتأثير المتوقع والناجم عن التماس المباشر والجوارية ـــ إنما هذه التأثيرات لم تبلغ بين خط الجزم وأي أبجدية أخرى ما بلغته شبهاً بين خط الجزم ـــ وحروف خط المسند (وفروعه) المتحولة إلى الأفقية والمتصلة... كما أسلفت.

وما دامت تأثيرات المسند بلغت شأواً بعيداً، فلماذا لا تطال الأقربين؟ ولماذا يحول كل الباحثين دون تأثير المسند بخط الجزم؟ ـــ يقول د. جواد علي في كتابه **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ـــ ٢١٠ / ٨: (... حول الخط في النقوش اللحيانية).

(.. وجعلها بعضهم فروع المسند لما قبل ولما بعد الميلاد ـــ وحتى إن المسند أثر في الحبشية والإفريقية الأخرى: اللهجة الكوشية، والنوبية والبربري القديم والبراهمي (الهندي)...)

وفيما يلي مثالين عمليين لمراحل تطور المسند إلى الجزم ــ والعكس :



٥

٦

٧

(التطور) من المسند إلى الجزم

١ ــ مرحلة الخط المسند .

٢ ــ مرحلة التحول من العمودية إلى الأفية .

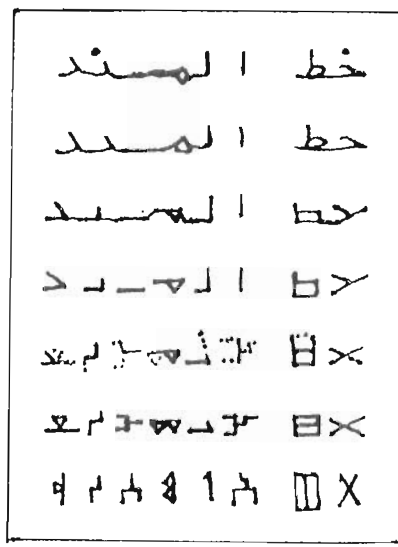
٣ ــ مرحلة تطور التشذيب على الحرف الأفقي .

٤ ــ مرحلة التشذيب النهائي .

٥ ــ مرحلة وصل الحرف المشذب .

٦ ــ مرحلة تليين الحرف .

٧ ــ مرحلة تنقيط الحرف (الإعجام) .



من الجزم إلى المسند (استرجاع تجريبي)

١ ــ مرحلة تنقيط الحرف (الإعجام) .

٢ ــ مرحلة تليين الخط .

٣ ــ مرحلة وصل الحروف المشذبة .

٤ ــ مرحلة تشذيب الحرف المسند الأفقي .

٥ ــ مرحلة تطور الحرف المسند الأفقي .

٦ ــ مرحلة تحول الحرف المسند من العمودية للأفقية .

٧ ــ مرحلة المسد (العمودية) .

فالخط الذي ذكره ابن خلدون يحتمل أن يكون قد انتقل من اليمن إلى الحيرة بشكله (المسند) ومن الحيرة ارتد إلى الطائف بشكله الشمالي الذي مر بدومة الجندل).

وبذلك عاد مشذباً وهذا ما ينسجم مع رأينا من أن أصل خط الجزم أنه خط المسند المتحول من العمودية إلى الأفقية والوصل.

وهم التأثيرات النبطية على خط الجزم

إن القول بأن خط الجزم مأخوذ عن النبطية موضع نقاش ورأي منفي نفياً قاطعاً كما سيأتي، رغم وجود احتمال لتشابه في بعض السمات العامة لا على وجه التخصيص.

. إذ كيف تستقيم مثل هذه الظنون مع سؤال خالد بن الوليد لعبد المسيح بن بقيلة:
أعرب أنتم أم نبط؟
عرب استنبطنا ونبط استعربنا.

وفي هذا السؤال والجواب ما لا يجعل مصدراً للعربية بخط الجزم.

حيث أننا هنا أمام رطانة النبط، وهم قبائل عربية نزحت إلى الشمال قادمة من الجزيرة العربية، فاختلطوا بأقوام شمالية، واختلطت لغتهم برطانة تلك الأقوام فأخذت تبعد شيئاً فشيئاً عن لغتهم وأصلها العربي، حتى إن العرب لم يفهموا منها إلا القليل.

ولئن وجد من قال: إن خط الجزم مأخوذ عن الخط النبطي، فقد برروا ذلك (٣٩ من كتاب السيدة جبوري) بـ:

١ ــ بأن حروف النبطية هي ٢٢ حرفاً	ــ فنقول: إن هذا يتناقض مع خط أبجديته ٢٨ حرفاً، فكيف أعطت النبطية حروفاً ليست عندها؟ ففاقد الشيء لا يعطيه.
٢ ــ وأن النبطية تكتب من اليمين إلى اليسار	ــ ونقول: ليس ما يمنع أن تكون هذه السمة قد أثرت بخط المسند ليتبنى البدء من اليمين ــ وإن كان ليس بالضرورة أن يكون أخذها عن النبطية.
٣ ــ ومنها الوصل والفصل ويلاحظ ازدياد الوصل في النقوش المتأخرة	ــ ونقول: إن محاولات الوصل لاحظناها في المسند الجنوبي، كما ذكرناها على المبخرة وعلى صنجة

	الوزن. إضافة لما ذكره السيد عبد الرحمن الأنصاري. ونقش بيت ضبعان
٤ ــ خلو النبطية من الإعجام	ــ كذلك خط الجزم وقبله خط المسند خاليان من الإعجام، حتى ما بعد الإسلام، ولم يدخل الإعجام إلا على الجزم متأخراً.
٥ ــ سقوط حرف الألف في بعض الألفاظ	ــ إن المسند يسقط الحرف الصوتي من وسط الكلمة، وانتقلت هذه الصفة عنه إلى خط الجزم غير مقصور على الألف كما في النبطية
٦ ــ للوصل طرق أربعة هي الإسناد، والمزج، وربط الحرف بذلك التالي / والنضد	ــ إن الوصل استقر في الجزم على السطر وعلى مستوى أفقي واحد تقريباً.

وهـم التـأثيـرات الســريانيـة

ذكروا أن تشابهاً بين القلم (القديم الكوفي) و (السطر نجيلي)ــ ص ٣٩ كتاب السيدة جبوري

ــ فالحروف الأولى تختلف عن الوسيطة والنهائية.

ــ ونقول: إن هذه الخاصية لم تنقل من خط ما إلى الجزم، إنما تولدت لديه من كونه خط مسند التزم وصل الحروف، فكان لا بد أن يسبب لبساً بين الحروف مالم يدخل هذا الاختلاف الناجم عن موقع الحرف، وبسبب عملية الوصل والفصل.

ــ حذف حرف الألف في بعض الكلمات إذا جاء بعدها مد.

ــ ونقول: لقد التزم بما هو أوسع من ذلك فحذف في خط الجزم (وقبله في الخط المسند) الأحرف الصوتية إذا كانت وسط الكلمةــ وفي نصوص القرآن الكريم شواهد وأمثلة كثيرة مازالت بين أيدينا.

ــ إن الحروف التي لا تتصل بما بعدها هي نفسها في القلمين (ر و ا د).

ــ ونقول: إن كان لذلك دلالة فهي أنهما ينتميان إلى أرومة واحدة وليس كما ذكر.

ــ والأهم (من وجهة نظر الكاتبة) تشابه الحروف (ب ح د ك ل ف ع ق ص).

ــ ونقول: إن جميع حروف المسند المتحولة إلى الأفقية إنما هي حروف الجزم نفسها والتشابه الذي ذكر بين (٩) حروف ليس غريباً كون أرومتها واحدة، ونظرة واحدة للوحة الأبجديات. نجد اتساع رقعة التشابه بين حروفها جميعاً على الغالب

ثم إن التأثيرات دوماً هي تأثيرات متبادلة، والمهم أنها إيجابية التـأثير لا سلبيته وإرباكاته، فالسطر نجيلي أخذ عن التدمري الأقرب إلى الآرامي، والتدمري هو الأقدم بينهما بينما أقدم خط سرياني هو من سنة ٧٣ م!

بينما أقدم خط سطر نجيلي وصلنا هو ٢٤٣ م من (دور أوربوس) فهما متأخران (ص ٣ من كتاب السيدة الجبوري).

لكن السيدة جبوري تعود فتقول : إن خط الجزم سمي كذلك لادعاء بعضهم أنه اقتطع وجزم من الخط العربي الجنوبي القديم (المسند).

وبالتالي يمكن القول :

إن السريانية هي التي استعارت من العربية وبخاصة الكرشوني = (القرشي) ومؤيد ذلك قول الأب أغناطيوس يعقوب الثالث في كتابه (**البراهين الحسية على تقارض العربية والسريانية** ص ١٠) إذ يقول : (إن اللغة العربية الحالية أقرب من السريانية إلى اللغة الأم. وأكثر منها شبهاً لها، إذ بذتها باحتفاظها بكثير من العناصر اللغوية الأصيلة المنحدرة منها إليها.

وفي الواقع فإن تأثير السريانية على العربية قد يكون أكثر وضوحاً في العامية، وهذا ما لا يصلح الاعتداد به كتفاعل وتأثير في اللغة الفصحى كما في التالي :

١ ـــ تسكن نون الوقاية في السريانية الحالية شَبَقْتَنْ ـــ CHABACTAN

تسكن الفاء (في فعلتني) بالعامية تركتْنِي شبقتْنِي.

٢ ـــ تسكن السريانية الحالية أول المضارع الأجوف نْقوم NQOUM

وتسكن العامية العربية أول المضارع الأجوف أيضاً نْقوْم نْفوْت نْروْح.

وهكذا فإننا نجد أن هذا التأثير للسريانية اقتصر أثره على العامية العربية دون الفصحى. وأورد المهندس ناجي زين الدين المصرف في موسوعته للخط العربي ما يلي :

(... وذكر صاحب كتاب (**أصناف الكتاب**) في الخزانة العامة ـــ الرباط برقم ١٢٧٣ /١٥ فقال : ولأهل الحيرة خط الجزم ـــ وهناك خط سرياني شبه الكوفي يسمى ـــ الكرشوني = أي القرشي ـــ كتب به السريانيون نسبة لقريش، كتب به الأناجيل !!).

فليس من الضروري استعمال الخط نفسه واللغة نفسها في كتابة مقتبسة من خط أجنبي كما فعلت اليهود، فإنهم كتبوا العبرية بخط عربي أو بالعكس العربية بخط عبري في مراسلاتهم ثم يضيف في ص ٢٢٠ من الموسوعة نفسها.

(إن الخط العربي الأقدم كان رائجاً في جنوبي الجزيرة العربية حتى الهلال الخصيب، ودومة الجندل. ولا بد أن.. من أسلم من أهل اليمن كأبي هريرة كان يعرف ذلك الخط...

قدم اللغة العربية وعتقها

إن قدم اللغة العربية لن ينتقصه تعدد اللهجات.

إن القول بالجذور العميقة المغرق في الزمن للغة العربية أمر عادي وواقعي، مما جعل العديد من علماء الأثريات والتاريخيون يؤيدون هذه السمة ويؤكدون عليها لدرجة أن بعضهم جعل المعرفة الجيدة للغة العربية وسيلة فعالية لفهم النصوص المكتشفة في أوغاريت وماري وغيرها.

ففي **الحوليات السورية** مجلد ٢٩ / ٣ ص ٤٢.

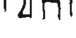
منذ الأيام الأولى لغزارة نصوص أوغاريت تبين لدى الباحثين أن هناك علاقة ما بين اللغة العربية واللغة الأوغاريتية ـــ لم يمض وقت طويل حتى أظهرت دراسة النصوص أن العلاقة أكيدة ووطيدة، وأن الإحاطة بأصول ومفردات اللغة العربية أمر لا بد منه للباحث في اللغة الأوغاريتية لاستكشاف ما غمض من مفرداتها المختلفة.

وفي كتاب **ماري** ص ١٦٦ لأندريه بارو ترجمة رباح نفاخ.

إن السجلات الملكية في ماري تنافس مكتبات نينوى وتللو وأوغاريت وبوغازكوي (وايبلا).. وإن مجموع ألواحها يبلغ ٢٠ ـــ ٢٥ ألف رقيم... وما نشر من رقمها بلغ ١٤ مجلداً. ولم تنته بعد.

ويقول فون سودون: إن الشعور بالتقارب لتشابه الأسماء لا يمكن أن يكون محض صدفة والشيء الثابت أنه قبل البطريرك يعقوب وقبل ولادة ابنه بنيامين كان يوجد في بلاد ما بين النهرين قبيلة تحمل اسم (بنيامين أو يمنيين ان معنى / الاسم / لا يدع مجالاً للشك (بني يمينا) أبناء اليمين أي الجنوب... وتشير القصص دائماً إلى وجود (بني شمالي) إلى أعالي البلاد وهذا أمر طبيعي.

فالعلاقة حقيقية وقديمة بين اليمن والشمال، ولذلك العلاقة وطيدة بين اللغات الشمالية والجنوبية عامة. انظر نقش بيت ضبعان المرفق فقد ورد فيه:

(شر حـ مثت بن يا من بن د ر نخ) ـــ :  يامن (هكذا).

كما ورد في السطر (٧) من اللوحة ص ١١٢ من **موسوعة الخط العربي** لناجي المصرف ♀⧖IX يمنات (هكذا) .

وفي الصفحة ١٧٢ . إن الأسماء المكتشفة بالآلاف وفيها من التشابه مع العربية الكثير .

وفي تبسيط لرأي العلماء العرب الذين لا يرون تولد الخط العربي (الجزم) من السرياني ، فهؤلاء يقولون :

(إن الخط المسند اليمني خطان : ١ ـــ جنوبي = حميري .

٢ ـــ شمالي = لحياني وثمودي وصفوي .

وعن الصفوي ⟵ تولد النبطي ⟵ ومنه تولد الحيري / والأنباري ⟵ ومنه تولد الحجازي ومنه تولد الكوفي أصل الخطوط العربية . (انظر ٢٤٠ /١ **عاديات حلب** عام ١٩٧٥ ـــ محمد كامل فارس)) .

وفي رأينا : إن هذا القول وإن لم يتطابق مع نظرتنا التي أسلفت شرحها ، إلا أنه لم يخرج العربي الحالي عن دائرته ، وإن كانت هذه النظرة لدى العرب القائلين بهذا التسلسل (وفي رأيي) إنما تمثل الالتزام بما لا يلزم ، وذلك أن الإصرار على ضرورة تولد كل خط من خط آخر ثم من آخر ... لتكوين سلسلة عمودية حتمية أمر لا مبرر له ، لأنه توالد عدد من الخطوط وكانت معاصرة لبعضها وهذا أمر عادي ، وليس ما يمنع ذلك بل إن ذلك هو الأمر الطبيعي ـــ وإن كان أحدهما يحقق انتشاراً أوسع من غيره ، إذ ليس بالضرورة أن يمر الخط الجزم الحالي بالنبطي ، وليس ما يمنع من ملامح محددة للتشابه لأنهما من أرومة واحدة هي المسند ـــ وفي الواقع : إن كلاً من الخط اللحياني / والثمودي / والصفوي إنما تمثل مجتمعة حلقة غير مفقودة أيضاً بين المسند ـــ والجزم كما أسلفت وكما سيتضح بالدليل القاطع من الجدول الذي توصلت إليه وأعددته وأسميته أيضاً (الحلقة غير المفقودة بين المسند والجزم) .

وإذا كانت النصوص بالخط العربي (الجزم) قليلة فليس لأنها محصورة وخفيفة الانتشار ، إنما تعود إلى قلة الكشوف في هذا المجال وربما لقدمها أيضاً ، وهذا ما سوف تمحصه عمليات التنقيب والبحث عنها ـــ فأين المعلقات العشر ، وبأي الخطوط دونت ؟ وأين حجج بني نصر في الحيرة ؟ بل أين مكاتيب العهود والعقود والمراسلات ؟

وإذا كان بعض المستشرقين قد عمدوا إلى إسقاط الرأي الأقرب للحقيقة والواقع وهو التسلسل الطبيعي للغة أمة تتطور لغتها وحرفها إنما يعتمدون على مبررات مختلفة منها :

ـــ ما يستهدف التشكيك بالتراث العربي كاليهودي (إسرائيل ولفنستون ـــ انظر مقال محمد كامل فارس السابق) .

ـــ وآخرون لم يروا شبهاً بين المسند والجزم إلا الشبه ما بين حرفي الراء فيهما ـــ غويدي ـــ .

ـــ وفئة أخرى أخذ الأمر بسطحية تقليدية دون تعمق ..

ـــ وهناك فئة لم تصرح ـــ ولأسباب نجهلها ـــ بشكل واضح حول العلاقة بين المسند والجزم وإن عرضوا بها تعريضاً كالمستشرقين (هومل Homel وموريتز Moritz) الألمانيان بحيث أيدوا بشكل غير مباشر وجود علاقة بين المسند والجزم ، وخلاصة رأيهم : إن الأصل في إيجاد الكتابه بالحروف بعد الهيروغليفية (التصويرية) إنما كان في اليمن ، وإن الفينيقيين أخذوا أحرفهم (الأبجدية الفينيقية) من الخط (السبئي) (انظر مقال السيد محمد كامل فارس سابق الذكر) .

فإذا كان العرب في الجنوب أعطوا هذا العطاء ، فلماذا هم في الشمال ؟ بعد أن قدموا (إلى الشمال ومعهم لغتهم ومعارفهم ومن جملتها خطهم) لماذا نبحث عن مصدّر للأبجدية التي كتبوا بها في الشمال ؟ إذ لم ير هؤلاء المنظرون علاقة بين المسند والجزم وما ذلك لنقص في كلا الخطين إنما في نظر هؤلاء الباحثين .. لأن الشواهد التي أوردتها قاطعة ودلائلها قائمة وكل ما جرى ملخصاً خلال فترة طويلة هو تحول المسند خاضعاً لـ :

ـــ قاعدة أفقية السطر .

ـــ أفقية الحرف .

ـــ البدء بالكتابة (السطر والكلمة) من اليمين في كل سطر وكلمة .

ـــ الوصل (وفق ما شرحته) بين حروف الكلمة الواحدة فيما عدا الحروف التي لم تتصل بما بعدها .

ـــ ثم وأخيراً خضوع هذا الخط (المسند المتحول إلى الجزم) لتنميقات وتشذيب في أكثر من اتجاه كما أسلفت ... والتشذيب قديم فيقول عبد الحكيم ذنون ص ٤٢ من كتابه الذاكرة الأولى عن اسومرية (كانت تضم صوراً مختصرة لتمثل الشيء المراد والمقصود كأن ترسم رأس الحيوان للدلالة عليه عوضاً عن رسم هيئة الحيوان بكامله) .

والأكثر غرابة هو البحث عمن نقل الخط الفلاني، وكأن الخط واللغة واللهجة سلعة تصطحب برغبة شخص أو أشخاص. فكما أسلفت إنها عملية طوفان وانسياح طويل الأمد مستمر الرفد، وربما استغرقت هذه العملية زمناً طويلاً.. لذا فالقول: إن فلان كبشر بن عبد الملك أخو الأكيدر، أو حرب بن أمية هم مدخلوا الجزم إلى ديارهم.. قول فيه نظر وإن كان لا يمنع من تعلمهم خط الجزم وإتقانهم له ممكناً لكن ذلك فيما يبدو تجن عمن سلفهم من الأقوام الذين صدرتهم الأرض العربية في كل الاتجاهات وبخاصة إلى الشمال، وأرجو ألا يفهم من قولي هذا الذي سلف أني قصدت الإقلال من شأن من ذكرت أو انتقصت من معرفتهم، إنما لا بد من الرد بما ينصف المغمورين ممن لم يأت التاريخ على ذكرهم. فكم هم الذين ناقشوا النصوص عدداً وانتماءً، ومنهم متقنوا اللغة وخطها! ولا يغربن عن بالنا أن مجيء الإسلام وتدوين القرآن لأنه أرخ لهذه الواقعة أبرز أسماء العدديں ممن كتبوا القرآن ومكاتيب ومكاتبات النبي (ﷺ) وهؤلاء لم يأتوا من العدم بل من وسط أمة لها تاريخ سلف، ومستقبل سعت إليه لنفسها وللناس، يوم قال تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾.

فلأن هؤلاء أرخ لهم الإسلام علمهم بالخط واللغة، وحفظت نصوص القرآن الكريم خطوطهم ورسائله (ﷺ) ومكاتيبه ما دونوه، فقد عرفتهم الأجيال اللاحقة حتى زمننا عن هذا الطريق، إذ لا يعقل أن أمة دونت آلاف النقوش في الجنوب أحجمت عن التدوين في الشمال، ولا بد من كشوف تنهي هذه المقولة وتوضح سابقة الفضل لأهلها.

بماذا يمكن أن يرد عاقل على إسرائيل ولفنستون عندما يتجنى فيقول:

أما النصوص الأربعة (مرفقة): زبد وحران وأسيس وأم الجمال الثاني المعثور عليها إنما دونت بالقلم النبطي المتأخر الشبيه جداً للخطوط العربية الكوفية، وفيها نجد حروفاً مرتبطة ببعضها البعض وهذه ظاهرة غير مألوفة في الخطوط النبطية القديمة ــ على رأيه ــ.

وبرأينا أن هذا يؤكد أن تجني المذكور هادفاً وليس عن حسن نية، وأن الوصل والفصل هما سمتان عمت أصول وفروع الكتابات ذات الانتماء العربي مادياً وبيئياً بدأً من المسند (انظر محاولات الوصل في المسند على الصنجة وعلى المبخرة المرفقين سابقاً) وامتداداً بخط الجزم الذي حقق أوسع عملية وصل بين الحروف الأبجدية الثمانية والعشرين (عدا ما استثنى من الاتصال بما قبله) وحتى الخط النبطي...

أما فيما يتعلق باللقى التي دونت بخط الجزم قبل الإسلام وقلتها كما أسلفت ، فذلك أمر يعود إلى قصور البحث وعمليات الكشف . وإلا لمن أمر (ﷺ) والراشدون من بعده بتدوين كتاب الله (القرآن الكريم) السفر الأجل لدى الأوائل وحتى الأبد . لماذا دون بخط الجزم ، ولمن دون وهو رسالة للعالمين ؟ إذا كان هذا الخط ضيق الانتشار وهذا ما لم يكن بالفعل ولا بد أنه الأكثر انتشاراً .

ولماذا لم يدون القرآن بخط المسند ؟ هذه أسئلة تؤكد أن خط الجزم لم يكن الأقل شأناً ، وإن زاد شأنه بتدوين القرآن بأبجدية خط الجزم رغم أنه بقي متأثراً ببعض قواعد الخط المسند ، وكمثال ما هو عليه كتابة بعض الكلمات من حذف للألف في وسط الكلمة ، وكتابة بعض الكلمات بأشكال يراها القراء اليوم غير مألوفة ــ مثل الصلاة (الصلواة) / الحياة (الحيوة) (لكن) (الرحمن) (السموات) .. وهي أمثلة كثيرة لا تخلو منها صفحات القرآن الكريم ، ثم إن استخدام الحروف المقطعة في أوائل السور القرآنية ليس إلا شأن جاء عن إرث من الخط المسند وفروعه ، كما أوضحته في كتابي المدونة (**حول الكتابات الصفوية عند أنو ليتمان**) ولو قدر للمسند أن يكتب القرآن به لصمد صمود خط الجزم ! بدلالة أن من أوردت السير أسماءهم ممن أتقنوا المسند كثيرون ، التقطت من أسمائهم وأخبارهم التالون على سبيل المثال ، ففي السير الكثير من هذه الشخصيات التي يمكن أن يضاف عليها مئات من الذين نقشوا النقوش ودونوا أسماءهم بهذه المناسبة ، وغيرهم الكثير .

أشخاص أرخت معرفتهم للقراءة العربية الجنوبية

ذكرت بعض المصادر أسماء العارفين بخط المسند ولغة حمير ومنها ما ورد :

في الإكليل ج ٨ :

١ ــ ٨٣ / ٨ الإكليل :

.. محمد بن أحمد الأوساني قال : قرأت في حجر مما نقل من (حدقان) إلى صنعاء (علهان ونهفان ابنا تبع بن همذان أصحح حصن فصر حدقان) وقرأت في مثله (في مسند عمران بالبون) .

٢ ــ ٩٦ / ٨ الإكليل :

قال الهمداني : حدثني بعض اللغويين عن أسلافه وقال . وجد حجر في تلفم = (ريدة) . مكتوب : (بناه يرم) وقرأت في بقية مسند منه (حفده يريم وتبع ابنا القيل دو مرع) .

٣ ــ ١٣١ / ١٣٣ / ٨ الإكليل :

رجل حضرمي حضر لعند علي بن أبي طالب زمن خلافة أبي بكر وأسلم ، وروي أنه جاء قبر هود وقرأ عند رأسه كتاباً بالعربية :

(أنا هود الذي آمنت بالله وأسفت على عاد وكفرها وما كان لأمر الله من مرد) .

٤ ــ ١٣٧ / ٨ :

عن رجل من حمير . قال وكنت أقرأ جيداً الكتاب بالمسند فقرأت على قبر :

(هذه بضعة بنت عبد شمس ملك حمير عتت على ربها وظلمت قومها وأساءت فأهلكها الله .) .

٥ ــ ١٣٩ / ٨ منه :

روى ابن عباس أن رجلاً من جهينة حدث بحضور النبي (ﷺ) .

ــ بعد أن حاول تقبيل يده (ﷺ) فرفض ، وقال تحية الإسلام المصافحة / أن رجلاً حدثه بأنه شاهد رجلاً قاعداً في يده خاتم مكتوب عليه : أنا حنظلة بن صفوان رسول الله وعند رأسه كتاب : بعثني الله إلى حمير والعرب من أهل اليمن ، فكذبوني وقتلوني (وهو صاحب الرسّ) .

٦ ــ ١٤٥ / ٨ **الإكليل**

هشام بن سعيد الرحال : قال وجدت حجراً في الإسكندرية مكتوب فيه (أنا شداد بن عاد الذي شيدت العماد وجندت الأجناد وسددت بساعدي الواد (فقال يعني نيل مصر) كنزت كنزاً في البحر ليس يخرجه أحد حتى تخرجه أمة أحد) .

٧ ــ ١٤٦ / ٨ منه :

قال أبو نصر : وجد في ولاية محمد بن يوسف آخر الحجاج من عند عبد الملك بن مروان في بعض قبور الجاهلية منه سفطاً من ذهب ، وفي السفط لوح من ذهب ، وعظام إنسان واللوح بالمسند هذه شمسة ولميس ابنتا تبع متنا فأنا تشهد لا إله إلا الله) .....

٨ ــ ١٤٧ / ٩

روى الكلبي عن المراني أنه أصاب قبراً في اليمن ، فيه حجر منقوش فزبر كتابه في جريدة من النخل ثم قُرىء فإذا فيه (أنا سريج بن ماجد ....) .

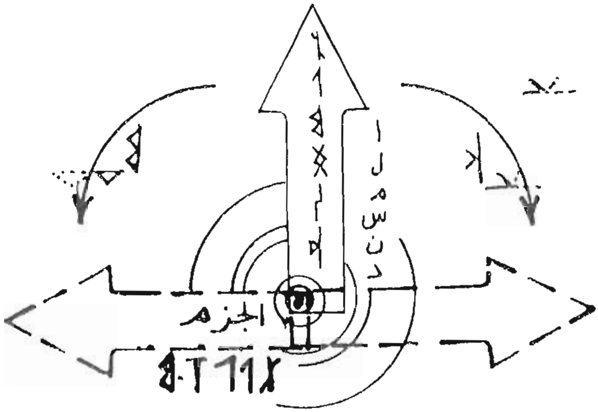
٩ ــ ١٦٢ / ٨ منه :

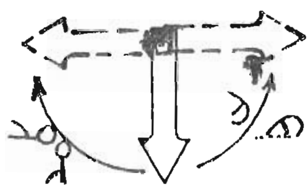
(الحديث له) عبد الله بن جدعان ..

.... وفيها أربعة أسرة على كل سرير رجل قاعد وعلى رأسه لوح من رخام مكتوب بالمسند فقرأت الألواح ... وفيها الحرث بن قصاص الجرهمي .. / وعبد المسيح بن بقيلة ... وبقيلة بن عبد المدان ... وفياض بن عبد المسيح بن بقيلة بن عبد المدان .

١٠ ــ ١٧٣ / ٨ منه :

حازم بن كبشة .. (يقول بعد أن بات ليلة في مقبرة) . وجد كتاباً (فقرأة طبعاً) . فيه : أنا يمن بن مدين بن ابراهيم خليل الرحمن .

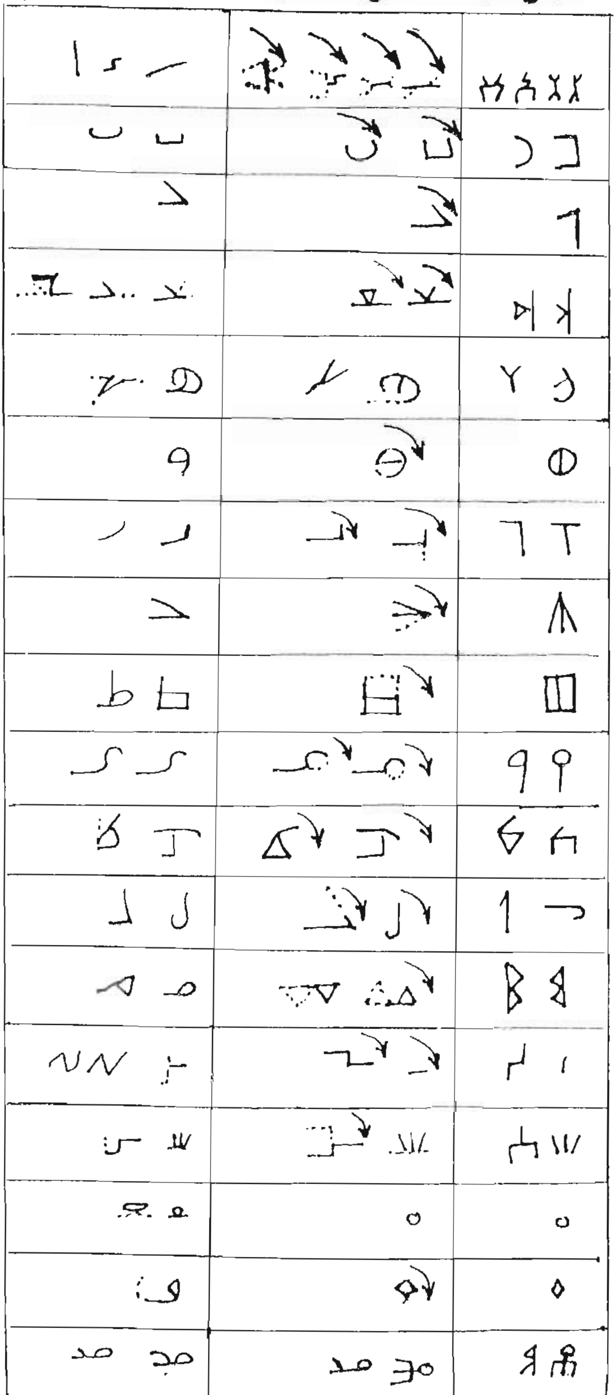


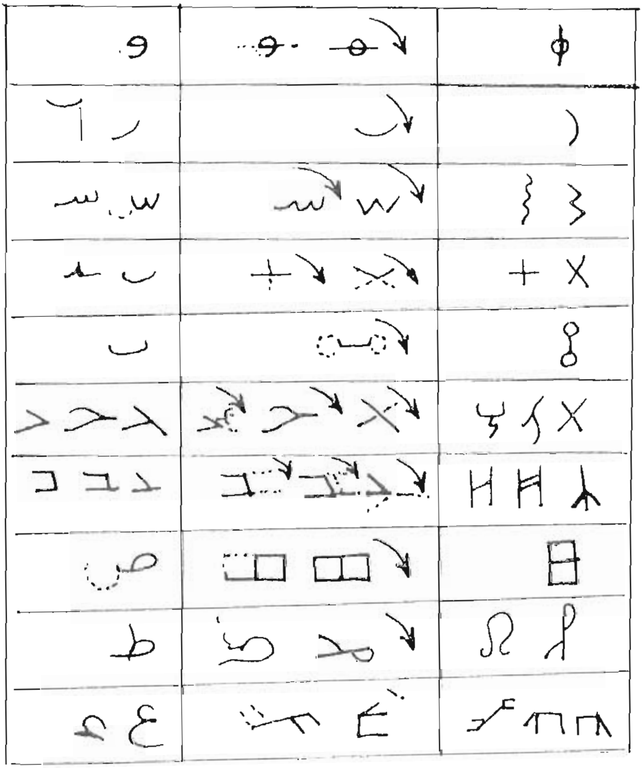


الشكل رقم (٤٩)

جدول ميكانيكية تحوُّل أبجدية المسند إلى أبجدية الجزم

تفاصيل آلية التحول للأفقية والتشذيب والجزم





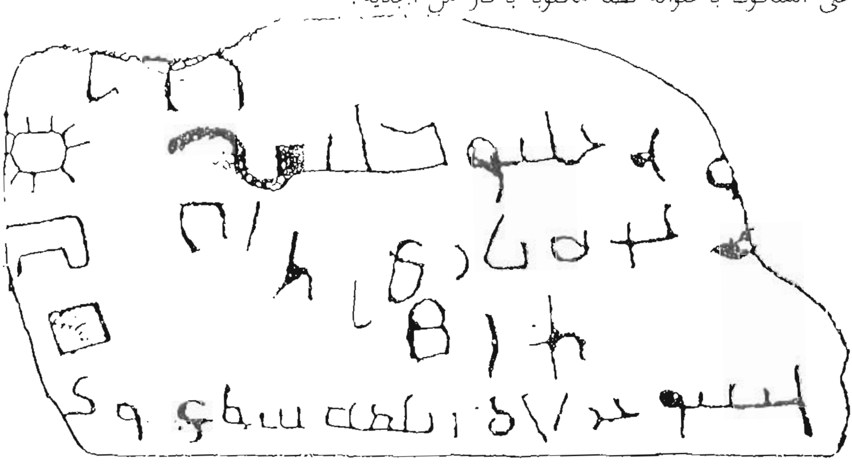
جدول خلاصة مراحل انتقال المسند إلى الجزم

الحلقة غير المفقودة

وما أود أن أؤكده وبشكل واضح :

أني مع إثبات رأيي واستنتاجي أن الخط المسند هو الأب الحقيقي لخط الجزم وعن طريق الحلقة الحقيقية بينهما (وهي فروع المسند الصفوي واللحياني والثمودي مجتمعة) فإني أؤكد أيضاً أن الفروع الثلاثة مع الأصل المسند هي جميعاً شاركت في التطور للجزم ، لأن أبجدية الجزم اقترضت حروفها منها جميعاً . كما نلاحظ أيضاً في سرد معطيات هذه الدراسة الحلقة غير المفقودة بين المسند والجزم .

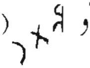
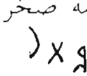
والأهم أن حلقة الوصل التي كانت مفقودة ، والتي عثر عليها في نقش رم أجهزت على الشكوك باحتوائه نصاً مكتوباً بأكثر من أبجدية .



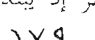
تـذيـيـل وخـــاتمـــــة

ويسعدني بعد ما أسلفت أن أكون قد يسرت للقارىء والباحث أسباب القناعة بنظري إلى أن خط الجزم متحول عن الخط المسند وفروعه ، من خلال ما عرضت وأوضحت لوجهة نظر فإن أوصلته إلى الحقيقة فهذا ما اجتهدت إليه وإلا فالكمال لله وحده .

ويحسن بي أن أضع هنا مثلاً تطبيقياً لتحول المسند إلى الجزم :

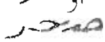
فكلمة صخر كانت يمكن أن تكتب  أو  (هكذا) دون قيد لاتجاه الكتابة أو 

(هكذا) وتطبيقاً للمراحل التي عددتها فقد :

١ ــ التزمت الكلمة بأفقية السطر إذ يبتدىء السطر وكلماته من اليمين إلى اليسار ، فأخذت هذا الشكل ـــ 

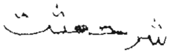
٢ ــ وعندما التزمت حروفها بالأفقية بدلاً من العمودية (الأسناد) أصبحت  أو

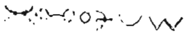
٣ ــ وعندما التزمت حروفها بالاتصال ببعضها صارت أو 

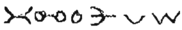
٤ ــ وبعد التشذيب أصبحت  أو  

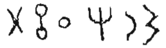
أولا ترى معي أنها هي التي تكتبها اليوم دون المرور بالمراحل الأربعة المذكورة لاستقرارها منذ أمد طويل ــ وبوصولها إلينا حين تعلمنا الأبجدية بخط الجزم دون هذا التعليل المطول ، وهذا ما يمكن تطبيقه على كل النصوص والكتابات ، وإذا ما أضفنا الإعجام لتلك الحروف رأينا فيها كتابتنا اليوم التي نحن عليها .

وفي مثال عكسي فلو أخذنا كلمة  (الكلمة الأولى من نص بيت ضبعان المرفق) نرى أنها تكتب بالجزم اليوم (هكذا) (شرحشت) فلردها إلى نصها بحرف المسند.

← : 

١ ــ نزيل التشذيب فتصبح هكذا ← : 

٢ ــ نزيل اتصالها ببعضها / نفصل الحروف ← : 

٣ ــ نعيد للحروف عموديتها بدلاً من الأفقية التي هي عليها فتصبح 

وبذلك نحصل على أصلها كما ورد في النص المشار إليه والمرفق (انظره).

وفي ملاحظة أخيرة: لا بد من التأكيد بأن رسائله (ﷺ) ومن ثم تدوين القرآن الكريم ما زالا أوسع ما حفظ بخط الجزم من حيث القدم، ومن حيث أن كتابة المصحف الكريم بخط الجزم إنما ذلك سبب رسوخه خطاً معتمداً للغة العربية، وحتى حيث كان خط المسند وفروعه سائدة ــ لكن بالمقابل لا بد من الاعتراف بأن بعض سمات خط المسند رافقت خط الجزم من حذف للحروف الصوتية وسط الكلمة والكتابة مع اعتبار الإدغام بين كلمتين وغيرها.

الحـــواشـــي

(١) حول الواضع الأول للأبجدية (من خط الجزم) فقد تقول الأولون كثيراً فمن قائل بالإلهام ومن حائر منهم من سما أسماء واضعي تلك الأعجوبة الفعلية التي حملت فكر البشرية التي دونته بشكل مادي فحررته من دائرة الزمن وقيل أن ثلاثة هم:

مرامر بن مرة، وأسلم بن جدرة، وعامر بن جدرة

هؤلاء قيل أنهم مبدعو الأبجدية لخط الجزم ويبدو أن ذلك جاء بصبغة مبالغة خلقت مفهوماً ابتعد بهؤلاء الثلاثة عن حقيقة اهتماماتهم بخط الجزم وذلك على ضوء اللغة السريانية التي ترجمت لنا ما تعنيه هذه المسميات للأشخاص الثلاثة. فقد أوردت السيدة سهيلة الجبوري في كتابها أنه سبق أن نشر السيد علي الشرقي في مقال كتبه في مجلة لغة العرب سنة ١٩١٣ ج ١٠ ص ٤٢٨ ما يلي:

[١ ــ مرامر بن مرة ــ وتعني بالسريانية: سيد السادة بن السيد ــ أي: شيخ شيوخ العلم بن حامل لواء العلم.

٢ ــ أسلم بن جدرة ــ وتعني بالسريانية: شليما بر جدرانا ــ أي: التام العلم الخطاط.

٣ ــ عامر بن جدرة ــ وتعني بالسريانية: عمرايا بر جدرايا ــ أي: العماد الحاذق أو الماهر].

وهذا أقرب للواقع، فلابد لفهم الواقعة نفسها لا مفاهيمنا المعاصرة الحالية وحدها

(٢) **خط الجزم (الجذم)**

هو الخط الذي تكتب بأبجديته العربية اليوم وهو خط سبق الإسلام بزمن بعيد لكنه عم بعد الإسلام وفشى كخط عربي أساسي بينما انحسر الخط الأقدم (المسند وفروعه) وكان لكتابة القرآن الكريم والسنة أثر كبير في اعتماد خط الجزم بشكل نهائي ليتراجع الخط المسند أمام هذا المد.

المسند (المزند)

هو الخط اليمني المعيني (السبئي) ــ الحميري فيما بعد كتبت حضارة اليمن عبر أجيالها من ظهور دولة معين دولتهم الأولى الأمر الذي يعود بهذا الخط إلى أبعد بكثير مما أعطاه مجموع الدارسين من العمر ــ ولقد استخدم حتى الإسلام فكان متفشياً في الجنوب أساساً وفي الشمال بفروعه الثلاثة (الصفوي ــ واللحياني الديداني ــ والثمودي) حتى أنه استخدم على نطاق ضيق بعد الإسلام بدلالة بقاء بعض العارفين به ــ وبدلالة تدوينه (ﷺ) رسالة بالمسند وجهها إلى أبناء عبد كلال (مرفقة بهذا الكتاب) ــ فالهمذاني دون معرفته بأبجدية المسند (حوالي القرن الثالث وبداية الرابع هجري) (ومرفق بهذا الكتاب الأبجدية التي أوردها في كتابه الإكليل ج ٨).

الخط الصفوي

خط متفرع عن المسند وسمي صفوياً نسبة إلى منطقة الصفا في جنوبي سورية وشرقي كل من دمشق وجبل العرب والصفا منطقة بركانية وعرة تمتد من أبي الشامات شرقي دمشق وحتى حرة الراجل شمالي وادي السرحان الذي كان يصلها بدومة الجندل ــ والصفا لا تخلو من بعض المناهل الموسمية والدروب الصعبة. قطنتها قبائل أحصيت فيها وعرفتها بلغت أكثر من ٢٥ قبيلة يمنية جنوبية قدمت في ظروف مختلفة لكنها بقيت حصناً أشم تجاه الاحتلال الروماني وهجمات الفرس ــ وشوكة مزمنة حيال الاحتكاكات ومحاولات بعض العبريين ــ ولقد أغفلت هذه القبائل ولم تنصف حتى الآن فقلل الباحثون من شأنها رغم الأهمية البالغة لشأنهم في المحافظة على عروبة المنطقة (وللتفصيل ولمزيد من التوسع يراجع بحثي في مستهل الجزء الأول من المدونة العربية الموحدة للنقوش القديمة لمحمد علي مادون).

الخط اللحياني

خط متفرع عن المسند ــ واللحيانيون قوم عرب قطنوا ديدان وتيما وامتدوا للمناطق المجاورة وسمي هذا الخط نسبة لهم وهناك من فرق بين الخط اللحياني والديداني لكن ذلك مشكوك بأمره وناجم عن تعددية أشكال الحرف الواحد وهذا أمر طبيعي.

الخط الثمودي

خط ينتمي إلى ثمود القبيلة العربية المندثرة التي قالوا أنها بادت بينما قيل أن بقاياهم في ثقيف مما أغضب الحجاج بن يوسف فعاقب كل من قال بذلك /تجنباً لطغيان ثمود..../ وكانت لهم كتائب من الفرسان مشهورة حتى أواخر عهد الرومان جندوهم من صفوفهم الأمر الذي يؤشر إلى فل جمعهم وانتشارهم عبر الديار والأقوام. إنما يلاحظ انتشار خطهم هذا من جنوبي الجزيرة العربية إلى شمالي بلاد الشام.

(٣) المقصود هو الحروف المقطعة الواردة كاستهلالات لبعض السور القرآنية وهي التالية:

الحـــــــروف المقطعـــــــة	السور القرآنية الواردة فيها
الـمـ وردت في السور:	البقرة ــ وآل عمران ــ العنكبوت ــ الروم ــ لقمان ــ السجدة.
الـمص وردت في السور:	الأعراف.
الـر وردت في السور:	يونس ــ هود ــ يوسف ــ ابراهيم ــ الحجر.
طـه وردت في السور:	طَـهَ.
طـسـمـ وردت في لسور:	الشعـراء.
طس وردت في السور:	النمل.
يس وردت في السور:	يَسَ.
ص وردت في السـور:	ص.
حـمـ وردت في السور:	غافر ــ فصلت ــ الزخرف ــ الدخان ــ الجاثية ــ الأحقاف.
حـمـ عـسـق وردت في السور:	الشورى.
ق وردت في السور:	ق.
ن وردت في السور:	القلم.

(وللتوسع راجع الجزء الأول من المدونة العربية الموحدة للنقوش العربية القديمة لمحمد علي مادون).

(٤) أول من أطلق اسم السامية هو السويسري اليهودي شلوتزر عام ١٧٦٢ ومع ذلك فقد أحصيت (٢٨) ملكاً وقيلاً من أصل (٥٤) من المعروفين من ملوك وأقيال اليمن ودولها كانو قد تسموا بلقب (سامي/سمه/سما/ينوف/يريم... وجميعها تدل على السمو والرفعة..).

(انظر بحثي في سبيل كتابة تاريخية أمثل ـ السامية كمنطلق لامنزلق).

وهكذا يكون هذا التعليل من وجهة نظر عربية وليست عبرية كما أراد شلوتزر وغيره خاصة وأن هذا الأمر قد تفاقم اليوم ـ فالعبريون ليسوا إلا نقطة في البحر العربي لكن فراغ الساحة جعلها سوم كل مفلس.

(٥) انظر كتابي (الدرب المفقود ـ أو مسيرة خالد من الحيرة إلى اليرموك) ففيه تفاصيل هذه الواقعة.

(٦) لقد عني علم التجويد الذي نشأ ليهتم بخلق مفاهيم موحدة لتلاوة آيات القرآنالكريم وفق نهج ذو قواعد موحدة. لقد اهتم هذا العلم الناشىء بعد الإسلام بمخارج الحروف من جملة اهتماماته ويمكن العودة إليه للتوسع في هذا الموضوع فالقراءات السبعة أساساً وال ١٤ بشكل عام بحوث موسعة تتضمن وجهات نظر تقارب فقه اللغة.

(٧) انظر ص ٢٢٥ ـ من كتاب الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة لمحمد حميد الله حيث يذكر أنه (ﷺ) راسل يجيب الحرث بن عبد كلال وغيره برسالة حرفها الخط المسند وإن كان ذلك مازال موضع دراسة وتحقيق ـ ص ٢٢٥ ـ من الكتاب المذكور ـ الطبعة الخامسة ـ دار النفائس ـ بيروت.

(٨) ٥٢٨: المصباح المنير للفيومي.

(٩) ٢٨: المصباح المنير للفيومي.

(١٠) ٦٣١: المصباح المنير للفيومي.

(١١) أعلى وأعلي تعني رئيس القوم وقد وردت في النقش رقم ٧٠٦ و ١٧٢ ـ عندي في المدونة العربية الموحدة المجلد الأول واستخدمت اسم علم كذلك.

(١٢) ٦٢١: المصباح المنير.

مستدرك الأبجدية
في النقوش على القطع الخشبية
أو :
خط الكتابة العادية السريعة
— Cursive —

استطراد

(ليعذرني القارئ الكريم حيث هذا الاستطراد جاء إثر كشف لملتقطات أثرية جديدة).

ــ لقد كان التطور السريع لتنمية المعلومات التاريخية الناجم عن الاكتشافات الأثرية وسيبقى عنصر تغيير دائم لكثير مما ندعوه مسلمات وبديهيات طالما تقدم الدليل على مضمون المواضيع بالوثائق وهي اللقى الأثرية المدققة والخاضعة للدراسة والاستنتاج.

ونحن نعلم أن من أول شروط البحث العلمي: الاستعداد للتخلي عن كل ما يقوم الدليل على نقضه أي الاستعداد لاعتناق الحقيقة عندما يقوم الدليل عليها وتعتبر اللقى الأثرية في هذا الصدد نموذجاً مقبولاً للحجة وبناء حيثيات التأريخ عليها.

ولست هنا بصدد إجراء التعديلات على البحث إنما بصدد إضافات جاءت لاحقة ولعلها كما سيتضح للقارىء ذات مساس بجوهر موضوعنا (جذور خط الجزم العربي وانتمائه) وعلي أن أشرك القارىء معي في هذا التتبع لجذور خطنا العربي المعاصر الذي نتداوله اليوم كتابة وقراءة.

إن حدثاً جديداً اطلعت عليه مؤخراً بعد وضع الكتاب مما يفيد الموضوع الذي طرحته في كتابي هذا ولعله مما ييسر فهمنا لتطور الحرف المسند الأب الحقيقي لخطنا الحالي ويرفده.

وفي فترة ماضية سبق أن حدثني الأخ والصديق العالم الجليل السيد مطهر الأرياني

المستشار الأول في سفارة الجمهورية العربية اليمنية وهو العارف بشأن أبجدية المسند ولغة ولهجات اليمن القديمة . . بأنه قد أبلغ بكشف (أبجدية) كتبت بها عدة نصوص في نقوش اكتشفت في اليمن ومطلوب منه المشاركة وإبداء الرأي في قراءتها ثم لم أعد أعرف ما الذي تم بصددها رغم تلهفي لمثل ذلك ولكن ظني أن المقصود بذلك ما اطلعت عليه أخيراً .

حيث بعد تنضيد كتابي هذا وإعداده جاهزاً للطبع فقد وصلني في ٢٩ / ٦ / ١٩٨٩ كتاب (النقائش ــ والمقصود النقوش ــ والكتابات القديمة في الوطن العربي) إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ــ مرسلاً من الأخ والصديق د . صالح الخرفي مدير إدارة الثقافة في المنظمة المذكورة مشكوراً مع رسالة أظن أنه بالغ فيها إطراءاً باهتمامي بالنقوش المخطوطة بحرف المسند وفروعه ...

ولقد تضمن هذا الكتيب موضوعاً بالغ الأهمية من مجموع ما تضمنه وفي حداثته نفس ما له من الأهمية من حيث قِدَمه ــ وهو موضوع النقوش بأبجدية المسند الشعبي (التحريري) كما سماه الباحث كاتبه السيد د . يوسف محمد عبد الله تحت عنوان (خط المسند والنقوش القديمة) وفي دراسته هذه تناول الكتابة اليمنية القديمة المنقوشة على الأعواد الخشبية (ص ٨٥ وما بعدها) حيث يقول أنه اطلع على ٢٥ نقشاً موزعة على النحو التالي وهي نقوش على أعواد خشبية وصفها أنها أسطوانية وبحجم السيكار الكبير بطول ١٢ / ١٦ سم وقطر ٢٫٥ سم :

ــ صورة نقطعتين كان عثر عليهما المرحوم د . محمد الغول عام ١٩٧٠ ولا يعلم الآن مكان وجود (الأصلين) إنما لدى السيد د . يوسف محمد عبد الله صورتهما .

ــ قطعتان بحوزة أجنبي (لم يسميه) إنما حصل على المعلومات عنهما (كذا) .

ــ ٣ قطع بحوزة مواطن أتاح له الاطلاع عليها

ــ ١٨ قطعة أو كسرة من عود وهي حالياً بحوزة متحف الآثار بجامعة صنعاء . ويبدو أن جهوداً مشتركة تبذل لدراسة الظاهرة تقوم بها عدة أطراف

ولم يشرح لنا السيد الباحث سبب تلك التسمية (المسند الشعبي التحريري) ولعله يقصد بذلك الكتابة العادية السريعة المألوفة بالخط المعاصر الحالي الموصول الحروف حالياً ــ أو ما يماثلها في الكتابة للاتينية بالحرف الموصول (Cursive) إضافة إلى أنه أعطى المسند المعروف والشائع اسماً مقابلاً وجديداً هو (المسند الرسمي !) . والأفضل العودة لاصطلاح يفي

بالمعنى لكل منهما إذ أنّ هذه المفارقة لم تستقر بعد لأن ما نعرفه بخط المسند المعروف هو أكثر بكثير مما نعرفه عن المسند الشعبي المذكور — .

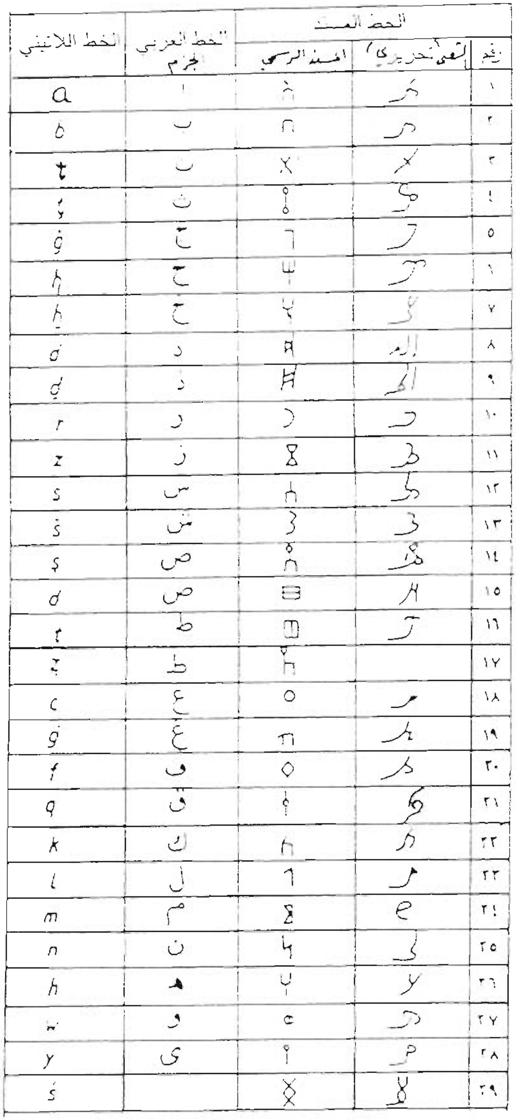
وتسهيلاً لفهم هذه المقولة المستدركة على كتابي هذا وأخذاً عن البحث المذكور :

١ — أرفق هنا صورة الأبجدية وما يقابلها .

٢ — أرفق صورة النقش الذي درسه السيد د . يوسف محمد عبد الله .

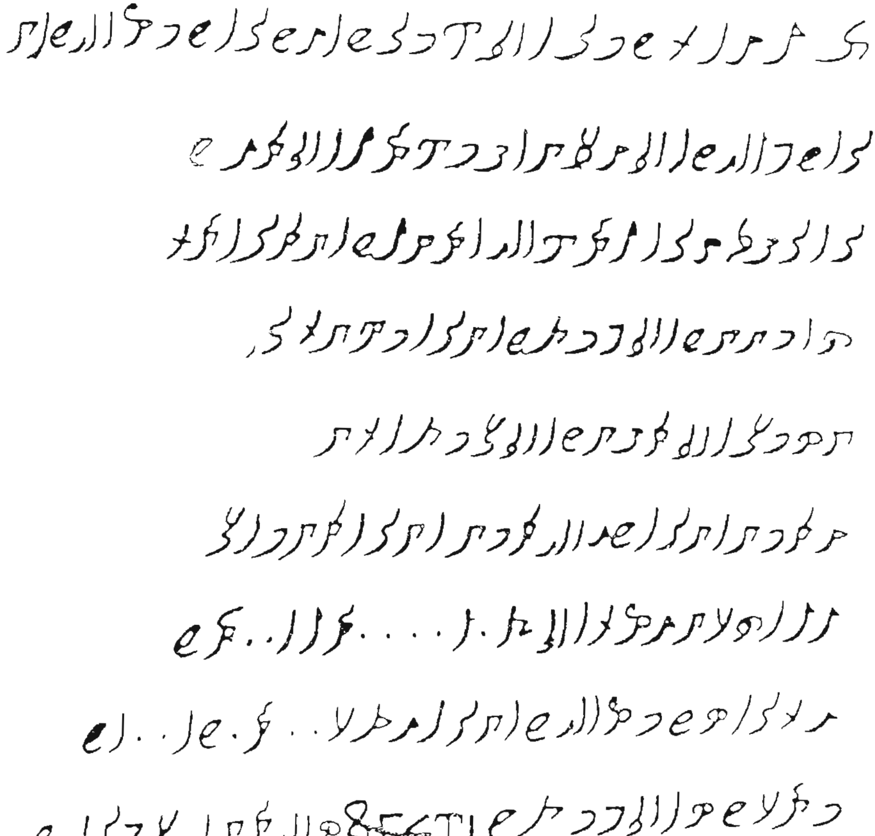
وصورة مبناة بحرف الجزم خطنا المعاصر

ثم معنى النقش ومضمونه .



الشكل رقم (٥٠)

لوحة رسمها عربي محمد أحمد مدرس الرسم الآثاري المساعد بقسم الآثار ، كلية الآداب جامعة صنعاء تبين رسم **خط المسند الشعبي (التحريري)** ومايقابله من خط المسند الرسمي والخط العربي ثم نقل ذلك إلى مايقابله من الخط اللاتيني حسب قاعدة النقش المعتمدة وقد رسمت اللوحة وفق المادة التي أعدها كاتب المقال الدكتور يوسف محمد عبد الله وتنشر هذه اللوحة **مبينة خط المسند الشعبي لأول مرة** ـ الذي أرى أنه يعني الكتابة العادية السريعة ـ Cursive



الشكل رقم (٥١)

مبنى النقش بالخط الشعبي

الذي يعني الخط العادي السريع

مبنى النقش بالخط العربي (الجزم)

سلع / تمرن / ذحرنم / عمن / مرثـدن / ب
ن / مجـدم / ذو عسب / شرح إل / ذكعـم
ن / نشقين / لأحد / إبلم / بكـــــن / أت
و / ربيم / دجرفم / بن / رحبتـــــــن
بورخ / ذكشبم / ذخـــــــرف / تب
ع كرب / بن / معد كرب / بن / كبر / خـ
لل / وهب عثت /ذغـر . / ... إل / .. سم
عتن / ومرثدم / بن / عفـه .. أ . م / ... / م
رأهمو / دجرفم / .... ودأب / . هجنـر / . م .

مضمون ومعنى النقش

سلع حروني تمر (سلم) من مرشد بـ
ـ من مجيد إلى شرحئيل الكعمـ
ـ ني النشقي كراء (كروة) جمل واحد وذلك
عندما عاد ربيب الجرافي من الرحبة
بتاريخ (في شهر) ذى كشب من عام تبـ ـ
ـ ـع كرب بن معد كرب بن كبير خـ ـ
ـ ليل وهب عثت ذوغر ... إل .. المشهور
ـ و مرثد بن عفه .. أ .. م .. (أ) ـ ـ
ـ رأهـم (أميرهـم = سيدهـم) ذو جراف (إمضاء = توقيـع) ودأب هجنـــر (هجرن = المدينة) م

ومن الاطلاع على مضامين المرفقات وتدقيقها نجد بعض السمات والملاحظات التي دفعتني لإلحاق هذا الاستطراد بكتابي هذا وهي :

١ ـ إن الخط المسند وفروعه تعرضت للتطور بدورها وهذا مدعاة للقول بمرونتها وبأنها عملية وسهلة التداول ومتلائمة مع وسائط الكتابة .

٢ ـــ إن هذا التطور جاء تلبية للكتابة بطرق كانت غير مألوفة فبدلاً من النحت القاسي على الحجارة ـــ انسابت وسائل أخرى ألين وربما أيسر بخطها على الخشب ومنها تلك الأعواد المعثور عليها . مما جعل الخطوط عليها تأتي بحرف لين فأجريت السطور عوداً وبدأة .

٣ ـــ الأمر لذي جعل حروف أبجدية المسند الشعبي (التحريري) جميعها (عدا حرف الميم) مذيلة في أسفلها وعند نهايتها بمدة (هي استطالة أفقية في ذيل كل حرف !) على نحو متماثل (ـــ) ومتجهة من اليمين نحو اليسار عدا الميم التي انعطفت إلى اليسار .

٤ ـــ مما يدعونا للقول أنه ربما كانت هذه الظاهرة السبب المباشر الذي قاد الحرف لاحقاً إلى التحول من العمودية إلى الأفقية التي سبق أن تحدثنا عنها كأحد مراحل تطور الحرف المسند (وفروعه طبعاً) والتي أدت بدورها إلى التحول إلى الجزم ـــ متخلين عن مفهوم الحرف المسند بالقاعدة الأفقية المصنعة لكل حرف .

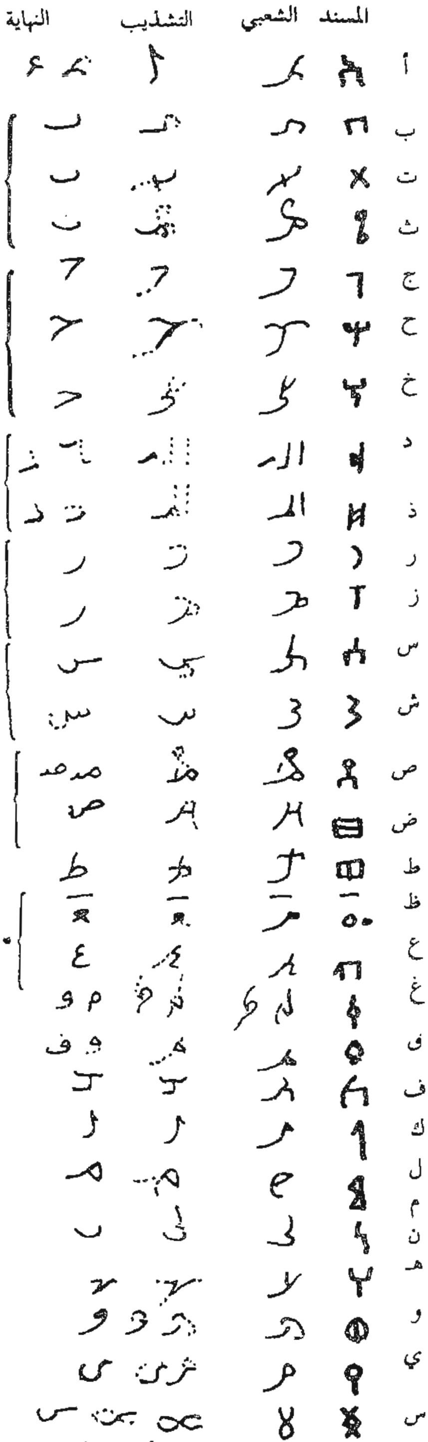
٥ ـــ إن تيسير وسائط كتابة أسهل لجر الحروف متتابعة مما سهل الوصول إلى ما وصلت إليه فمن يكتب بالحبر وما يشبهه (بالحز) يكون لديه إمكانية ميسرة لوصلها لا كمن يضطر مجهداً لحفر كل الحروف على الحجارة فبدت الليونة واضحة في أشكال أبجدية الحروف المسماة بالمسند الشعبي (التحريري) كما ترى .

٦ ـــ وبرأيي أن هذه الأبجدية بدورها تمثل مرحلة ما قبل الأفقية والتشذيب اللذين سبق أن بحثتهما مفصلاً .

٧ ـــ كما أن اللقى بهذه الأبجدية تقربنا من مقولة نشوء السينائية في اليمن أولاً .

انظر الشكل في الصفحة التالية .

جدول التحول من المسند الشعبي ــ التحريري إلى الجزم



ب: حيث أخذت الحروف الثلاثة نفس الشكل ثم فيما بعد جاء الإعجام

(كذلك)

د: (كذلك)

ر: (كذلك)

س: (كذلك)

ص: (كذلك)

ثم أخذ الحرفان شكلاً واحداً فرق بينهما الإعجام الذي جاء متأخراً.

يبدو أن هذا السين هو المصدر المأخوذ عن حرف السين الحالي لأنه مثلاً في كلمة (مسند) كانت تكتب به وليس بغيره

الشكل رقم (٥٢)

إلا أن الموضوع وهو في بداياته بالنسبة لهذه الأشكال الجديدة لأبجدية المسند فإنا لا نعلم إن كانت أشكال الحروف هذه هي أشكال منفردة لم تتكرر لها بدائل أو نظائر، أم تعددية تكرارية بحيث يأخذ الحرف الواحد أكثر من شكل، إن ما وصلنا هو هذه الصورة الوحيدة المرفقة لهذه الأبجدية.

والمهم أن العثور على هذه الأشكال المسماة بأبجدية المسند الشعبي إنما تقربنا ولا تبعدنا عما سبق أن ذكرناه من تطور المسند إلى الجزم وفيما يلي أرفق جدولاً (مفترضاً وشاملاً أعرض فيه هذا التحول) ومفككاً فيه بنية كل حرف مسند شعبي ثم كيف بنيت منه حروف الجزم التي كانت موضوع هذا الكتاب كمرحلة وسيطة إضافة لما سبق أن ذكرته في كتابي هذا:

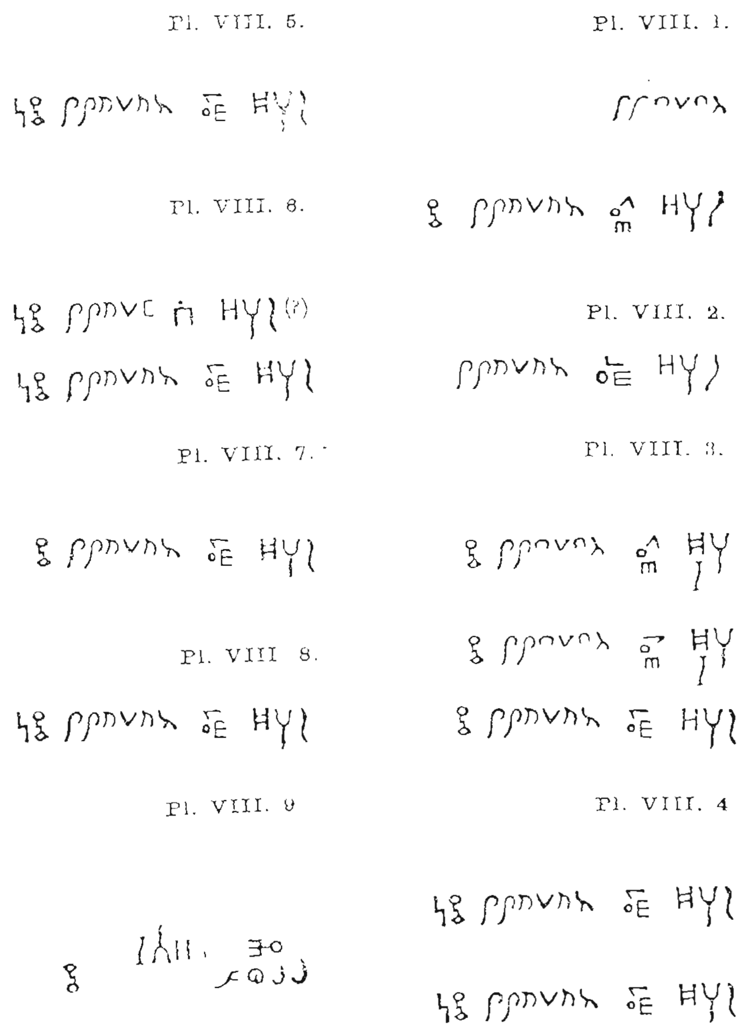
لم يلحظ في النقش المرفق (الخاص بمرشد بن مجيد) وجود حرف الظاء. على بعض النقوش الأخرى توضح لنا مستقبلاً شكل حرف الظاء.

ـــ ويلاحظ أن ثمانية أشكال مثلت ١٨ حرفاً فرق بينها الإعجام فيما بعد، وقبلها كان التفريق يعتمد على ذهن القارىء.

ـــ وفي ملاحظة أخيرة أن بعض ما سمي في الدراسات الجارية لمناسبات متعددة سابقاً بـ (المونوغرامات Monogram) التي وجدت مرفقة أحياناً ببعض النقوش أو بدونها أو على المسكوكات النقدية الملتقطة، إنما تتقارب شكلاً مع تلك الأبجدية المسماة ـــ بالمسند الشعبي (التحريري) ـــ وإن كانت كذلك وقد يثبت هذا مستقبلاً فقد تشكل نماذج أخرى لأشكال الحروف الأبجدية للخط العادي السريع ـــ المسمى بالشعبي التحريري ـــ أرفق فيما يلي بعضها بعد أن أطلعني عليها مشكوراً الأخ الباحث الأستاذ محمد الخولي أمين المتحف الإسلامي في متحف دمشق ـــ وهي مأخوذة عن :- P. 54-55-56. PI VIII

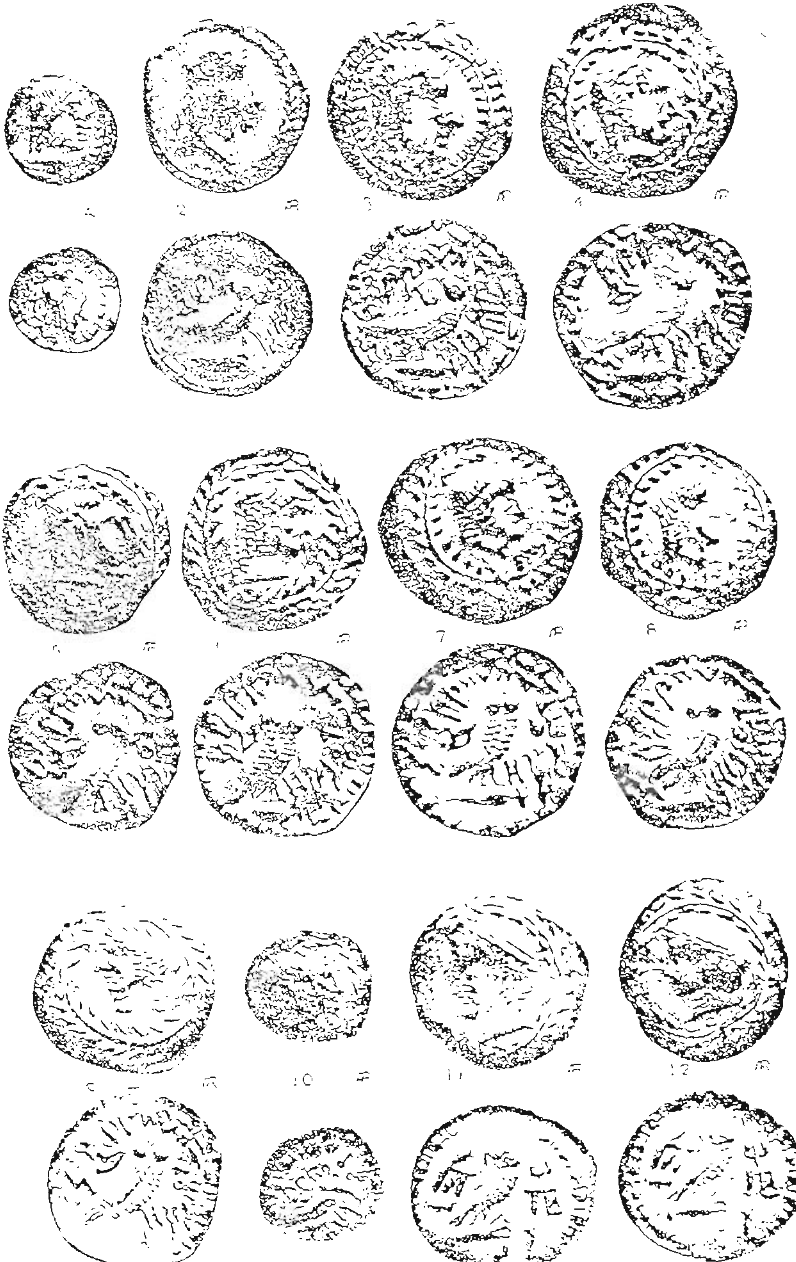
CATALOGUE OF CONSI IN BROTOSH MUSEUM - 1965

انظر الشكلين في الصفحة التا لية:



الشكل رقم (٥٣)

— كتابات أبجدية مماثلة على التميات



الشكل رقم (٥٤)

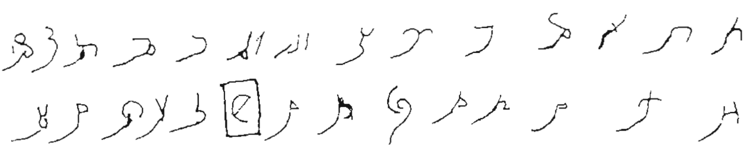
ـــ لوحة عملات حميرية تحمل كتابات مماثلة .

وبشكل عام فإن النقوش المدونة بهذه الأبجدية وجدت في مكان واحد هو (خرائب السوداء في الجوف = نشن قديماً)

إن التوقيت الدقيق لنشوء هذا الخط لم يتضح بعد المبررات التي رافقته ولا الكيفية التي بررت ذلك . إنما تبقى تلك البداية التي أخرجت الحرف المسند عن المألوف بداية تطوره وربما البداية التي دفعت بالمسند ليتولد عنه خط الجزم .

ويبدو أن بداية تطور هذا جاءت بدءاً من التوافق مع السطر الأفقي لأن الملاحظ من دراسة حركة تدوين كل حرف هو انسيابه في نهاية رسمه ليأخذ الشكل الأفقي مع السطر فتلاحظ تلك الإضافة التي سميناها الاستطالة الأفقية التي طرأت هكذا على كل الحروف باستثناء حرف الميم . 

وهكذا لو جردنا تلك الحروف من تلك الاستطالات الأفقية فإن الحرف لن يتأثر شكله ولا مدلوله !



ـــ لا بد أن هذا الخروج بحروف المسند عن شكلها المألوف كان هادفاً ولم يكن عشوائياً وعلى الأقل لقد أدى إلى نتائج أوصلت به إلى حرف الجزم .

١ ـــ فبإضافة بعض الاستطالات في نهاية الحرف .

٢ ـــ يلاحظ الميل بكل الحروف إلى الليونة في زواياها وخطوطها

٣ ـــ ثم ظاهرة اختزال مكونات الحرف أي بعض أجزائه وربما تبديلها .

إن هذه الظواهر مكملة لبعضها ـــ فقد اقتضت الاستطالة مثلاً إبقاء استدارة الواو المألوفة  مفتوحة  ثم عندما جاء دور رسم الخط الذي يقطع هذه الدائرة واقتضى وصل الاستطالة النهائية بها فكانت على هذا الشكل  ثم يلاحظ اختزال وصلة الخط منصف الدائرة فبقي مفصولاً عن الجزء الأعلى الباقي من الدائرة كما ترى .

والحقيقة أن الأبجديات التي يقال عن إمكانية كونها أصل أبجدية الجزم إنما هو قول مشتبه فإن كلاً من الآرامية ــ والآرامية السريانية ــ والآرامية النبطية ــ والآرامية التدمرية كانت جميعها تتطور والتصور متاح بلا حدود والتطور مسيرة حياة الحرف ما لم تحتضر أبجدية ما فإنها تموت على آخر هيئة لها كانت عندما بدء احتضارها إذا ما تقاربت تلك الأبجديات من حيث أشكال حروفها أو من حيث مواصفات وسمات لاحقة على حروفها ــ من محاولات وصل الحروف ــ أو تقارب عددها ــ أو تشابه نطق بعضها ــ أو تقارب أسلوب استخدام الحروف الصوتية ــ أو أدوات التعريف فإن ذلك كله يعزز جانب القرابة وتقارب الأصول وبالتالي انحدارها جميعاً من دوحة العربية الجنوبية وليس بالضرورة تولد واحدة من الأخرى.

أما بالنسبة لخط الجزم فقد تطور عن الخط المسند دون ريب كما أسلفنا أما ما يذكر من أن الحيرة كانت مصدرة فلا شيء يمنع من ذلك لأن التطور رهن بتوفر مبرراته فحيثما قضت تلك المبررات بالتطور فيمكن أن يجري مجراه وأما ما يذكر عن أنه صدر إلى دومة الجندل فكذلك لا شيء يمنع من ذلك لكونها الحاضرة الكبرى بين الحيرة والجزيرة العربية. فربما كانت المؤثرات والمبررات أوسع من الحيرة للساحة الواسعة هناك من حيث الاحتكاك والتفاعل والتطور الاجتماعي والاقتصادي والثقافي الذي رافق تلك الاحتكاكات بالحضارات المقيمة هناك.

وعلى أي حال فإن المسند أب حقيقي انطلقت منه أبجدية خطنا الحالي وكما سلف أن ذكرنا لعل الكشوفات الأثرية اللاحقة ستلقى أضواء أخرى على موضوعنا هذا.

المصـــادر

ـ القرآن الكريم .
ـ دراسات منثورة (لم تنشر) محمد علي مادون .
ـ الدرب المفقود من الحيرة إلى اليرموك محمد علي مادون .
ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ د . جواد علي .
ـ المدونة العربية الموحدة للنقوش القديمة ـ المجلد الأول ـ محمد علي مادون . (قيد الطبع) .
ـ أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي ـ السيدة سهيلة الجبوري .
ـ دراسات مصادر تاريخ الجزيرة العربية ـ مدير الآثار والمتاحف السعودية ـ جامعة الرياض .
ـ النقوش المعروفة في متحف الخط بدمشق (الجقمقية) .
ـ العرب قبل الإسلام في سورية ـ رينيه دوسو ـ ترجمة عبد الحميد الدواخلي .
ـ الفهرس القرآني ـ ابراهيم الأنباري .
ـ اليمن الحضارة فالإنسان ـ عبد الله الشماحي .
ـ من الساميين إلى العرب ـ الشيخ نسيب وهيبة الخازن .
ـ مجلة الحوليات السورية ـ المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية .
ـ ديوان المعري .
ـ مجلة دراسات يمنية العدد ١٨ .
ـ مجلة الإكليل اليمنية .
ـ مجلة نهج الإسلام الدمشقية العدد بين (٢٢ و / ٢٣) .
ـ كتاب الإكليل ج ٨ ـ الهمذاني .
ـ المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة ـ أغناطيوس غويدي .
ـ عاديات حلب جمعية العاديات في معهد التراث بحلب .
ـ معجم المصباح المنير في شرح غريب الكلام للفيومي .
ـ الخط العربي وآدابه ـ محمد طاهر الكردي .
ـ صبح الأعشى ـ للقلقشندي .

ـ مقدمة ابن خلدون

ـ مجلة أطلال السعودية

ـ التوراة الكنعانية ـ اللاآء ـ (لرئيس كهنة أوغاريت ـ ايلي ميلكو للعالم هـ ديل ميدكو ـ ترجمة مفيد عرنوق)

ـ الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ـ محمد حميد الله

ـ أيام العرب في الجاهلية.

ـ معجم الكلمات السريانية في المعاجم العربية

ـ شرح المقدمة الجزرية ـ عزت دعاس

ـ البراهين الحسية على تقارض العربية والسريانية ـ البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث.

ـ نشأة الأبجدية. د أحمد هبو.

ـ معجم بلاد غامد وزهران ـ للزهراني.

ـ التوراة نشأت في عسير ـ كمال صليبي

ـ ملوك حمير وأقيال اليمن.

ـ (قصيدة نشوان الحميري) ـ لنشوان بن سعيد الحميري ٥٧٣ هـ.

ـ قرية الفاو وصورة للحضارة العربية قبل الإسلام ـ جامعة الرياض.

ـ موسوعة المصرف ـ المهندس ناجي زين الدين المصرف.

ـ تطور الخط العربي ـ د صلاح المنجد.

ـ مجلة دراسات تاريخية ـ لجنة كتابة التاريخ ـ دمشق.

ـ صفة جزيرة العرب ـ للهمذاني

ـ لسان اليمن ـ الحسن بن أحمد الهمذاني ـ تحقيق محمد علي الأكوع.

فهـــرس
(الأشكـال والـخـرائط)

المؤلف في سطور

مؤلف هذا الكتاب باحث في التراث بشكل أساسي غزير الإنتاج قليل النشر ذو ثقافة واسعة، من مواليد تدمر في الجمهورية العربية السورية عام ١٩٣٣.

عميد سابق في الجيش العربي السوري يحمل شهادة الأكاديمية العسكرية ـــ وشهادة إدارة الطوارىء وإعداد الدولة للحرب.

يعمل حالياً مستشاراً لرئيس مجلس الوزراء في الجمهورية العربية السورية منذ حوالي ١٨ عاماً. متزوج أكبر أبنائه طبيب وثلاث بنات جامعيات أصغر منه

عنوانه الحالي (دمشق ص ب ٤٨٤٣)

مساهماته العلمية

١ ـــ مشارك في مؤتمرات كتابة التاريخ
٢ ـــ مستشار سابق في المركز العربي للمناطق الجافة ـــ مشروع الحماد ـــ
٣ ـــ خبير في البدو والبوادي العربية ـــ وفي ندوات منظمات الأمم المتحدة في هذا المجال.
٤ ـــ عضو سابق في لجنة الاستشعار عن بعد.
٥ ـــ خبير في لغة وخط المسند وفروعه الصفوي واللحياني والثمودي

الإنتاج العلمي

للمؤلف مجموعة من المؤلفات والبحوث قسم منها منشور وآخر لم ينشر بعد منها

١ ـــ المدونة العربية الموحدة للنقوش الكتابية القديمة ج ١ ـــ جاهز للنشر.
٢ ـــ إعداد الدولة للحرب في ظروف الطوارىء والحرب ـــ مطبوع.
٣ ـــ الدرب المفقود ـــ أو مسير خالد من الحيرة لليرموك (تحقيق ميداني) ـــ مطبوع طبعتين في بيروت والدوحة ويعد لإعادة طبعه حالياً.
٤ ـــ نمذجة دراسات مسارح العمليات الحربية ـــ مطبوع محدود.

٥ ــ ومضات عربية ــ وإسلامية مأثورة تحتذى ــ لكنها مغمورة ــ جاهزة للطبع.

٦ ــ بوادي الحماد العربية ــ جاهز للطبع.

٧ ــ البادية السورية وقبائلها وترحالهم ــ مطبوع محدود

٨ ــ الأعراف والتقاليد في التقاضي البدوي ــ جاهز للطبع

٩ ــ الخريطة التاريخية للجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق ومصر ــ مطبوعة

١٠ ــ الخريطة التاريخية لشمالي أفريقية ــ والأندلس ــ مطبوعة.

١١ ــ الخريطة التاريخية لسوريا وأثر روما في بلاد الشام ــ مطبوعة.

١٢ ــ خريطة البادية السورية والترحال ــ مطبوعة محدودة ــ وجاهزة لإعادة الطبع.

١٣ ــ خريطة بوادي الحماد العربية ــ مطبوعة محدودة ــ وجاهزة لإعادة الطبع

١٤ ــ الدراسة الاجتماعية لبوادي الحماد (حوض الحماد السوري العراقي الأردني / جزئين مرفق بمجموعة كبيرة من الوثائق ــ مطبوع لصالح المركز العربي للمناطق الجافة.

١٥ ــ الغزوات والسرايا ــ دراسة مقارنة ميدانية / حوالي ٧٠٠ صفحة مجهزة بالخرائط ــ جاهز للطبع.

١٦ ــ الدبلوماسية والدبلوماسية المضادة (في عصر النبوة ــ المراسلات ــ البعوث والوفود وحروب الردة ــ جاهز للطبع.

١٧ ــ تحرير الوطن العربي والفتوح بعد العصر النبوي ــ جاهز

١٨ ــ معالم وأعلام ــ قيد الإنجاز.

١٩ ــ نحو نهج أمثل لكتابة التاريخ العربي ــ جاهز للطبع

٢٠ ــ عروبة البربر حقيقة تدعمها الوثائق ــ قيد الطبع

٢١ ــ مجموعة بحوث جاهزة للنشر في الدوريات.

ــ سبي بابل فريه مزمنة لم يتح لبختنصر الرد عليها

ــ ٤٢ نقش مسترجعة إلى المسند من الإكليل ج/٨.

ــ نقوش منثورة لكنها ذات دلالات عميقة (علم الأثر عند العرب والجغرافية التاريخية).

ــ عقر الناقة في نقش ثمودي من جبل غنيم قرب تيما.

ــ كيف نحقق ميدانياً معلماً جغرافياً تاريخياً.

ــ قراءات جديدة لنقوش منشورة سابقاً.

ــ وتحت اليد (مجموعة بحوث لم تكتمل بعد).

المحتوى

خط الجزم ابن الخط المسند/محمد علي مادون. ــ ط ١. ــ دمشق: دار طلاس، ١٩٨٩. ــ ٢٣١ ص. : أشكال توضيحية؛ ٢٥ سم.

١ ــ ٤١١,٥ م ا د خ ٢ ــ العنوان ٣ ــ مادون

مكتبة الأسد

رقم الإيداع ــ ١٩٨٩/٨/١٠٢٥

رقم الإصدار ــ ٤٦١

خط المسند

مسند	جزم	مسند	جزم	مسند	جزم	مسند	جزم
𐩫	ك	𐩳	ض	𐩹	ذ	𐩱	ا
𐩡	ل	𐩷	ط	𐩧	ر	𐩨	ب
𐩣	م	𐩼	ظ	𐩸	ز	𐩩	ت
𐩬	ن	𐩲	ع	𐩯	س	𐩻	ث
𐩠	ه	𐩶	غ	𐩪	س	𐩴	ج
𐩥	و	𐩰	ف	𐩦	ش	𐩢	ح
𐩺	ي	𐩤	ق	𐩮	ص	𐩭	خ
						𐩵	د

رقم خط مسند										
𐩱 1000 ألف	𐩣 100 مائة	𐩾 50 خمسون	𐩲 10 عشرة	𐩽𐩭 6 ستة	𐩭 5 خمسة	𐩭𐩽 4 أربعة	𐩽𐩽𐩽 3 ثلاثة	𐩽𐩽 2 أثنان	𐩽 1 واحد	مسند عربي